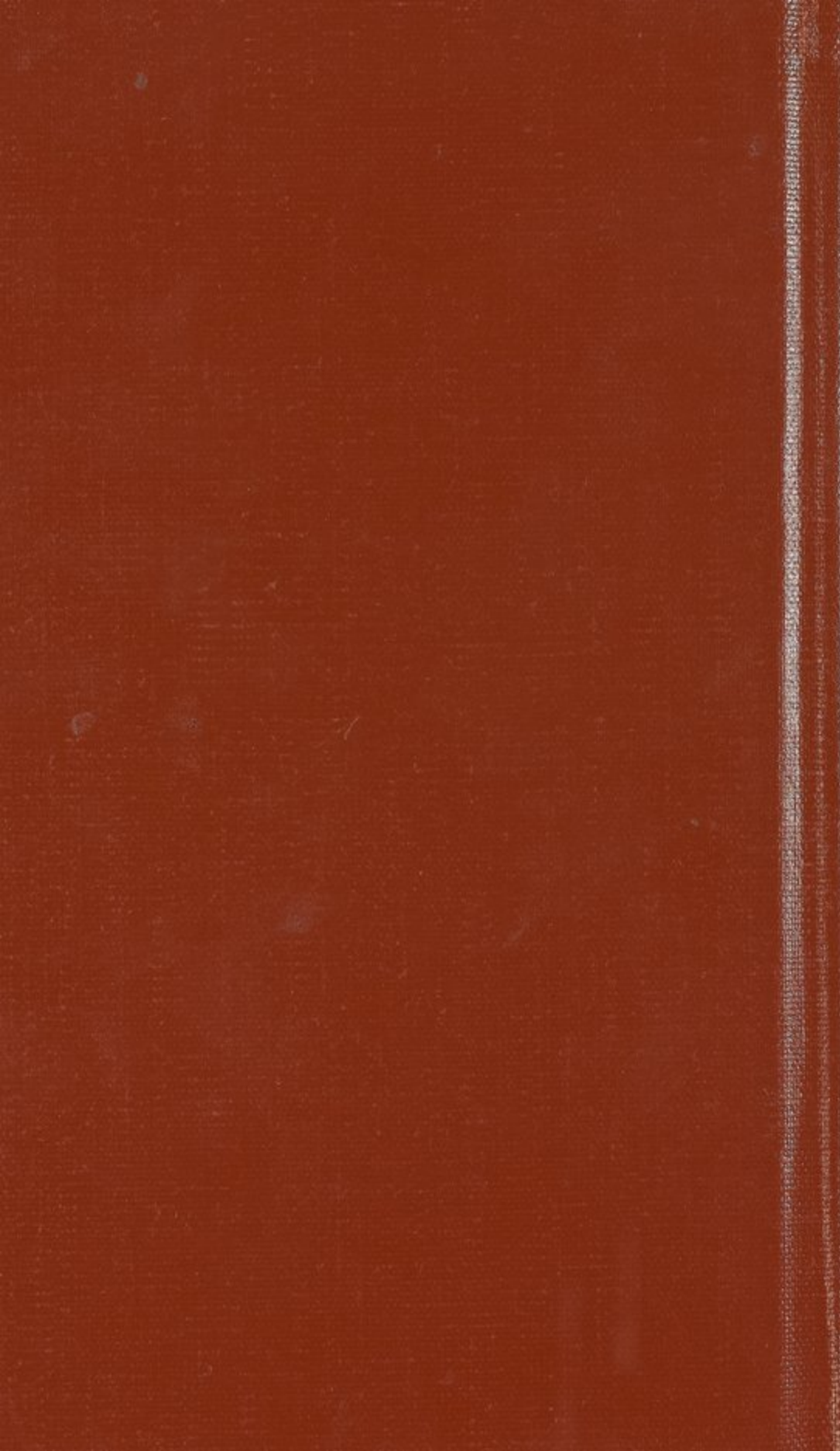




PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR>



32101 041296698

خَزَائِدُ الْعَجَائِبِ

و

فَرَائِدُ الْغَرَائِبِ

تأليف

سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي

(٦٨٩ - ٥٧٤٩ هـ)

(١٣٤٨)

الطبعة الثانية

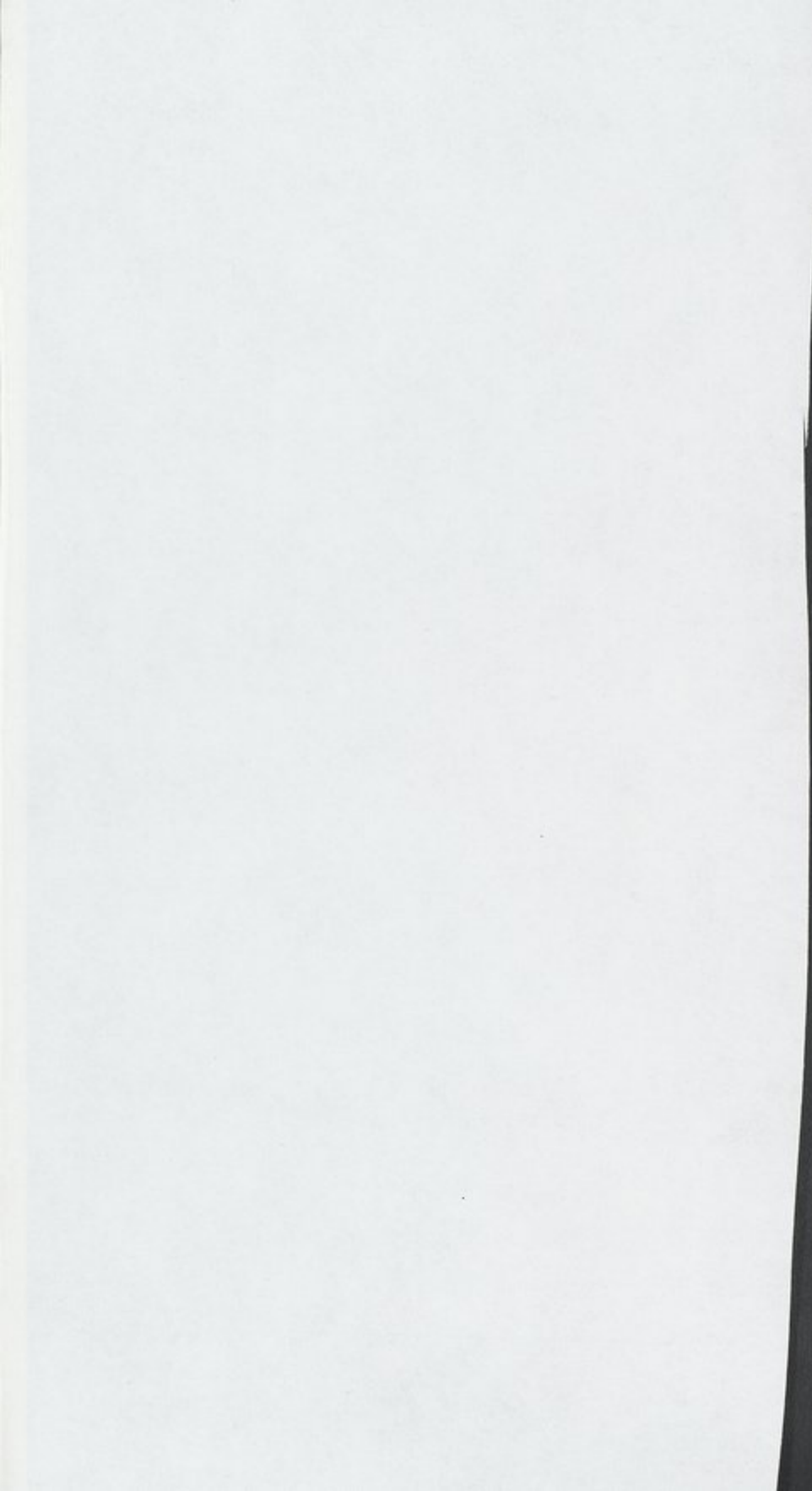
طبع مطبعة

مُصْطَفَى الْبَابِ الْحَلَبِيِّ وَأَوْلَادِهِ بِمِصْرَ

2271
.4097
.352
.11

SRS

2271
4097
.352
.11



قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ

[قرآن كريم]

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، عالم الغيب ، راحم
الشييب ، منزل الكتاب ، ساتر العيب ، كاشف الريب ، مذل الصعاب ، معبث
الملهوف ، دافع الصروف رب الارباب ، خالق الخلق ، باسط الرزق ، مسبب
الاسباب ، مالك الملك ، مسخر الفلك ، مسير السحاب ، رافع السبع الطباق
مخيمة على الآفاق تخيم القباب ، ساطع الغبراء على متن الماء بمسكة بحمته
عن الاضطراب ، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم يوم الحشر والمآب
أحمده وهو المحمود بكل لسان ناطق ، وأشكره وهو المشكور في
المغارب والمشارق .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة ركن الايمان
أركانها ، وشيد الايقان بنيانها ، ومهد الاذعان أوطانها ، وأكد البرهان
إدمانها ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المستولى على شانه بشانه ،
ونبيه المفضل بمعاني علومه وبدائع بيانه ، ورسوله الصادع بدليله وبرهانه .
القائل : زويت لي مشارق الأرض ومغاربها كشفاً وإطلاعا بسره وعيانه ،
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأعوانه صلاة تبلغ من آمن به غاية
أمنه وأمانه ، وتسكن روعته في الدارين بعفو الله وغفرانه ، وسلم تسليماً كثيراً
وبعد : فإن خالق الخلق والبرية ومن له الارادة والمشيئة قد ميز الملوك
والرعاة عمن دونهم من الرعية . فلذلك قد خصوا بالهمم العلية ، والاخلاق
السامية الزكية ، ورغبوا في الاطلاع على الأمور الغامضة الخفية ، ليكونوا
فيها نذبوا له من الاسترعا على بيضاء نقية ، ويحصلوا من أخبار العالم على

الاشياء الصادقة الجليلة ، فينشد أشار إلى الفقير الخامل الحقير من إشارته
الكريمة محمولة بالطاعة على الروس وسفارته المستقيمة بين الامام المعظم
والسواد الاعظم قد سطرت في التواريخ والطروس وهو المقر الاشرف
العالي المولوى الامينى الناصحى السيدى المالكى المخدومى السيفى شاهين المؤيد
مولانا نائب السلطنة الشريفة بالقلعة المنصورة الجليلة أعز الله أنصاره ورفع
درجته وأعلى مناره : أن أضع له دائرة مشتملة على دائرة الارض صغيرة
توضح ما اشتملت عليه من الطول والعرض والرفع والخفض ، ظنا منه
أحسن الله إليه أنى أقوم بهذا الصعب الخطير وأنا والله لست بذلك والفقير
فى دائرة هذا العالم أحقر حقير . فأنشدت :

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم

وتوسلت إلى رب الأرباب ومذل الصعاب وابتهلت ابتهاج المستغيث
المصاب ففتح سبحانه من فيضان لطفه أحسن باب وسهل بامتناع عطفه ذلك
الصعب المهاب ويسر برأفته ما لم يخطر فى بال وحساب فهضت مبادراً إلى
السجود شاكراً لذى الانعام والجود ثم أقبلت على مطالعة كتب حكماء الانام
وتصانيف علماء الهيئة الاعلام كشرح التذكرة لنصر الدين الطوسى ، وجفر
الانبياء لبطليموس ، وتقويم البلاد للبلخى ، ومروج الذهب للمسعودى ، وعجائب
المخلوقات لابن الاثير الجزرى ، والمسالك والممالك للمراكشى ، وكتاب
الابتداء وغيرها من الكتب المعينة على تحصيل المطلوب .

ومعلوم أن الكتب الموضوعة بين الناس فى هذا الغرض لم تخل من
خلل والتباس فان ذلك أمر موهوم لكنه وهم حسن وكما قيل بين اليقين
والوهم بون كما بين اليقظة والوسن ، والله سبحانه هو المتجاوز عن الخطأ والخلل
والخطل والموفق لصالح القول والعمل ، وقد وضعت دائرة مستعينة بالله
تعالى على صورة شكل الارض فى الطول والعرض بأقاليمها وجهاتها
وبلدانها وصفاتها وعروضها وهيئاتها وأقطارها وممالكها وطرقها ومسالكها

ومفاوزها ومهاالكها وعامرها وغامرها وجبالها ورمالها وبجائنها وغرائنها
وموقع كل مملكة وإقليم من الأخرى وذكر ما بينهما من المتالف والمعاطب
برا وبحراً وذكر الأمم المقيمة في الجهات والأقطار طراً وسد ذى القرنين
في سالف الأحقاب على يأجوج ومأجوج كما جاء في نص الكتاب وسميته :

خريدة العجائب وفريدة الغرائب

وبالله سبحانه الاعتصام وهو حسبي على الدوام ومنه أسأل السداد
والتوفيق فانه أهل الاجابة والتحقيق ، وهذه صورة الدائرة المذكورة .



وهذه رسالة لطيفة باهرة كالشرح في توضيح ما في هذه الدائرة تبين للناظر فيها أحوال الجبال والجهات والبحار والفلات وما اشتملت عليه من الممالك مستوعبا فيها لذلك إن شاء الله تعالى .

ولنشرع أولا في ذكر جبل قاف ، قال الله عز وجل في كتابه العزيز (ق- والقرآن المجيد) وفي تفسير ق- ستة أقوال للمفسرين : منها أنه جبل من زبرجدة خضراء قاله أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وروى عكرمة عن ابن عباس أيضا رضي الله عنهما قال خلق الله جبلا يقال له قاف يحيط بالعالم السفلى وعروقه متصلة بالصخرة التي عليها الأرض وهي الصخرة التي ذكرها لقمان عليه السلام حيث قال (يا بني إنما إن تلك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض) الآية ، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل قرية في الأرض أمر ذلك الجبل أن يحرك العرق الذي يلي تلك القرية فتزلزل في الوقت . وقال مجاهد : هو جبل يحيط بالأرض والبحار ، وروى عن الضحاك أنه من زمردة خضراء وعليه كنف السماء كالخيمة المسبلة وخضرة السماء منه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأما ذكر البحار : فأعظم بحر على وجه الأرض المحيط المطوق بها من سائر جهاتها وليس له قرار ولا ساحل إلا من جهة الأرض . وساحله من جهة الخلو البحر المظلم وهو محيط بالمحيط كحاطة المحيط بالأرض وظلته من بعده عن مطاع الشمس ومغربها وقرب قراره ، والحكمة في كون ماء البحر مالحا أجاجا لا يذاق ولا يساغ لئلا ينتن من تقادم الدهور والأزمان وعلى ممر الأحقاب والأحيان ، فيهلك من تنته العالم الأرضي ولو كان عذبا لكان كذلك . ألا ترى إلى العين التي ينظر بها الإنسان الأرض والسماء والعالم والألوان وهي شحمة مغمورة في الدمع وهو ماء مالح والشحم لا يسان إلا بالملح فكان الدمع ما خا لذلك المعنى . وقاف محيط بالكل كما تقدم . وفي ظلمات عين الحياة التي شرب الخضر عليه السلام منها وهي في القطعة التي بين

المغرب والجنوب وفي المحيط الأرض التي فيها عرش إبليس اللعين وهو في القطعة التي بين المشرق والمغرب والجنوب وهو إلى الشرق أقرب في مقابلة الربع الخراب من الأرض، والله أعلم.

وأما الخليجان الآخذة من المحيط فهي ثلاثة : أعظمها وأطولها بحر فارس ، وهو البحر الآخذ من المحيط الشرقي من حد أرض بلاد الصين إلى لسان القلزم الذي أغرق الله فيه فرعون وضرب لموسى وقومه فيه طريقا يبسا ، ثم بحر الروم الآخذ من المحيط الغربي من حد الأندلس والجزيرة الخضراء إلى أن يخالط خليج قسطنطينية ، فأما إذا قطعت من لسان القلزم إلى حد الصين على حد مستقيم كان مقدار تلك المسافة نحو مائتي مرحلة وكذلك إذا شئت أن تقطع من القلزم إلى أقصى حد بالمغرب على خط مستقيم كان نحو مائة وثمانين مرحلة وإذا قطعت من القلزم إلى حد العراق في البرية على خط مستقيم وشققت أرض السماوة ألفتة نحو شهر ومن العراق إلى نهر بليخ نحو شهرين ، ومن نهر بليخ إلى آخر بلاد الإسلام في حد فرغانة نيف وعشرون مرحلة ومن هذا المكان إلى بحر المحيط من آخر عمل الصين نحو شهرين ، هذا في البر . وأما من أراد قطع هذه المسافة من القلزم إلى الصين في البحر طالت المسافة عليه وحصلت له المشقة العظيمة لكثرة المعاطف والتواء الطرق واختلاف الرياح في هذه البحور . وأما بحر الروم فإنه يأخذ من المحيط الغربي كما تقدم بين الأندلس وطنجة حتى ينتهي إلى ساحل بلاد الشام ومقدار ما ذكر في المسافة أربعة أشهر وهذا البحر أحسن استقامة واستواء من بحر فارس وذلك أنك إذا أخذت من فم هذا الخليج يعني من مبدئه إلى المحيط أتك ربح واحدة إلى أكثر هذا البحر وبين القلزم الذي هو لسان بحر فارس وبين بحر الروم على سمت القبلة أربع مراحل وزعم بعض المفسرين في قوله تعالى (بينهما برزخ لا يبغيان) أنه هذا الموضع .

فصل في ذكر المسافات

فن مصر إلى أقصى الغرب نحو مائة وثلاثين مرحلة فكان ما بين أقصى المغرب إلى أقصاها بالشرق نحو أربع مائة مرحلة . وأما عرضها من أقصاها في حد الشمال إلى أقصاها في حد الجنوب فأنك تأخذ من ساحل البحر المحيط حتى تنتهي إلى يأجوج ومأجوج ثم تمر على الصقالة وتقطع أرض البلغار الداخلة والصقالة الداخلة وتمضي في بلاد الروم إلى الشام وأرض مصر والنوبة ثم تمتد في برية بين بلاد السودان وبلاد الزنج حتى تنتهي إلى البحر المحيط فهذا خط ما بين جنوب الأرض وشمالها . وأما مسافة هذه الأرض وهذا الخط فمن ناحية يأجوج ومأجوج إلى بلغار وأرض الصقالة نحو أربعين مرحلة ومن أرض الصقالة إلى بلاد الروم إلى الشام نحو ستين مرحلة ومن أرض الشام إلى أرض مصر نحو ثلاثين مرحلة ومنها إلى أقصى النوبة نحو ثمانين مرحلة حتى تنتهي إلى هذه البرية فذلك مائتان وعشر مراحل كلها عامرة وأما ما بين يأجوج ومأجوج والبحر المحيط في الشمال وما بين براري السودان والبحر المحيط في الجنوب فقفر خراب ليس فيه عمارة ولا حيوان ولا نبات ولا يعلم مسافة هاتين البريتين إلى المحيط كم هي وذلك أن سلوكها غير ممكن لفرط البرد الذي يمنع من العمارة والحياة في الشمال وفرط الحر المانع من العمارة والحياة في الجنوب وجميع ما بين الصين والغرب فعمور كله والبحر المحيط محتف به كالطوق ويأخذ البحر الرومي من المحيط ويصب فيه ويأخذ البحر الفارسي من المحيط أيضا ولكن لا يصب فيه . وأما بحر الخزر فليس يأخذ من المحيط ولا من غيره شيئا أصلا غير أنه مخلوق من مكانه من غير مادة لكن يصب في المحيط بواسطة خليج القسطنطينية وهو بحر هائل لو سار السائر على ساحله من الخزر على أرض الديلم وطبرستان وجرجان ومقازة سياه كوه لعاد إلى المكان الذي سار منه من غير أن يمنعه مانع إلا نهرا يقطع فيه . وأما بحيرة خوارزم

فكذلك غير أن لا مصب لها في المحيط، فهذه الأبحر الأربعة العظام التي على وجه الأرض، وفي أراضي الزنج وبلدانهم خليجان تأخذ من المحيط وكذلك من وراء أرض الروم خليجان وبحار لا تذكر لقصورها عن هذه البحار وكثرتها ويأخذ من البحر المحيط أيضا خليج حتى ينتهي على ظهر أرض الصقالبة نحو شهرين ويقطع أرض الروم على القسطنطينية حتى يقع بحر الروم. وأما أرض الروم فحدها من هذا البحر المحيط على بلاد الجلالقة وإفريقية ورومية وإشنياس إلى القسطنطينية ثم إلى أرض ريشيدان يكون نحو مائة وسبعين مرحلة وذلك أن من حد الثغور في الشمال إلى أرض الصقالبة نحو شهرين وقد بينت لك أن من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال مائتي مرحلة وعشر مراحل. وأما الروم المحض من حد رومية إلى حد الصقالبة وما ضمته إلى بلاد الروم من الإفريقية والجلالقة وغيرهم فإن ألسنتهم مختلفة غير أن الدين واحد والمملكة واحدة كما أن في مملكة الاسلام السنة مختلفة والملك واحد. وأما مملكة الصين على ما زعم أبو إسحق الفارسي وأبو إسحق إبراهيم بن البكين حاجب ملك خراسان فأربعة أشهر في ثلاثة أشهر فإذا أخذت من فم الخليج حتى تنتهي إلى ديار الاسلام مما وراء النهر فهو نحو ثلاثة أشهر وإذا أخذت من حد المشرق حتى تقطع إلى حد المغرب في أرض التبت وتمتد في أرض التغرغر وخزخيز وعلى ظهر كيماك إلى البحر فهو نحو أشهر ثم في أرض الصين ومملكته السنة مختلفة وجميع الأتراك من التغرغر وخزخيز وكيماك والغزية وإلى الخزجية ألسنتهم واحدة وبعضهم يفهم عن بعض ومملكة الصين كلها منسوبة إلى الملك المقيم بالقسطنطينية وكذلك مملكة الاسلام كانت منسوبة إلى الملك المقيم ببغداد ومملكة الهند منسوبة إلى الملك المقيم بقنوج وفي بلاد الأتراك ملوك متميزون بممالكهم. وأما الغزية، فإن حدود ديارهم ما بين الخزر وكيماك وأرض الخزجية وأطراف بلغار وحدود الديلم ما بين جرجان إلى باراب وإسبيجاب وديار الكيماك

وأما ياجوج وماجوج فهم في ناحية الشمال إذا قطعت ما بين
الكيمياء والصقالية والله أعلم بمقاديرهم، وبلادهم بلاد شاهقة لا ترقاها
الدواب ولا يصعدهما إلا الرجال قال ولم يخبر أحد عنهم خيرا أوجه من
أنى إسحق صاحب خراسان فانه أخبر أن تجارتهم إنما تصل إليهم على ظهور
الرجال وأصلاب الخنزير وأنهم ربما أقاموا في صعود الجبل ونزوله الأسبوع
والعشرة أيام. وأما خزخيز فانه ما بين التفرغر وكيماك والبحر المحيط وأرض
الخنزلية والغزية. وأما التفرغر فقوم بين أطراف التبت وأرض الصين
والصين ما بين البحر المحيط والتفرغر والتبت والخليج الفارسي. وأما أرض
الصقالية فعريضة طويلة نحو شهرين في شهرين، وبلغار مدينة صغيرة ليس لها
أعمال كثيرة وكانت مشهورة لأنها كانت ميناء وفرضة لهذه الممالك فاكنتسحتها
الروس وأتل وسمندر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة فأضعفتها. والروس قوم
بناحية بلغار فيما بينها وبين الصقالية وقد انقطعت طائفة من الترك عن بلادهم
فصاروا ما بين الخزر والروم يقال لهم اليخباكية وليس موضعهم بدار لهم
على قدم الأيام. وأما الخزر فانه جنس من الترك على هذا البحر المعروف
بهم. وأما أتل فهم طائفة أخرى قديمة وسموا باسم نهرهم أتل الذي يصب
في هذا البحر وبلدهم أيضا تسمى أتل وليس لهذا البلد سعة رزق ولا خفض
عيش ولا اتساع مملكة وهو بلد بين الخزر واليخباكية والسرير. وأما
التبت فانه بين أرض الصين والهند وأرض التفرغر والخنزلية وبحر فارس
وبعض بلاده في مملكة الهند وبعضها في مملكة الصين ولهم ملك قائم بنفسه
يقال إن أصله من التبابعة ملوك اليمن، والله أعلم.

وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان التي في أقصى المغرب على البحر
المحيط ببلاد منقطعة ليس بينها وبين شيء من الممالك اتصال غير أن حدا لها
ينتهي إلى المحيط وحدا لها ينتهي إلى برية بينها وبين أرض المغرب وحدا
لها إلى برية بينها وبين بلاد مصر على الواحات وحدا لها إلى البرية التي ذكرنا

أن لا نبات بها ولا حيوان ولا عمارة لشدة الحر، وقيل إن طول أرضهم سبعة مائة فرسخ في مثلها غير أنها من البحر إلى ظهر الواحات وهو طولها وهو أطول من عرضها . وأما أرض النوبة : فإن حدا لها ينتهى إلى بلاد مصر وحدا لها إلى هذه البرية المهلكة التى ذكرناها وحدا لها ينتهى إلى البرية التى بين بلاد السودان وبلاد مصر المتقدم ذكرها أيضا وحدا لها إلى أرض البجة . وأما أرض البجة : فإن ديارهم صغيرة وهم فيها بين الحبشة والنوبة وهذه البرية التى لا تسلك . وأما الحبشة فانها على بحر القلزم وهو بحر فارس فينتهى حد لها إلى بلاد الزنج وحد لها إلى البرية التى بين النوبة وبحر القلزم وحد لها إلى البجة والبرية التى لا تسلك . وأما أرض الزنج فانها أطول أراضي بلاد السودان ولا تتصل بمملكة من الممالك أصلا غير بلاد الحبشة وهى فى مجاورة اليمن وفارس وكرمان فى الجنوب إلى أن تحاذى أرض الهند . وأما أرض الهند : فإن طولها من عمل مكران فى أرض المنصورة والبدهة وسائر بلاد السند إلى أن ينتهى إلى قنوج ثم تجوزه إلى أرض التبت نحو من أربعة أشهر وعرضها من بحر فارس على أرض قنوج نحو من ثلاثة أشهر . وأما مملكة الاسلام : فإن طولها من حد فرغانة حتى تقطع خراسان والجلال والعراق وديار العرب إلى سواحل اليمن فهو نحو خمسة أشهر وعرضها من بلاد الروم حتى تقطع الشام والجزيرة والعراق وفارس وكرمان إلى أرض المنصورة على شاطئ بحر فارس نحو أربعة أشهر وإنما تركت فى ذكر طول مملكة الاسلام حد المغرب إلى الأندلس لأنه مثل الكم فى الثوب وليس فى شرقى المغرب ولا فى غريبه إسلام لأنك إذا جاوزت شرقى أرض المغرب كان جنوبى المغرب بلاد السودان وشماله بحر الروم ثم أرض الروم ولو صلح أن يجعل من أرض فرغانة إلى أرض المغرب والأندلس طول الاسلام لكان مسيرة مائتى مرحلة وزيادة لأن من أقصى المغرب إلى مصر نحو تسعين مرحلة ومن مصر إلى العراق نحو ثلاثين مرحلة ومن العراق إلى بلخ نحو ستين مرحلة ومن بلخ إلى فرغانة نحو عشرين مرحلة والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل في صفة الأرض وتقسيمها من غير الوجه الذي تقدم ذكره

قال الله عز وجل : (ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا) وقال عز من قائل : (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء) وقال سبحانه وتعالى : (والله جعل لكم الأرض بساطا) قال قوم من المفسرين معنى المهاد والبساط : القرار عليها والتمكن منها والتصرف فيها وقد اختلف العلماء في هيئة الأرض وشكلها فذكر بعضهم أنها مبسوطة مستوية السطح في أربع جهات المشرق والمغرب والجنوب والشمال وزعم آخرون أنها كهيئة المائدة ومنهم من زعم أنها كهيئة الطبل وذكر بعضهم أنها تشبه نصف الكرة كهيئة القبة وأن السماء مركبة على أطرافها . والذي عليه الجمهور أن الأرض مستديرة كالكرة وأن السماء محيطة بها من كل جانب كاحاطة البيضة بالحنة فالصفرة بمنزلة الأرض وبياضها بمنزلة الماء وجلدها بمنزلة السماء غير أن خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستديرة المستوية الخراط حتى قال مهندسوهم لو حفر في الوجه الأرض لأدى إلى الوجه الآخر ولو ثقب مثلاً بأرض الأندلس لنفذ الثقب بأرض الصين وزعم قوم أن الأرض مقعرة وسطها كالجام . واختلف في كمية عدد الأرضين قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين : (الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) فاحتمل هذا التمثيل أن يكون في العدد والطباق فروى في بعض الأخبار أن بعضها فوق بعض وغلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام حتى عتدد بعضهم لكل أرض أهلا على صفة وهيئة عجيبة وسمى كل أرض باسم خاص كما سمي كل سماء باسم خاص وزعم بعضهم أن في الأرض الرابعة حيات أهل الدنيا وفي الأرض السادسة حجارة أهل النار فمن نازعته نفسه إلى الاستشراف عليها نظر في كتب وهب بن منه وكعب ومقاتل . وعن عطاء بن يسار في قول الله عز وجل : (سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال في كل أرض آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوح وإبراهيم مثل إبراهيم والله أعلم .

وليس هذا القول بأعجب من قول الفلاسفة : إن الشمس شمس كثيرة والآفار آفار كثيرة ففي كل إقليم شمس وقر ونجوم . وقال القدماء الأرض سبع على المجاورة والملاصقة وافتراق الأقاليم لا على المطابقة والمكاسة وأهل النظر من المسلمين يميلون إلى هذا القول . ومنهم من يرى أن الأرض سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقى ويزعم بعضهم أن الأرض مقسومة خمس مناطق وهى المنطقة الشمالية والجنوبية والمستوية المعتدلة والوسطى . واختلفوا فى مبلغ الأرض وكتبها فروى عن مكحول أنه قال مسيرة ما بين أقصى الدنيا إلى أدناها خمسمائة سنة مائتان من ذلك فى البحر ومائتان ليس يسكنها أحد وثمانون فيها بأجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق . وعن قتادة قال : الدنيا أربعة وعشرون ألف فرسخ منها اثنا عشر ألف فرسخ ملك السودان وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب ألف فرسخ . وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال ربع من لا يلبس الثياب من السودان أكثر من جميع الناس وقد حدد بطليموس مقدار قطر الأرض واستدارتها فى المحيط بالتقريب قال استدارة الأرض مائة ألف وثمانون ألف اسطاريوس والاسطاريوس : أربعة وعشرون ميلا فيكون على هذا الحكم مائة ألف ألف وأربعمائة وأربعين ألف فرسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل ثلاثة آلاف ذراع بالملكى والذراع ثلاثة أشبار وكل شبر اثنا عشر أصبعاً والأصبع الواحد خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى بعض وعرض الشعيرة الواحدة ست شعرات من شعر بغل . والاسطاريوس : اثنان وسبعون ألف ذراع قال وغازط الأرض وهو قطرها سبعة آلاف وستمائة وثلاثون ميلا فيكون ألفين وخمسمائة فرسخ وخمسة وأربعين فرسخاً (١) وثلاثي فرسخ قال (١) قوله وخمسة وأربعين فرسخاً الخ صوابه أن يقول وثلاثة وأربعين فرسخاً وثلاث فرسخ كما يظهر لك عند التأمل اهـ .

فبسط الأرض كلها مائة واثنان وثلاثون ألف ألف وستائة ألف ميل فيكون مائتي ألف وثمانية وثمانين ألف فرسخ فان كان ذلك حقا فهو وحى من الحق سبحانه أو إلهام وإن كان قياسا واستدلالا فقريب أيضا من الحق، والله أعلم .
وأما قول قتادة ومكحول فلا يوجب العلم اليقين الذى يقطع على الغيب به . واختلفوا فى البحار والمياه والأنهار فروى المسلمون أن الله خلق ماء البحار مرارعاقا ، وأنزل من السماء ماء عذبا كما قال تعالى : (أفرايتم الماء الذى تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون) وقال تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه فى الأرض) فكل ماء عذب من بئر أو نهر أو عين فمن ذلك الماء المنزل من السماء فاذا اقتربت الساعة بعث الله ملكا معه طست لا يعلم عظمه إلا الله تعالى فجمع تلك المياه فردها إلى الجنة .

وزعم أهل الكتاب أن أربعة أنهار تخرج من الجنة : الفرات وسبحان وجيحان ودجلة، وذلك أنهم يزعمون أن أهل الجنة فى مشارق الأرض وروى أن الفرات جزر فى أيام معاوية رضى الله عنه فرمى برمانة مثل البعير المبارك فقال كعب إنها من الجنة فان صدقوا فليست هى بجنة الخلد ولكنها من جنان الأرض . وعند القدماء أن المياه من الاستحالات فطعم كل ماء على طعم أرضه وتربه ، وأما نحن فلا ننكر قدرة الله تعالى على إحالة الشيء على ما يشاء كما تحول النطفة علقية والعلقة مضغة ثم كذلك حالا بعد حال إلى أن يفنيه كما يشاء وكما أنشأ فسبحان من قدرته صالحة لكل شيء .

واختلفوا أيضا فى ملوحة البحر فزعم قوم أنه لما طال مكثه وألحت الشمس عليه بالاحراق صار مراملحا واجتذب الهواء ما لطف من أجزائه فهو بقية ماصفته الأرض من الرطوبة فغاظ لذلك . وزعم آخرون أن فى البحر عروقا تغير ماء البحر ولذلك صار مرارعاقا . واختلفوا فى المد والجزر فزعم أرسطاطاليس أن علة ذلك من الشمس إذا حركت الرياح فاذا

ازدادت الرياح كان منها المد وإذا نقصت كان منها الجزر وزعم كياوش أن المد بانصباب الأنهار في البحر والجزر بسكونها ، والمنجمون منهم من زعم أن المد بامتلاء القمر والجزر بنقصانه وقد روى في بعض الأخبار أن الله جعل ملكاً موكلاً بالبحار فإذا وضع قدمه في البحر مد وإذا رفعه جزر فإن صح ذلك والله أعلم كان اعتقاده أولى من المصير إلى غيره مما لا يقيد حقيقة ولو ذهب ذاهب إلى أن ذلك الملك هو مهب الرياح التي تكون سبباً للمد وتزيد في النهار وتفعل ذلك عند امتلاء القمر حتى يكون توفيقاً وجمعاً بين الكل لكان ذلك مذهباً حسناً ، والله أعلم .

واختلفوا في الجبال قال الله تعالى : (وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بهم) وقال تعالى : (ق والقرآن المجيد) قال بعض المفسرين إن من جبل قاف إلى السماء مقدار قامته رجل طويل . وقال آخرون بل السماء منطبقة عليه . وقال قوم من وراء قاف عوالم وخلائق لا يعلمها إلا الله تعالى . ومنهم من يقول ما وراءه فهو من حد الآخرة ومن حكمها وأن الشمس تطلع منه وتغرب فيه وهو السائر لها عن الأرض ومنهم من يزعم أن الجبال عظام الأرض وعروقها .

واختلفوا فيما تحت الأرض أما القدماء فأكثرهم يزعمون أن الأرض يحيط بها الماء وهذا ظاهر . والماء يحيط به الهواء ، والهواء يحيط به النار ، والنار تحيط بها السماء الدنيا ، ثم السماء الثانية ، ثم الثالثة إلى السبع ، ثم يحيط بالكل فلك الكواكب الثابتة ، ثم يحيط بالكل فلك الأعظم الأطلس المستقيم ثم يحيط بالكل عالم النفس ، وفوق عالم النفس عالم العقل ، وفوق عالم العقل عالم الروح والأمر ، وفوق عالم الروح والأمر الحضرة الإلهية (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) . وعلى قاعدة مذهب القدماء يلزم أن تحت الأرض سماء كما فوقها ، وروى أن الله تعالى لما خلق الأرض كانت تنكفاً كما تنكفأ السفينة فبعث الله ملكاً فهبط حتى دخل تحت الأرض

فوضعها على كاهله ثم أخرج يديه إحداهما بالشرق والأخرى بالمغرب ثم قبض على الأرضين السبع فضبطها فاستقرت ولم يكن لقدم الملك قرار فأهبط الله ثورا من الجنة له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة فجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تصل قدماه إلى سنامه فبعث الله تعالى ياقوته خضراء من الجنة غلظها مسيرة كذا ألف عام فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليها قدما الملك وقرون الثور خارجة من أقطار الأرض ممتدة إلى العرش ومنخر الثور في ثقبين من تلك الياقوتة الخضراء تحت البحر فهو يتنفس في كل يوم نفسين فإذا تنفس مد البحر وإذا رد النفس جزر البحر ، ولم يكن لقوائم الثور قرار تخلق الله كثيبا من رمل كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت عليه قوائم الثور ثم لم يكن للكثيب مستقر تخلق الله حوتا يقال له البهموت فوضع الكثيب على وبر الحوت والوبر الجناح الذي يكون في وسط ظهره وذلك الحوت مزوم بسلسلة من القدرة كغلظ السموات والأرض مراراً قال وانتهى إبليس لعنه الله إلى ذلك الحوت فقال له ما خلق الله خلقاً أعظم منك فلم لا تزيل الدنيا عن ظهرك فهم بشيء من ذلك فسلط الله عليه بقة في عينه فشغله . وزعم بعضهم أن الله سلط عليه سمكة كالشبر وشغله بها فهو ينظر إليها ويهاها ويخافها . قيل وأنبت الله عز وجل من تلك الياقوتة جبل قاف وهو من زمردة خضراء ، وله رأس ووجه وأستان وأنبت من جبل قاف الجبال الشواهد كما أنبت الشجر من عروق الشجر وزعم وهب رضى الله عنه أن الثور والحوت يتلعان ما ينصب من مياه الأرض في البحار فلذلك لا تؤثر في البحور زيادة فاذا امتلأت أجوافهما من المياه قامت القيامة . وزعم قوم أن الأرض على الماء والماء على الصخرة والصخرة على سنام الثور ، والثور على كثيب من الرمل متلبداً ، والكثيب على ظهر الحوت ، والحوت على الريح العقيم ، والريح العقيم على حجاب من ظلمة ، والظلمة على الثرى . وإلى الثرى انتهى علم الخلائق ولا يعلم ما وراء

ذلك أحد إلا الله عز وجل الذي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وهذه الأخبار بما يتولع به الناس ويتنافسون فيه ولمعنى أن ذلك مما يزيد المرء بصيرة في دينه وتعظيماً لقدرة ربه وتحيراً في عجائب خلقه فإن صحت فما خلقها على الصانع القدير بعزير وإن يكن من اختراع أهل الكتاب وتعميق القصاص فكلها تمثيل وتشبيه ليس بمنكر، والله أعلم وقد روى شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن الحسن عن أنى هريرة رضى الله عنهم قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال : هل تدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا العنان هذه زوايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونهم ثم قال : هل تدرون ما الذى فوقكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : فانها الرقيع سقف محفوظ ، وموج مكفوف ثم قال : هل تدرون كم بينكم وبينها ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال فوقه العرش (١) وبينه وبين السماء كبعد ما بين سماءين أو كما قال ، ثم قال : أندرون ماتحتكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال الأرض وتحتها أرض أخرى بينهما خمسمائة عام ، ثم قال : والذى نفس محمد بيده لو أنكم أدليتكم بحبل لھبطتم على الله ثم قرأ صلى الله عليه وسلم : هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، الآية فهذا الخبر يشهد بصدق كثير مما يروون إن صح والله أعلم .

ولنرجع الآن إلى ما نحن بصدده من ذكر شرح الدائرة المذكورة وتفصيل البلدان وذكرها وذكر عجائبها وأخبارها .

فهرست ما نذكره إن شاء الله تعالى من الفصول المتضمنة لذلك

فصل في ذكر البلدان والاقطار . فصل في الخليجان والبحار . فصل في الجزائر والآثار . فصل في العجائب للاعتبار . فصل في مشاهير الأنهار . فصل في العيون والآبار . فصل في الجبال الشواحق الكبار . فصل في خواص

(١) قوله قال فوقه العرش الخ ليتأمل ما فيه اهـ .

الأحجار ومنافعها . فصل في المعادن والجواهر وخواصها . فصل في النباتات والفواكه وخواصها . فصل في الحبوب وخواصها . فصل في البقول وخواصها . فصل في حشائش مختلفة وخواصها . فصل في البزور وخواصها . فصل في الحيوانات والطيور وخواصها . خاتمة الكتاب في ذكر الملاحم وعلامات الساعة وظهور الفتن والحوادث ولها فصول تذكّر عند الشروع في كتابتها إن شاء الله تعالى ، وباتمامه يتم الكتاب والله تعالى الموفق للصواب

فصل في ذكر البلدان والأقطار

اعلم وفقنا الله وإياك أن بين مطلع الشمس ومغربها مدنا وبلادا وأما لا نحصى كثرة ولا يحصى إلا الله سبحانه وتعالى ولكن نذكر منها ما في ذكره فائدة واعتبار من البلاد المشهورة ونضرب صفحا عن ذكر ما ليس بمشهور ولا اعتبار ولا فائدة في ذكره خوفا من التطويل والسآمة والله تعالى المستعان ، فنبتدى أولا بذكر بلاد المغرب إلى المشرق ثم نعود إلى بلاد الجنوب وهي بلاد السودان ثم نعود إلى بلاد الشمال وهي بلاد الروم والافرنج والصقالبة وغيرهم على ما سيأتي إن شاء الله تعالى .

(أرض المغرب) أولها البحر المحيط وهو بحر مظم لم يسلكه أحد ولا علم بشر ما خلفه وبه جزائر عظيمة كثيرة عامرة يأتي ذكرها عند ذكر الجزائر منها جزيرتان تسميان الخالدتين على كل واحدة منهما صنم طوله مائة ذراع بالملكي وفوق كل صنم منهما صورة رجل من نحاس يشير يده إلى خلف أي ماورائي شيء ولا مسلك والذي وضعهما وبتاهما لم يذكر له اسم .

فأول بلاد المغرب (السوس الأقصى) وهو إقليم كبير فيه مدن عظيمة أزلية وقرى متصلة وعمارات متقاربة وبه أنواع الفواكه الجليلة المختلفة الألوان والطعوم وبه قصب السكر الذي ليس على وجه الأرض مثله طولا وغلظا وحلاوة حتى قيل إن طول العمود الواحد يزيد على عشرة أشبار في

الغالب ودوره شبر وحلاوته لا يعادلها شيء حتى قيل إن الرطل الواحد من سكره يحمل عشرة أرطال من الماء وحلاوته ظاهرة ، ويحمل من بلاد السوس من السكر ما يعم جميع الأرض لو حمل إلى البلاد ، وبها تعمل الأكسية الرفيعة الخارقة والثياب الفاخرة السوسية المشهورة في الدنيا ، ونساؤها في غاية الحسن والجمال والظرف والذكاء وأسعارها في غاية الرخص والخصب بها كثير ، فمن مدنها المشهورة (تارودنت) وهي مدينة العظام من ملوك الغرب بها أنهار جارية وبساتين مشتبكة وفواكه مختلفة وأسعار رخيصة ، والطريق منها إلى أغصان أريكة في أسفل جبل ليس في الأرض مثله إلا القليل في العلو والارتفاع وطول المسافة واتصال العمارة وكثرة الأنهار والتفاف الأشجار والفواكه الفاخرة التي يباع منها الحمل بغير رطل من الذهب وبأعلى هذا الجبل أكثر من سبعين حصنا وقلعة ، منها حصن منبع هو عمارة محمد بن تومرت ملك الغرب إذا أراد أربعة من الناس أن يحفظوه من أهل الأرض حفظوه لحصاته ، اسمه تأملت ، ولما مات محمد بن تومرت المذكور بجبل الكواكب حمل ودفن في هذا الحصن (وأذكا) وهي أول مراقي الصحراء وهي مدينة متسعة ، وقيل إن النساء التي فيها لا أزواج لهن إذا بلغت إحداهن أربعين سنة تصدق بنفسها على الرجال فلا تمتنع من يريدنها (سجلامة) من مدنها المشهورة وهي واسعة الأقطار عامرة الديار رائقة البقاع فائقة القرى والضياح غزيرة الخيرات كثيرة البركات يقال إنه يسير السائر في أسواقها نصف يوم فلا يقطعها وليس لها حصن ، بل قصور شاهقة وعمارات متصلة خارقة ، وهي على نهر يأتي من جهة المشرق ، وبها بساتين كثيرة وثمار مختلفة ، وبها رطب يسمى البتوني وهو أخضر اللون حسن المنظر أحلى من الشهد ونواه في غاية الصغر ، ويقال إنهم يزرعون ويحصدون الزرع ويتركون جذوره وأصوله في الأرض على حالها قائمة فإذا كان في العام المقبل وعه الماء نبت ثانی مرة واستغله أربابه من غير بذر ، وبها يأكلون الكلاب

والجرازين وغالب أهلها عمش العيون .

(وروقادة) وهى مدينة عظيمة حصينة خصية ذكر أهل الطبائع أنه يحصل للرجل بها الضحك من غير عجب والسرور من غير طرب وعدم الهم والنصب ولا يعلم لذلك . وجب ولا سبب .

(أغمات) وهى مدينتان أغمات أريكة ، وهى مدينة عظيمة فى ذيل جبل كثير الأشجار والثمار والأعشاب والنباتات ونهرها يشقها وعلى النهر أرحية كثيرة تدور صيفا وفى الشتاء يجمد ويجوز عليه الناس والدواب ، وبها عقارب قتالة فى الحال ، وأهلها ذور أموال ويسار ولهم على أبوابهم علامات تدل على مقادير أموالهم .

(أغمات إبلان) وهى مدينة كبيرة فى أسفل جبل يسكنها يهود تلك البلاد .

(فاس) وهى مدينة كبيرة ومدينة صغيرة يشقها نهر كبير يأتى من عيون صنهاجة وعليه أرحاء كثيرة وتسمى إحدى هاتين المدينتين : الإندلس ومياها قليلة ، والآخرى القرونس ، وهى ذات مياه كثيرة يجرى الماء فى كل شارع منها وسوق وزقاق وحمام ودار ، وفى كل زقاق ساقية متى أراد أهل الزقاق أن يجرروها أجروها وإذا أرادوا قطعها قطعوها .

(المهدية) مدينة حسنة حصينة بناها المهدي الفاطمى وحصنها وجعل لها أبوابا من حديد فى كل باب ما يزيد على مائة قنطار ولما بناها وأحكمها ، قال الآن أمنت على الفاطميين .

(سبتة) مدينة فى بر العدو قبلة الجزيرة الخضراء ، وهى سبعة أجيال صغار متصلة عامرة ويحيط بها البحر من ثلاث جهاتها ، وفيها أسماك عظيمة ليست فى غيرها ، وبها شجر المرجان الذى لا يفوقه شئ حسنا وكثرة ، وبها سوق كبير لأصلاح المرجان ، وبها من الفواكه وقصب السكر شئ كثير جدا . (طنجة) هى فى العدو أيضا ، وكذلك قومنس وباقي المدن المشهورة كإفريقية ، وناهرت ، ووهران ، والجزائر ، والمقل ، والقيروان فكلها مدن حسنة متقاربة المقادير والله سبحانه وتعالى أعلم .

الغرب الأوسط وهو شرقي بلاد البر

ومن مدنه بلاد الأندلس وسميت بالأندلس لأنها جزيرة مثلكة الشكل رأسها في أقصى المغرب في نهاية المعمور وكان أهل السوس وهم أهل الغرب الأقصى يضرون أهل الأندلس في كل وقت وياقون منهم الجهد الجهد إلى أن اجتاز بهم الاسكندر فشكوا إليه حالهم فأحضر المهندسين وحضر إلى الزقاق وكان له أرض جافة فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامى فوجدوا المحيط يعلو البحر الشامى بشئ يسير فأمر برفع البلاد التي على ساحل البحر الشامى ونقلها من الحضيض إلى الأعلى ثم أمر أن تحفر الأرض بين طنجة وبلاد الأندلس فحفرت حتى ظهرت الجبال السفلية وبنى عليها رصيفا بالحجر والجير بناء محكما وجعل طوله اثني عشر ميلا وهي المسافة التي كانت بين البحرين وبنى رصيفا آخر يقابله من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين ستة أميال فلما أكمل الرصيفين حفر لها من جهة البحر الأعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين ودخل في البحر الشامى ثم فاض ماؤه فأغرق مدنا كثيرة وأهلك أمما عظيمة كانت على الشاطئين وطمى الماء على الرصيفين إحدى عشرة قامة ، فأما الرصيف الذي يلي بلاد الأندلس فانه يظهر في بعض الأوقات إذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة ، وأما الرصيف الذي من جهة طنجة فان الماء حمله في صدره واحتفر ما خلفه من الأرض اثني عشر ميلا وعلى طرفه من جهة الشرق الجزيرة الخضراء وعلى طرفه من جهة الغرب جزيرة طريف وتقابل الجزيرة الخضراء في بر العدو سبتة وبين سبتة والجزيرة الخضراء عرض البحر والأندلس به جزائر عظيمة كالخضراء وجزيرة قادس وجزيرة طريف وكلها عامرة مسكونة أهلة (ومن مدنه أشيلية) وهي مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة وعليه جسر مربوطة به السفن وبها أسواق قائمة وتحاترات رابحة وأهلها ذوو أموال عظيمة

وأكثر متاجرهم في الزيت وهو يشتمل على كثير من إقليم الشرف وإقليم الشرف على تل عال من تراب أحمر مسافته أربعون ميلا في مثلها يمشى فيها المسافر في ظل الزيتون والتين ولها على ما ذكر التجار ثمانية آلاف قرية عامرة بالأسواق العامرة والديار الحسنة والفنادق والحمامات (ومن أقاليم الأندلس إقليم الكنتانية) ومن مدنها المشهورة قرطبة وهي قاعدة بلاد الأندلس ودار الخلافة الإسلامية وهي مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد وسراة الناس في حسن المآكل والملابس والمراكب وعلو الهمة وبها أعلام العلماء وسادات الفضلاء وأجلاد الغزاة وأجداد الحروب وهي في نفسها خمس مدن يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور حصين حاجز وبكل مدينة منها ما يكفها من الأسواق والفنادق والحمامات والصناعات وطولها ثلاثة أميال في عرض ميل واحد وهي في سفح جبل مغال عليها يسمى جبل القروس مدينتها الثالثة وهي الوسطى فيها باب القنطرة وبها الجامع الذي ليس في معمور الأرض مثله طوله مائة ذراع في عرض ثمانين ذراعا وفيه من السواري الكبار ألف سارية وفيه مائة وثلاث عشرة ثريا للوقود أكبرها يحمل ألف مصباح وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول وعلى فرجة المحراب سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوس فوق القامة قد تحير الروم والمسلمون في حسن وضعها، وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنتان أخضران واثنتان لازورديان ليس لها قيمة، وبه منبر ليس على معمور الأرض مثله في حسن صنعه، وخشبه ساج وأبنوس وبقس وعود قافلي، وبذكر في كتب تواريخ بني أمية، أنه أحكم عمله ونقشه في سبع سنين، وكان يعمل فيه ثمان صناعات لكل صانع في كل يوم نصف مثقال نحس، وكان جملة ما يحرف على المنبر أجرة لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسي مثقال، وفي الجامع حاصل كبير لأن من آتية الذهب والفضة لأجل وقوده وبهذا الجامع مصحف فيه أربع ورقات من

مصحف عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه بخطه أى بخط يده وفيه نقط من دمه وله عشرون باباً مصفحات بالنحاس الأندلسى مخزومات تخريماً يعجز البشر ، وفي كل باب حلق في نهاية الصنعة والحكمة وبه الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالملكي المعروف بالرشاشي وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر مكتوب على أحدها اسم محمد ، وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح والجميع خلقه ربانية .

وبمدينة قرطبة القنطرة العجيبة التي فاقت قناطر الدنيا حسناً وإتقاناً ، وعدد قسماً سبعة عشر قوساً كل قوس منها خمسون شبراً وبين كل قوسين خمسون شبراً ومحاسن هذه المدينة أعظم من أن يحيط بها وصف ومن أقاليم جزيرة الأندلس إقليم أشبونة

ومن مدنها أشبونة : وهي مدينة حسنة شمالى النهر المسمى باجة الذي هو نهر طليطلة والمدينة ممتدة مع هذا النهر وهي على بحر مظم وبها أسواق قائمة وفنادق عامرة وحمامات كثيرة ولها سور منيع ويقال له على ضفة البحر حصن المعدن وسعى بذلك لأن البحر يمتد عند سيحانه فيقذف بالذهب النهر إلى نحو ذلك الحصن وما حوله فإذا رجع الماء قصد أهل تلك البلاد نحو هذا الحصن فيجدون به الذهب إلى أوان سيحانه أيضاً ومن أشبونة هذه كانت خروج المغرورين في ركوب البحر المظلم الذي في أقصى بلاد الغرب وهو بحر عظيم هائل غليظ المياه كدر اللون شامخ الموج صعب النظر لا يمكن ركوبه لأحد من صعوبته وظلمته متته وتعاضم أمواجه وكثرة أهواله وهيجان رياحه وتسلط دوابه وهذا البحر لا يعلم أحد قعره ولا يعلم ما خلفه إلا الله تعالى وهو غور المحيط ولم يقف أحد من خبره على الصحة ، ولا ركه أحد ملججاً أبداً إنما يمر مع ذيل الساحل لأن به أمواجاً كالجبال الشوامخ ودوى هذا البحر كظم دوى الرعد لكن أمواجه لا تنكسر ولو تكسرت لم يركبه أحد لا ملججاً ولا مسوحلاً .

حكاية: اتفق جماعة من أهل أشبونة ، وهم ثمانية أنفس وكلهم بنو عم
فأنشروا مركباً كبيراً وحملوا فيه من الزاد والماء ما يكفيهم مدة طويلة
وركبوا متن هذا البحر ليعرفوا ما في نهايته ويرى ما فيه من العجائب وتحالفوا
أنهم لا يرجعون أبداً حتى يبتها إلى البر الغربي أو يمتوا فصاروا فيه ملججين
أحد عشر يوماً فدخلوا إلى بحر غليظ عظيم الموج كدر الريح مظلم المثلج والقمر
كثير القروش فأيقنوا بالهلاك والعطب فرجعوا مع البحر في الجنوب اثني
عشر يوماً فدخلوا إلى جزيرة الغنم وفيها من الأغنام ما لا يحصى عددها إلا
الله تبارك وتعالى وليس بها آدمي ولا بشر ولا لها صاحب فنهضوا إلى الجزيرة
وذبحوا من تلك الغنم وأصلحوه وأرادوا الأكل فوجدوا الحومها مرة لا توكل
فأخذوا من جلودها ما أمكنهم ، ووجدوا بها عين ماء عذب فلكثوا منها وسافروا
مع الجنوب اثني عشر يوماً آخر فوافوا جزيرة وبها عمارة فقصدوها ، فلم
يشعروا إلا وقد أحاط بهم زوارق بها قوم موكلون بها فقبضوا عليهم وحملوهم
إلى الجزيرة فدخلوا إلى مدينة على ضفة البحر وأنزلوهم بدار ورأوا بتلك
الجزيرة والمدينة رجالا شقرا الألوان طوال القدود ولنسائهم جمال مفرط
خارج عن الوصف فتركوهم في الدار ثلاثة أيام ثم دخل عليهم في اليوم
الرابع إنسان ترجمان وكلهم بالعربي وسألهم عن حالهم فأخبروه بخبرهم ،
فأحضروا إلى ملكهم وأخبره الترجمان بما أخبروه من حالهم فضحك الملك
منهم وقال للترجمان قل لهم إني وجهت من عندي قوما في هذا البحر ليأتوني
بخبز ما فيه من العجائب ، فساروا مغربين شهراً حتى انقطع عنهم الضوء
وصاروا في مثل الليل المظلم ، فرجعوا من غير فائدة ووعدهم الملك خيراً .
وأقاموا عنده حتى هبت ريحهم فبقعهم مغ قوم من أصحابه في زورق وكنفهم
وعصبوا أعينهم وسافروا بهم مدة لا يعلمون كم هي ثم تركوهم على الساحل
وانصرفوا فلما سمعوا كلام الناس صاحوا فأقبلوا إليهم وحلوا عن أعينهم
وقطعوا كتافهم وأخبرهم الجماعة فقال لهم الناس هل تدرون كم بينكم وبين

أرضكم؟ قالوا لا! قالوا فوق شهر، فرجعوا إلى بلادهم ولهم في أشبونة حارة مشهورة تسمى حارة المغرورين إلى الآن.

(ومالقة) وهي مدينة كبيرة واسعة الأفطار عامرة الديار قد استدار بها من جميع جهاتها ونواحيها شجر التين المنسوب إلى رية وهو أحسن التين لونا، وأكبره جرما، وأنعمه شحما، وأحلاه طعما، حتى أنه يقال ليس في الدنيا مدينة عظيمة يحيط بها سور من حلاوة، عرض السور يوم للمسافرين إلى مالقة، ويحمل منها التين إلى سائر الأقاليم حتى إلى الهند والصين وهو مسافة سنة لحسنه وحلاوته، وعدم تسويسه وبقاء صحته، ولها رمضان عامران ربض عام للناس، وربض للتبائين وشرب أهلها من الآبار وبينها وبين قرطبة حصون عظيمة.

ومن أقاليم جزيرة الأندلس إقليم السيارات (ومن مدنه المشهورة غرناطة) وهي مدينة محدثة وما كان هناك مدينة مقصودة إلا النيرة فخرت وانتقل أهلها إلى غرناطة، وحسن الصنهاجي هو الذي مدنها وبنى قصبتها وأسوارها ثم زاد في عمارتها ابنه باديس بعده. وهي مدينة يشقها نهر الثلج المسمى سيدل وبدؤه من جبل سمكير والثلج بهذا الجبل لا يبرح.

ومن المدن المشهورة المرية: وكانت مدينة الاسلام في أيام الملثمين وكان بها من جميع الصناعات كل غريبة وكان بها لنسج الطرز ثمانمائة نول، ولحلل الحرير النفيسة والديباغ الفاخر ألف نول، وللسفلاطون كذلك وللثياب الجرجانية كذلك، وللأصبهانى مثل ذلك وللعتابى والمعاجر المذهبة الستور والمكحلة بالشرح وكان يصنع بها صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج مما لا يوصف وكان بها من أنواع الفاكهة العجيبة التي تأتيها من وادى نجانة ما يعجز عنه الوصف حسنا وطيبا وكثرة وتباع بأرخص ثمن وهذا الوادى طوله أربعون ميلا في مثلها كلها بساتين مشجرة وجنات نضرة وأنهار مطردة وطيور مفردة، ولم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالا من أهلها ولا أكثر

متاجر ، ولا أعظم ذخائر . وكان بها من الفنادق والحمامات ألف مغلق إلا ثلاثين وهى بين جبلين بينهما خندق معمور على الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة وعلى الجبل الآخر ربضها والسور يحيط بالمدينة والربض وغربها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ذو أسواق وحمامات وفنادق وصناعات وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة وأحجار أزية وكأنما غربلت أرضها من التراب ولها مدن وضياع متصلة الأنهار .

(قرطاجنة) مدينة أزية كثيرة الخصب ولها إقليم يسمى القندون قليل مثله فى طيب الأرض ونمو الزرع ويقال إن الزرع فيه يكتفى بمطرة واحدة وكانت هذه المدينة فى قديم الزمان من عجائب الدنيا لارتفاع بنائها وإظهار القدرة فيه وبها أقواس من الحجارة المقرنصة وفيها من التصاوير والتماثيل وأشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة ومن عجيب بنائها الدواميس وهى أربعة وعشرون داموساً على صف واحد من حجارة مقرنصة طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة فى عرض ستين خطوة ارتفاع كل واحد طول مائتى ذراع بين كل داموسين أثقاب محكمة تصل فيها المياه من بعضها إلى بعض فى العلو الشاهق بهندسة عجيبية وإحكام يبلغ . وكان الماء يجرى إليها من شوتار وهى عين بقرب القيروان تخرج من جانب جبل وإلى الآن يحفر فى هدمها من سنة ثلثمائة فيخرج منها من أنواع الرخام والمرمر والجزع الملون ما يبهى الناظر . قال الجوىلى : ولقد أخبرنى بعض التجار أنه استخرج منها ألواحاً من الرخام طول كل لوح أربعون شبراً فى عرض عشرة أشبار ، والحفر بها دائم على ممر الليالى والأيام لم يبتل أبداً ولا يسافر مركب أبداً فى البحر فى تلك المملكة إلا وفيه من رخامها ، ويستخرج منها أعمدة طول كل عمود ما يزيد على أربعين شبراً وغالب الدواميس قائمة على حالها . (وشاطبة) وهى مدينة حسنة يضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذى لا نظير له فى الأقاليم حسناً .

(قنطرة السيف) وهي مدينة عظيمة وبها قنطرة عظيمة هي من عجائب الدنيا وعلى القنطرة حصن عظيم منيع الذرى .
(طليطلة) وهي مدينة واسعة الأقطار عاصمة الديار أزلية من بناء العمالقة الأول العادية ولها أسوار حصينة لم ير مثلها إنقانا وامتناعا ولها قصبة عظيمة وهي على ضفة البحر الكبير يشقها نهر يسمى باجة ولها قنطرة عجبية وهي قوس واحد والماء يدخل من تحتها بشدة جرى وفي آخر النهر ناعورة طولها تسعون ذراعا بالرشاشي يصعد الماء إلى أعلى القنطرة فيجرى على ظهرها ويدخل إلى المدينة ، وكانت طليطلة دار مملكة الروم وكان فيها قصر مقفل أبدا وكلما تملك فيها ملك من الروم أقفل عليه قفلا محكما فاجتمع على باب القصر أربعة وعشرون قفلا ثم ولي الملك رجل ليس من بيت الملك فقصد فتح تلك الأقفال ليرى ما في داخلها ففتح من ذلك أكبر الدولة وأنكروا ذلك عليه وحذروه وجهدوا به فأبى إلا فتحها فبذلوا له جميع ما بأيديهم من نقائس الأموال على عدم فتحها فلم يرجع وأزال الأقفال وفتح الباب فوجد فيها صور العرب على خيلها وجمالها وعليهم العمامة المسبلة منقلدين السيوف وبأيديهم الراح الطوال والعصى ووجد كتابا فيه إذا فتح هذا الباب تغلب على هذه الناحية قوم من الأعراب على صفة هذه الصور فالخذر من فتحه الخذر قال ففتح في تلك السنة الأندلس طارق بن زياد في خلافة الوليد بن عبد الملك من بني أمية وقتل ذلك الملك شر قتلة ونهب ماله وسبي من بها وغنم أموالها ووجد بها ذخائر عظيمة من بعضها مائة وسبعون تاجا من الدر والياقوت والأحجار النفيسة وإيوانا تلعب الرماحة بأرماحهم فيه قد ملأ من أواني الذهب والفضة مما لا يحيط به وصف ووجد بها المائدة التي كانت لنبي الله سليمان بن داود عليهما السلام . وكانت على ما ذكر من زمرذ أخضر وهذه المائدة إلى الآن في مدينة رومية باقية ، وأوانيها من الذهب وصحافها من اليشم والجزع ووجد فيها الزمرد بخط يوناني في ورق من ذهب مفصل بجمهر ووجد مصحفا

محل في فيه منافع الأحجار والنبات والمعادن واللغات والطلاسم وعلم السيمياء والكيمياء ، ووجد مصحفا فيه صناعة أصباغ الياقوت والأحجار وتركيب السموم والترياقات ، وصورة شكل الأرض والبحار ، والبلدان ، والمعادن والمسافات ووجد قاعة كبيرة مملوءة من الأكسير يرد الدرهم منه ألف درهم من الفضة ذهباً إريزاً ووجد مرآة مستديرة مدبرة عجبية من أخلاط قد صنعت لسليمان عليه السلام إذا نظر الناظر فيها رأى الأقاليم السبعة فيها عياناً ورأى مجلساً فيه من الياقوت والبهرامان وسق بعير فحمل ذلك كله إلى الوليد ابن عبد الملك . وتفرق العرب في مدنها ، وبطيطة بساتين محدقة وأنهار مفدقة ورياض وفراكه مختلفة الطعوم والألوان ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ورسابق مربعة وضياع واسعة وألاع منيعة وشالها جبل عظيم معروف بجبل الإشارات به من البقر والغنم ما يعم البلاد كثرة ونمواً .

ذكر الغرب الأدنى

وهو الواحات وربة وصحراء الغرب والاسكندرية

فأما الواحات : فإن بها قوماً من السودان يسمون البربر وهم في الأصل عرب مخضرمون وبها كثير من القرى والعمائر والمياه وهي أرض حارة جدا وهي في ضفة الجبل الحائل بين أرض مصر والصحارى وينتج بهذه الأرض وما اتصل بها من أرض السودان حمر وحشية منقوشة بيضاء وسواد بزي عجيب لا يمكن ركوبها وإن خرجت عن أرضها ماتت في الحال وكان في القديم يزرع بأرضها الزعفران كثيراً وكذلك البليج والعصفر وقصب السكر وبها حيات في زمال تضرب الجمل في خفه فلا يتقل خطوة حتى يطير وبره من ظهره ويتهرى .

(شنترية) بها قوم من البربر وأخلاط العرب وبها معدن الحديد والبريم وبينها وبين الاسكندرية برية واسعة يقربون إن بها مدناً عظيمة مطلسمه من أعمال الحكا والسحرة ولا تظهر إلا صدقة .

فنها ما حكى أن رجلاً أتى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وعمر رضى الله عنه يومئذ عامل على مصر وأعمالها فعرفه أنه رأى في صحراء الغرب بالقرب من شنترية وقد أوغل فيها في طلب جمل له ند منه مدينة قد خرب إلا أكثر منها وأنه قد وجد فيها شجرة عظيمة بساق غليظة تثمر من جميع أنواع الفواكه وأنه أكل منها كثيراً وتزود فقال له رجل من القبط هذه إحدى مدينتي هرمس المرامسة وبها كنوز عظيمة فوجه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مع ذلك الرجل جماعة من ثقافته واستوثقوا من الزاد والماء عن شهر وطافوا تلك الصحارى مراراً فلم يلقوا على شيء من ذلك .

ويحكى : أن عاملاً من عمال العرب جار على قوم من الأعراب فهربوا من عنفه وجوره ودخلوا صحراء الغرب ومعهم من الزاد ما يكفيهم مدة فإفروا يوماً أو بعض يوم فدخلوا جبلاً فوجدوا فيه غزاً كثيراً وقد خرجت من بعض شعاب الجبل فبعوها ففرت منهم فأخرجتهم إلى مساكن وأنهار وأشجار ومزارع ، وقوم مقيمون في تلك الناحية قد تناسلوا وهم في أرغد عيش وأنزه مكان وهم يزرعون لأنفسهم ويرفون ما يزرعون بلا خراج ولا مقاسمة ولا طلب فسألوهم عن حالهم فأخبروهم أنهم لم يدخلوا إلى بلاد العرب ولا عرفوها ، فرجع هؤلاء القوم الذين هربوا من العامل إلى أولادهم وأهاليهم ودوابهم فسافوها ليلاً وخرجوا بهم يطلبون ذلك المكان فأقاموا مدة طويلة يطوفون في ذلك الجبل فلم يلقوا لهم على أثر ولا وجدوا لهؤلاء من خبر .

ويحكى أن موسى بن نصير لما قلده الغرب وولياها في زمان بنى أمية أخذ في السير على الواح الأقصى بالنجوم والأنواء وكان عارفاً بها فأقام سبعة أيام يسير في رمال بين مهبي الغرب والجنوب ، فظهرت له مدينة عظيمة لها حمن عظيم بأبواب من حديد ، فرام أن يفتح باباً منها فلم يقدر وأعياه ذلك لغلبة الرمل عليها : فأصعد رجالاً إلى أعلاه فكان كل من صد ونظر إلى

المدينة صاح ورمى بنفسه إلى داخلها ولا يعلم ماذا يصيبه ولا ما يراه فلم يجد له حيلة فتركها ومضى .

وحكى أن رجلا من صعيد مصر أتاه رجل آخر وأعلمه أنه يعرف مدينة في أرض الواحات بها كنوز عظيمة فتزودا وخرجا فسافرا في الرمل ثلاثة أيام ثم أشرفا على مدينة عظيمة بها أنهار وأشجار وأثمار وأطياف ودور وقصور وبها نهر يحيط بغالبها وعلى ضفة النهر شجرة عظيمة فأخذ الرجل الثاني من ورق الشجرة ولفها على رجليه وساقيه بخيوط كانت معه وفعل برفيقه كذلك وخاضا النهر فلم يتعد الماء الورق ولم يجاوزه فصعدا إلى المدينة فوجدا من الذهب وغيره ما لا يكيف ولا يوصف فأخذاه منه ما أطاقت حمله ورجعا بسلامة وتفرقا فدخل الرجل الصعيدى إلى بعض ولاة الصعيد وعرفه بالقصة وأراه من عين الذهب فوجه معه جماعة وزودهم زادا يكفيهم مدة فعملوا يطوفون في تلك الصحارى ولا يجدون لذلك أثرا وطال الأمر عليهم فسمعوا ورجعوا بخيبة .

(وأما أرض برقة) فكانت في قديم الزمان مدنا عظيمة عامرة وهى الآن خراب ليس بها إلا القليل من الناس والعمارة وبها يزرع من الزعفران شئ كثير .

(وأما الاسكندرية) فهى آخر مدن الغرب وهى على ضفة البحر الشامى ، وبها الآبار العجيبة والرسوم الهائلة التى تشهد لبانيها بالملك والقدرة والحكمة وهى حصينة الاسوار عامرة الديار كثيرة الأشجار غزيرة الثمار ، بها الرمان والرطب والفاكهة والعنب ، وهى من الكثرة فى الغاية ومن الرخص فى النهاية ، وبها يعمل من الثياب الفاخرة كل عجيب ومن الأعمال الباهرة كل غريب ليس فى معمر الأرض مثلها ولا فى أقصى الدنيا كشكلها يحمل منها إلى سائر الأقاليم فى الزمن الحادى . والقديم ، وهى مزدحم الرجال ومحط الرحال ومقصد التجار من سائر القفار والبحار والنيل يدخل إليها من كل

جانب من تحت أقية إلى معموها ويدورها وينقسم في دورها بصنعة عجبية وحكمة غريبة يتصل بعضها ببعض أحسن اتصال لأن عمارتها تشبه رقعة الشطرنج في المثال وإحدى عجائب الدنيا فيها ، وهى المنارة التى لم ير مثلاً فى الجهات والأقطار وبين المنارة والنيل ميل واحد وارتفاعه ثثمائة ذراع بالرشاشى لا بالساعدى جملة مائتا قامة إلى القبة ، ويقال إنه كان فى أعلاها مرآة ترى فيها المراكب من مسيرة شهر ، وكان بالمرآة أعمال وحركات لحرق المراكب فى البحر إذا كان عدوا بقوة شعاعها ، فأرسل صاحب الروم يخدع صاحب مصر ، ويقول إن الاسكندر قد كنز بأعلى المنارة كنزا عظيما من الجواهر والىواقيت واللعل والاحجار التى لا قيمة لها خوفا عليها فان صدقت فإدر إلى استخراجها وإن شككت فأنا أرسل لك مركبا موسوقا من ذهب وفضة وقاش وأمتعة لا تقوم ومكنى من استخراجها ولك من الكنز ما تشاء فانخدع لذلك وظنه حقا فهدم القبة فلم يجد شيئا مما ذكر وفسد طلسم المرأة ، ونقل أن هذه المنارة كانت فى وسط المدينة ، وأن المدينة كانت سبع قصبات متوالية وإنما أكلها البحر ولم يبق منها إلا قصبة واحدة وهى المدينة الآن وصارت المنارة فى البحر لعلبة الماء على قصبة المنارة ، ويقال إن مساجدها حصرت فى وقت من الأوقات فكانت عشرين ألف مسجد .

وذكر الطبرى فى تاريخه : أن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، لما افتتحها أرسل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ية : قد افتتحت لك مدينة فيها اثنا عشر ألف حانوت تبيع البقل ، وكان يوقد فى أعلى هذه المنارة ليلا ونهارا لاهتداء المراكب القاصدة إليها ، ويقولون إن الذى بنى المنارة هو الذى بنى الأهرام وبهذه المدينة المثلثان وهما حجران مريمان وأعلاهما ضيق حاد طول كل واحد منهما خمس قامات وعرض قواعدهما فى الجهات الأربع كل جهة أربعون شبرا وعليهما خط بالسريانى . حكى أنهما منحوتان من جبل بريم الذى هو غربى ديار مصر والكتابة التى عليهما أنا يعمر بن شداد

بنيت هذه المدينة حين لا هرم فاش ولا موت ذريع ولا شيب ظاهر وإذا
الحجارة كالطين وإذا الناس لا يعرفون لهم ربا وأقت أسطواناتها وفجرت
أنهارها وغرست أشجارها وأردت أن أعمل فيها شيئا من الآثار المعجزة
والعجائب الباهرة فأرسلت مولاي البتوت بن مرة العادى ومقدام بن عمرو
ابن أبى رغال النمودى خليفة إلى جبل بریم الأحمر ، فاقطعا منه حجرا
وحملاهما على أعناقهما فانكسرت ضلع من أضلاع البتوت فوددت أن أهل
ملكى كانوا فداء له وهما هذان وأقامهما إلى القطن بن جارود المؤتفكى فى
يوم السعادة وهذه المثلثة الواحدة فى ركن البلد من الجهة الشرقية والمثلثة
الأخرى ببعض المدينة ، ويقال إن المجلس الذى بجانب المدينة المنسوب إلى
سليمان بن داود عليهما السلام بناه يعمر بن شداد المذكور وأسطواناته
وعضاداته باقية إلى الآن وهو ستة خمس وثمانين وثلثمائة وهو مجلس مربع
فى كل رأس منه ست عشرة سارية وفى الجانبين المتطاولين سبع وستون
سارية وفى الركن الشمالى أسطوانة عظيمة ورأسها عليها وفى أسفلها قاعدة من
الرخام مربعة نجرها ثمانون شبرا وطولها من القاعدة إلى الرأس تسع قامات
ورأسها منقوش بنحرم بأحكام صنعة وهى ماثلة من تقادم الدهور ميلا كثيرا
لكنها ثابتة وبها عمود يقال له عمود القمر عليه صورة طير يدور مع الشمس .
(أرض مصر) : وهى غربى جبل جالوت ، وهى إقليم العجائب و معدن الغرائب
وأهلها كانوا أهل ملك عظيم وعز قديم وكان به من العلماء عدة كثيرة وهم
متفنون فى سائر العلوم مع ذكاء مفرط فى جبلتهم ، وكانت مصر خمسا
وثمانين كورة منها أسفل الأرض خمس وأربعون كورة وفوق الأرض
أربعون كورة ونهرها يشقها والمدن على جانبيه وهى النهر المسمى بالنيل العظيم
البركات المبارك الغدوات والروحوات وهو أحسن الأقاليم منظرا وأوسعهم
خيرا وأكثرهم قرى وهو من حد أسوان إلى الاسكندرية ، وفى أرض
مصر كنوز عظيمة ويقال إن غالب أرضها ذهب مدفون حتى قيل إنه ما فيها

موضع إلا وهو مشغول بشيء من الدفاتن ، وبها الجبل المقطم وهو شرقها
يمتد من مصر إلى أسوان في الجهة الشرقية يعلو في مكان وينخفض في مكان
وتسمى تلك التقاطيع منه اليحاهيم وهي سود ويوجد فيها المغرة والكاس
وفيه ذهب عظيم وذلك أن تربته إذا دبرت استخرج منها ذهب خالص وفيه
كنوز وهياكل وعجائب غريبة وبما يلي البحر الجبل المنحوت المدور الذي
لا يستطيع أحد أن يرقاه للملاسة وارتفاعه ، وفيه كنوز عظيمة لمقطم الكاهن
الذي نسب إليه هذا الجبل والملوك مصر القديمة أيضا فيه من الجواهر والذهب
والفضة والأواني والآلات النفيسة والتماثيل الهائلة والتبر والا كبير وتراب
الصنعة ما لا يعلوه إلا الله تعالى .

ومن مدنه المشهورة الفسطاط : وهو فسطاط عمرو بن العاص ، وهي مدينة
عظيمة وبها جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وكان مكانه كنيسة للروم
فهدمها عمرو بن العاص وبنى لها مسجدا جامعاً وحضر بناءه جماعة من الصحابة
وشرقي الفسطاط خراب ، وذكر أنها كانت مدينة عظيمة قديمة ذات أسواق
وشوارع واسعة وقصور ودور وفنادق وحمامات يقال إنها كان بها أربع مائة
حمام فخر بها شاور وهو وزير العاضد خوفاً من الفرنج أن يملكوها وسمى
الفسطاط فسطاطاً لأن عمرو بن العاص نصب فسطاطه أى خيمته هناك مدة
إقامته ، ولما أراد الرحيل وهدم الفسطاط أخبر أن حمامة باضت بأعلاه فأمر
بترك الفسطاط على حاله لئلا يحصل التشویش للحمامة بهدم عشها وكسر
بيضها وأن لا يهدم حتى تفقس عن فراخها وتطيرهم ، وقال والله ما كنا
لنسى لمن لجأ بدارنا واطمأن إلى جانبنا ، وقبالة الفسطاط الجزيرة المعروفة
بالروضة ، وهي جزيرة يحيط بها بحر النيل من جميع جهاتها وبها فرج ونزه
ومقاصف وقصور ودور وبساتين وتسمى هذه الجزيرة دار المقياس وكانت
في أيام بعض ملوك مصر يحتاز إليها على جسر من السفن فيه ثلاثون سفينة ،
وكان بها قلعة عظيمة فخرت ، وبها المقياس يحيط به أبنية دائرة على عمد وفي

وسط الدار فسقية عميقة ينزل إليها بدرج من رخام دائرة وفي وسطها عمود رخام قائم وفيه رسوم أعداد الأذرع والأصابع يعبر إليه الماء من قناة عريضة . ووفاء النيل ثمانية عشر ذراعا وهذا المبلغ لا يدع من ديار مصر شيئا إلا أرواه وما زاد على ذلك ضرر ومحل لأنه يمت الشجر ويهدم البنيان وبناء مصر كلها طبقات بعضها فوق بعض يكون خمسا وستا وسبعيا وربما سكن في الدار الواحدة الجامعة مائة من الناس ولكل منهم منافع ومرافق مما يحتاج إليه . وأخبر الجواليقي أنه كان بمصر على أيامه دار تعرف بدار ابن عبد العزيز بالموقف يصب لمن فيها من السكان في كل يوم أربعمئة راوية وفيها خمس مساجد وحمامات وفرنان .

(القاهرة المعزية) حرسها الله تعالى وثبت قواعد أركان دولة سلطانها وجعلها دار إسلام إلى يوم القيامة آمين ، وهي مدينة عظيمة أجمع المسافرون غربا وشرقا وبرا وبحرا أنه لم يكن في المعمور أحسن منها منظرا ولا أكثر ناسا ولا أصح هواء ولا أعذب ماء ولا أوسع فناء ، وإليها يجلب من أقطار الأرض وسائر الأقاليم من كل شيء غريب ونساؤها في غاية الحسن والظرف وملكها ملك عظيم ذو هيئة وصيت كثير الجيوش حسن الرأي لا يماثله ملك في زيه وترتيبه تعظمه ملوك الأرض وتخشى بأسه وترغب في مودته وتترضاه وهو سلطان الحرمين الزاهرين والحاكم على البحرين الآخرين ، وهي مدينة يعبر عنها بالدنيا وناهيك من إقليم يحكم سلطانه على مواطن العبادة في الأرض كمكة المشرفة والمدينة الشريفة وبيت المقدس ، ومواطن الأنبياء ومستقر الأولياء . وأهل هذه المدينة في غاية الرفاهية والعيشة الهنية والهيئة البهية ، وقد ورد في الخبر مصر ككنانة الله ما رامها أحد بسوء إلا أخرج من كنانته سهما فرماه به فأهلكه .

(عين شمس) وهي شرقي القاهرة وكانت في القديم دار مملكة لهذا

الاقليم وبها من الاعمال والاعلام الهائلة والآثار العظيمة ، وبها البستان الذى لا يفت شئ من الارض إلا وهو فيه وهو بستان طوله ميل فى ميل والسر فى بئر لان المسيح عليه السلام اغتسل فيه ، وغربها مدينة قلوب ، وهى مدينة عظيمة يقولون إنه كان بها ألف وسبعمئة بستان ولكن لم يبق إلا القليل ، وبها من أنواع الفاكهة شئ كثير فى غاية الرخص ، وبها السردوس الذى هو إحدى نزه الدنيا يسار فيه يومين بين بساتين مشتبكة وأشجار ملتفة وفواكه فاخرة ورياض ناضرة ، وهى حفير هامان وزير فرعون يقال إنه لما حفرها جعل أهل البلاد يخرجون إليه ويسألونه أن يجرىها إليهم ويجعلون له على ذلك ما شاء من المال ففعل وحصل من أهل البلاد مائة ألف ألف دينار فحملها إلى فرعون فسأله من أين هذا المال الكثير فأخبره أن أهل البلاد سألوها منه لإجراء الماء إلى بلادهم وجعلوا هذا المال مقابلة لذلك فقال فرعون بشئ ما صنعت من أخذ هذه الاموال أما علمت أن السيد المالك ينبغي له أن يعطف على عبيده ولا يأخذ منهم على إيصال منفعة أجرا ولا ينظر إلى ما بأيديهم اردد المال إلى أربابه ولا تأتى بمثلها .

(الجيزة) وهى مدينة عظيمة على الضفة النهر الغربية ذات قرى ومزارع وبها خصب كثير وخير واسع ، وبها القناطر التى لم يعمل مثلها وهى أربعون قوسا على سطر واحد وبها الأهرام التى هى من عجائب الدنيا لم يبن على وجه الأرض مثلها فى إحكامها وإتقانها وعلوها وذلك أنها مبنية بالصخور العظام وكانوا حين بنوها يشقون الصخر من طرفيه ويجعلون فيه قضيا من حديد قائم ويشقون الحجر الآخر وينزلونه فيه ويذيبون الرصاص ويجعلونه فى القضب بصنعة هندسية حتى كل بناؤها وهى ثلاثة أهرام ارتفاع كل هرم منها فى الهواء مائة ذراع بالملكى وهو خمسمائة ذراع بالذراع المعهود بيننا وضيع كل هرم من جهاته مائة ذراع بالملكى وهى مهندسة من كل جانب محددة الأعلى من أواخر طولها على ثمانمائة ذراع يقولون إن داخل الهرم

الغربي ثلاثين مخزناً من حجارة صوان . ملوثة مملوءة بالجواهر النفيسة والأموال
الجمّة والمناويل الغريبة والآلات والأسلحة الفاخرة التي قد دهنت بأدهان
الحكمة فلا تصدأ أبداً إلى يوم القيامة وفيه الزجاج الذي ينطوى ولا ينكسر
وأصناف العقاقير المركبة والمفردة والمياه المدبرة ، وفي الهرم الشرق
الهيئات الفلكية والكواكب منقوش فيها ما كان وما يكون في الدهور
والأزمان إلى آخر الدهر . وفي الهرم الثالث أخبار السكينة في توابيت صوان
مع كل كاهن لوح من ألواح الحكمة وفيه من عجائب صناعاته وأعماله وفي الحيطان
من كل جانب أشخاص كالآصنام تعمل بأيديها جميع الصناعات على المراتب
ولكل هرم منها خازن ، وكان المأمون لما دخل الديار المصرية أراد هدمها
فلم يقدر على ذلك فاجتهد وأنفق أموالاً عظيمة حتى فتح في أحدها طاقة صغيرة
يقال إنه وجد خلف الطاق من الأموال قدر الذي أنفقه لا يزيد ولا ينقص
فتعجب من ذلك وقال :

انظر إلى الهرمين واسمع منهما ما يرويان عن الزمان الغابر
لو ينطقان لخبرانا بالذي فعل الزمان بأول وبآخر
وقال غيره :

خليلي ما تحت السماء بنية تناسب في إتقانها هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
وقال آخر :

أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع
تخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتصرع
(الفيوم) وهى مدينة عظيمة بناها يوسف الصديق عليه السلام ولها
نهر يشقها ونهرها من عجائب الدنيا وذلك أنه متصل بالنيل وينقطع منه
في أيام الشتاء وهو يجرى على العادة ولهذه المدينة ثلثمائة وستون قرية عامرة
أهله كلها مزارع وغلّال ويقال إن الماء في هذا الوقت قد أخذ أكثرها

وكان يوسف عليه السلام قد جعلها على عدد أيام السنة فإذا أجذبت الديار المصرية كانت كل قرية تقوم بأهل مصر يوما وبأرض الفيوم بساتين وأشجار وفواكه كثيرة رخيصة وأسماك زائدة الوصف ، وبها من قصب السكر شيء كثير ، ويقال إنه كان على الفيوم وإقليمها كلها سور واحد .
(وسخا) مدينة حسنة ولها إقليم واسع بجامعها حجر أسود وعليه طلسم بقلم الطير إذا أخرج ذلك الحجر من الجامع دخله العصافير وإذا دخل إليه خرجت العصافير .

(وأما أنصنا والاشمونان وأبو صير) فدن أزلية وبها آثار عجيبة وأعلام هائلة ، ويقال إن سحرة فرعون كانوا من مدينة أبي صير وبها الآن بقية منهم .

(وأما أسبوط واخميم ودندرا) فدن أزلية ، وبها آثار عجيبة وأعلام هائلة .
(وزماخر) وهي مدينة حسنة كثيرة الفواكه يقرب منها جبل الطيلون وهو يأتي من جهة المغرب فيعترض مجرى النيل والماء ينصب إليه بقوة حتى يمنع المراكب فلا يقدر على الجواز عليه إلى أسوان . ذكروا أن كراهية الساحرة كانت ساكنة بأعلى هذا الجبل في قصر عظيم ، وكانت تتكلم على المراكب المقلعة في البحر فتقف .

(وأسوان) وهي آخر الصعيد الأعلى ، وهي مدينة صغيرة عامرة كثيرة اللحوم والأسماك والغزلان ، وليس يتصل بأسوان من جهة المشرق بلد للإسلام إلا جبل العلاقي ، وهو جبل في واد جاف لاماء به لكن يحفر عليه فيوجد الماء قريبا فيسمى معينا ، وبه معدن الذهب والفضة وعلى جنوبه من النيل جبل في أسفله معدن الزمرد في برية منقطعة عن العمارة ليس في الأرض كلها معدن للزمرد سواه ، ويتصل بأسوان من جهة الغرب أرض الواحات . وبديار مصر معدن الملح والنظرون وهما من عجائب الدنيا .

(وأما رمال الضيم) فانها آية من آيات الله عز وجل فانه يؤخذ العظم فيدفن في ذلك الرمل سبعة أيام فيعود حجرا صلبا ، وكان على أسوان

وأرضها سور محيط من جانبيها قهديم ، ويقال له حائط المعجوز الساحرة .
(أرض القلزم) وهي بين مصر والشام وهو بحر في ذاته ، وفيه جبال فوق الماء ، وفيه قروش وحيوانات مضرّة ظاهرة وخفية ، وكانت القلزم مدينتين عظيمتين قهديمًا من تسلط العرب على أهلها وشربهما من عين سدير وهي وسط الرمل وماؤه زعاق ، وبين القلزم وهو منتهى بحر فارس الآخذ من المحيط الشرق من الصين وبين البحر الشامي مسافة أربع مراحل يسمى بحصن التيه وهو تيه بني إسرائيل . وهي أرض واسعة ليس بها وهدّة ولا رابية ولا قلعة ومسافتها خمسة أيام في خمسة .

(ومن مدنه المشهورة عقبة أيلة) وهي قرية صغيرة على جبل عال ضعب المرتقى يكون ارتفاعه والانحدار منه يوما كاملا وهي طرق لا يمكن أن يجوز فيها إلا واحد واحد على جانبها أودية بعيدة المهوى .
(والحوذي) وهي قرية صغيرة بها معدن البرام ويحمل منها إلى سائر أقطار الأرض وشربهم من آبار عذبة ، وهي على ساحل بحر القلزم .

(مدينة مدين) وهي خراب وبها البئر التي استسقى منها موسى لغتم شيب عليهما السلام . وهي الآن معطلة .

(أرض البادية) هي ما بين أرض الشام والحجاز وتسمى أرض الحجر .
(أرض الشام) وهو إقليم عظيم كثير الخيرات جسيم البركات ذو بساتين ، وجنات ، وغياض . وروضات ، وفرج ، ومتنزهات ، وفواكه مختلفة رخيصة ، وبها اللحوم كثيرة إلا أنها كثيرة الأمطار والثلوج وهو يشتمل على ثلاثين قلعة وليس فيها أمنع من قلعة الكرك وإقليم الشام يشتمل على مثل كورة فلسطين ، وكورة عمداش بيتا ، وكورة يافا . وكورة قيسارية وكورة طرابلس ، وكورة سيطرة ، وكورة عسقلان ، وكورة حطين ، وكورة غزة ، وكورة بيت جبريل ، وفي جنوبه فخص التيه وكورة الشويك وكورة الأردن ، وكورة الساية ، وكورة غانة ، وكورة ناصرة . وكورة صور (وأرض دمشق) ومن كورها كورة الغوطة ، وكورة البقاع ، وكورة

بعلبك ، وكورة لبنان ، وكورة بيروت ، وكورة صيدا ، وكورة البنية ،
وكورة حول ، وكورة جولان ، وكورة طاهر ، وكورة حولة ، وكورة
البلقاء ، وكورة جبرين الغور ، وكورة كفر طاب ، وكورة عمان ، وكورة
السراة .

(ومن مدن الشام المشهورة دمشق المحروسة) وهي من أجل بلاد
الشام مكانا وأحسنها بنيانا وأعدلها هوا وأغزرها ماء وهي دار ملكة الشام
ولها الغرطة التي لم يكن على وجه الأرض مثلها . بها أنهار جارية مخرقة ،
وعيون سارحة متدفقة ، وأشجار باسقة وثمار يانعة ، وفواكه مختلفة ، وقصور
شاهقة ، ولها ضياع كالمدن وبدمشق الجامع المعروف ببني أمية الذي لم يكن
على وجه الأرض مثله بناه الوليد بن عبد الملك ، وأنفق عليه أموالا عظيمة
قيل إن جملة ما أنفق عليه أربعمئة صندوق من ذهب في كل صندوق أربعة
عشر ألف دينار واجتمع في ترخيمه اثنا عشر ألف مرخم ، وقد بنى بأنواع
الفصوص المحكمة والمرمر المصقول والجزع المكحول ويقال إن العمودين
اللذين تحت قبة النسر اشتراهما الوليد بألف وخمسمئة دينار وهما عمودان مجزعان
بحمرة لم ير مثلهما ، ويقال إن غالب خام الجامع كان معجوننا ولهذا إذا وضع
على النار ذاب . وفي وسط المحيط الفاصل بين الحرم والصحن عمودان
صغيران يقال إنهما كانا في عرش بلقيس ، ومنارة الجامع الشرقية يقال إن
المسيح ينزل عليها وعندها حجر يقال إنه قطعة من الحجر الذي ضرب به موسى
بعضاه فانبجست منه اثنتا عشرة عينا .

(قال) بعض السلف الصالح مكثت أربعين سنة ما فانتني صلاة من
الحسن هذا الجامع وما دخلته قط إلا وقعت عيني على شيء لم أكن رأيت قبل
ذلك من صناعة ونقش وحكمة .

ومن باب دمشق الغربي وادي البنفسج طوله اثنا عشر ميلا في عرض
ثلاثة أميال مفروش بأجناس الثمار البديعة المنظر والمخبر ، ويشقه خمسة
أنهار ومياه الغرطة كلها تخرج من نهر الزبداني وعين الفيحة وهي عين تخرج

من أعلى جبل وتنصب إلى أسفل بصوت هائل ودوى عظيم فإذا قرب إلى المدينة تفرق أنهارا . وهي بردى ويزيد وثورة وقناة المزة وقناة الصوف وقنوات وبانياس وعقربا واستعمال هذا النهر للشرب قليل لأن عليه مصب أوساخ المدينة وهذا النهر يشق المدينة وعليه قنطرة وكل هذه الأنهار يخرج منها سواق تخترق المدينة فتجري في شوارعها وأسواقها وأزقتها وحماماتها ودورها وتخرج إلى بساتينها .

(والشام خمس شامات) هكذا قرر في كتاب العقد الفريد .

فالشام الأولى : غزة والرملة وفلسطين وعسقلان وبيت المقدس ومدينتها الكبرى فلسطين .

والشام الثانية : الأردن وطبرية والغور واليرموك وبيسان ومدينتها الكبرى طبرية .

والشام الثالثة : الغوطة ودمشق وسواحلها ومدينتها الكبرى دمشق .

والرابعة : حمص وحماة وكفر طاب وقنسرين وحلب .

والخامسة : أنطاكية والعواصم والمصيصة وطرسوس .

(فأما فلسطين) فهي أول أجواز الشام من الغرب وماؤها من الأمطار والسيول وأشجارها قليلة لكنها حسنة البقاع ، وهي من رفح إلى اللجون طولاً ومن يافا إلى زغر عرضاً ، وهي مدينة قرم لوط والبحيرة التي بها يقال لها البحيرة المنقطة ، ومنها إلى بيسان وطبرية يسمى الغور لأنها بقعة بين جبلين وسائر مياه الشام تتحد في إنهارها .

(نابلس) هي مدينة للسامرية وبها ابنتر التي حفرها يعة وب عليه السلام وبها جلس عليه السلام يطالب من المرأة ماء للشرب وعلى ذلك المكان كنيسة معهودة .

(عسقلان) هي مدينة حسنة ولها سوران وهي ذات بساتين وثمار وبها من الزيتون والكروم واللوز والرمان شيء كثير وهي في غاية الخصب .

(بيت المقدس) ويسمى إيلياء ، وهي مدينة حسنة ولها سوران عظيمان من جبين وفي طرفها الغربي باب المحراب وعليه قبة داود عليه السلام ، وفي طرفها الشرقي باب الرحمة ، وكان يقفل فلا يفتح إلا من عيد الزيتون إلى عيد الزيتون ، ومن الباب الغربي يسار إلى الكنيسة العظمى المسماة بكنيسة القيامة وهي المعروفة بكنيسة قمامة وتخرج إليها الروم من سائر الأقطار ويقابلها من المشرق كنيسة الحبس الذي حبس فيه المسيح عيسى عليه السلام ، وبها مقابر الفرنج وشرقية المسجد المعظم المسمى بالأقصى وليس في الدنيا كلها مسجد على قدره إلا جامع قرطبة من بلاد الأندلس وطول المسجد الأقصى مائتا باع في عرض مائة وثمانين ، وفي وسطه قبة عظيمة تسمى قبة الصخرة ويقال إن سقف جامع قرطبة أكبر من سقف الأقصى وحنن الأقصى أكبر من حنن جامع قرطبة وبالقرب من باب الأسباط كنيسة حسنة كبيرة وفيها قبر مريم أم عيسى عليهما السلام وتعرف بالجسمانية ، وهناك جبل يقال له جبل الزيتون وهذا الجبل قبر العاذر الذي أحياه الله للمسيح عليه السلام ، وعلى اليمين من جبل الزيتون قرية منها جلب حمار المسيح وقريب من قبر عاذر مدينة أريحا وعلى الأردن كنيسة عظيمة على اسم يوحنا المعمدان .

(والأردن) هو نهر يخرج من بحيرة طبرية ويحيط في بحيرة سدوم وعامودا مدائن لوط ، وبجنوب بيت المقدس كنيسة صهيون وهي التي فيها فلاية يقال إن المسيح أكل فيها مع حواريه من المائدة لما أنزلت عليه ويقال إن المائدة باقية فيها وهي كنيسة حصنة وفيها على طرف الخندق كنيسة بطروس وبهذا الخندق عين سلوان وهي التي أبرأ فيها المسيح الضرير الأعمى ويقرب منها الحقل وهو مقابر الغرياء ، وبها بيوت كثيرة منقورة في السخر وفيها رجال مقيمون قد حبسوا أنفسهم لله تعالى فيها .

(وأما بيت لحم) فهي كنيسة حسنة البناء متقنة الصنعة وهو الموضع

الذى ولد فيه عيسى عليه السلام وبينه وبين بيت المقدس ستة أميال ، وفي وسط الطريق قبر راحيل أم يوسف الصديق عليه السلام ويقرب من ذلك مسجد الخليل عليه السلام وهو قرية ممدنة بها قبر الخليل إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام وكل صاحب قبر من قبورهم تجاهه امرأته وهو في هذه بين جبلين ملتفة الأشجار كثيرة الثمار .

(طبرية) هي مدينة جليلة على جبل مظل وأسفلها بحيرة عذبة ، وبها مراكب سابعة ولها سور حصين ويعمل بها من الحصر السامان كل حسن بديع ، وبها حمامات حامية من غير نار ، وبها حمام يعرف بحمام الدماقر كبير ، وأول ما يخرج ماؤها يسمط الجداء والدجاج ويسلق فيه البيض وهو مالح ، وبها حمام اللؤلؤ وهو أصغر حماماتها وليس فيها حمام يوقد فيه نار إلا الصغير وفي جنوبها حمام كبير مثل عين يصب إليها مياه حارة من عيون كثيرة وإنما يقصده أهل البلاء ويقيمون به ثلاثة أيام فيرمون .

(وأما حمص) فهي مدينة حسنة في مستوى مقصودة من سائر النواحي وأهلها في خصب ورغد عيش وفي نساها جمال فائق ، وكانت في قديم الزمان من أكبر البلاد ، ويقال إنها مطلسم لا يدخلها حية ولا عقرب ومتى وصلت إلى باب المدينة هلكت ويحمل من تراب حمص إلى سائر البلاد فيوضع على لسعة العقرب فتبرأ ، وبها القبة العالية التي في وسطها صنم من نحاس على صورة إنسان راكب على فرس تدور مع الريح كيفما دارت وفي حائط القبة حجر فيه صورة عقرب يأتي إليه الملدوغ والمسلوع ومعه طين يبطعه على تلك الصورة ويضعه على اللدغة أو اللسعة فتبرأ لوقتها وجميع شوارعها وأزقتها مفروشة بالحجر الصلد ، وبها جامع كبير وأهلها موصوفون بالرقاعة وخفة العقل .

(وأما بعلبك) فهي مدينة حسنة حصينة على رأس جبل مسفح والماء يشقها ويدخل كثيرا في دورها وعلى نهرها أرحية كثيرة وبها أنواع الفاكهة

ووجوه الخصب والرخاء وفيها قلعة ثلاثة أحجار وهي من عجوبة الدنيا .

(وأما حلب) فهي المدينة الشهية كانت في قديم الزمان من أوسع البلاد قطرا ، قيل أوحى الله عز وجل إلى خليله إبراهيم عليه السلام أن يهاجر بأهله إلى الشونة البيضاء فلم يعرفها ، فسأل الله تعالى في لاشأده إليها فجاءه جبريل عليه السلام حتى أنزله بالنل الأبيض الذي عليه الآن قلعة حلب المحروسة حماها الله من الغير والآفات فاستوطنها وطابت له مدة ثم أمر بالمهاجرة إلى الأرض المقدسة فخرج منها فلما بعد عنها ميلا نزل وصلى هناك والآن يعرف ذلك المكان بمقام الخليل قبلى حلب فلما أراد الرحيل التفت إلى مكان استيطانه كالحزين الباكي لفرانها ، ثم رفع يديه وقال : اللهم طيب ثراها وهواها وماءها وحبيها لأبنائها فاستجاب الله دعاه فيها وصار كل من أقام في بقعة حلب ولو مدة يسيرة أحبها وإذا فارقها يمز ذلك عليه وربما إذا فارقها التفت إليها وبكى هكذا نقله الصاحب كمال الدين بن العديم في تاريخه المسمى بتاريخ حلب ولهذا المدينة أعنى حلب نهر يأتيها من جهة الشمال يقال له فوق فيخترق أرضها وبها قناة مباركة تخترق شوارعها ودورها وحماماتها ، سبلانها وماؤها عذب فرات ، ولها قلعة حصينة راسخة يقال إن في أساسها ثمانية آلاف عمود وهي ظاهرة الروس بسفحها ولها قرية تسمى براق يقال إن بها معبدا يقصده أرباب الأمراض ويأتون به ، فاما أن يبصر المريض في نومه من يمسح يده عليه فيبرأ ، وإما أن يقال له استعمل كذا وكذا فاذا أصبح واستعمله فانه يبرأ .

(وأما حماة) فهي مدينة قديمة على عهد سليمان بن داود عليهما السلام واسمها باليونانية حاموثا ولما فتحها أبو عبيدة رضى الله عنه ، جعل كنيسة لها جامعاً وهو جامع السوق الأعلى وجدد في خلافة المهدي ، وكان فيه لوح من رخام مكتوب فيه إنه جدد من خراج حصص وكانت حماة وشيراز من أعمال حلب ، وكانت حصص في القديم كرسى هذه البلاد .

(وأما بلاد الأرمن) فأقليمها عظيم واسع تمتع القلاع والحصون كثير الخصب والخير والفواكه الحسنة اللون والطعم ، يقال إن بأقليمها ثلثمائة وستين قلعة منها ست وعشرون قلعة لا تكاد أن ترام لشدة امتناعها لا يصل أحد إلى واحدة منها لا بقوة ولا بحيلة ألبتة . ومن مدنها المشهورة أرمينية وهي أرمينتان الداخلة والخارجة ، وهي مدينة عظيمة وبها بحيرة تعرف ببحيرة كندوان بها تراب تتخذ منه البنادق التي يسبك فيها .

(وخلاط) وهي مدينة حسنة ، وكانت في القديم قاعدة بلاد الأرمن فلما تغلبت الأرمن على الثغور انتقلوا إلى سيس ، وبها يعمل من التكمك البديعة الحسنة الغالية الثمن كل غريب وبقرب خلاط حفائر يستخرج منها الزرنينخ الأحمر والأصفر .

(ملاطية) مدينة عظيمة كثيرة الخير والأرزاق ليس في بلاد تلك المملكة أحسن منها وأهلها ذو ثروة ورفاهية عيش ، ذكر أنه كان بها اثنا عشر ألف نول تعمل الصوف ولكن قد تلاشى أمرها .

(ميفارقين) مدينة عظيمة وهي من حدود الجزيرة وحدود أرمينية .

(نصيبين) مدينة حسنة في مستوى من الأرض وماؤها يشق دورها وقصورها وإليها ينسب الورد النصيبى ، وبها عقارب قتالة وبأرض الأرمن النهران الكبيران المشهوران وهما نهر الرأس ونهر الكرج المعروف بالكر ومسيرهما من المغرب إلى المشرق وعليهما مدن كثيرة وقرى متصلة من الجانبين وبأرض الأرمن بركة فيها سمك كثير وطيور عظيم وماؤها غزير عميق وبقيم بها الماء سبع سنين متوالية وينشف منها سبع سنين أيضاً ثم يعود الماء وهذا دأبه أبداً ، وبها جبل يسمى غرغور وفيه كهف وفي الكهف بئر بعيدة القعر إذا رمى فيها حجر يسمع لها دوى كدوى الرعد ثم يسكن ولا يعلم ما هو . وفي هذا الجبل معدن الحديد المسموم متى جرح به حيوان مات في الحال .

(أرض الجزيرة) وهي جزيرة ابن عمر وتشتمل على ديار ربيعة ومضر وتسمى ديار بكر، وهي ما بين دجلة والفرات وكلها تسمى بالجزيرة، وبها مدن وقرى عامرة وأكثر أهلها نصارى وخوارج. ومن مدنها المشهورة الموصل، وهي قاعدة بلاد الجزيرة وهي مدينة كبيرة صحيحة الهواء طيبة الثرى ولها نهر حسن عميق في عمق ستين ذراعا وبساتينها قليلة إلا أن لها ضياعا ومزارع ورسائق ممتدة وكورا كثيرة، وهي المدينة التي بعث إليها يونس عليه السلام وهي غربي دجلة.

(الرها) مدينة عظيمة قديمة واسعة الأقطار وكانت عامرة الديار وتتصل بأرض حران والغالب على أهلها دين النصرانية، وبها من الكنائس ما يزيد على مائتي كنيسة ودير ولم يكن للنصارى أعظم منها، وكان يكتنيسها العظمى مندبل المسيح الذي مسح به وجهه فأثرت فيه صورته فأرسل ملك الروم إلى الخليفة رسولا وطلبه منه وبذل فيه أسارى كثيرة فأخذه وأطلق الأسارى.

(مدينة الخضر) وهي الآن خراب، وكانت مدينة عظيمة في قديم الزمان، وكان اسم صاحبها الساطرون فحاصرها سابور بن أردشير بن بابك أربع سنين فلم يقدر عليها، وكانت مركبة على قناطر يدخل الماء من تحتها وكان لساطرون ابنة جميلة في غاية الجمال بحيث إذا نظرها أحد حصل في عقله خيل وخلل. وكان اسمها نضيرة وكانت عادة الروم إذا حاضت المرأة عندهم أنزلوها إلى روض المدينة فحاضت، ابنة الساطرون فأنزلوها إلى الروض وسابور المذكور محاصر المدينة وهو راكب في جيشه دأب من خارج المدينة فرأت نضيرة ابنة الساطرون سابور وهو في غاية الحسن فأحبته لأول نظرة فأرسلت إليه تقول إن أنا أخذت لك المدينة وأرحتك من العناء أتزوج بي؟ فقال سابور نعم: قالت فخذ حمامة زرقاء فأخضب رجلها بحمض جارية زرقاء بكر وأطلقها فأتتها تطير وتحط على السور فيسقط في الحال وتأخذ المدينة

ففعل سابور ذلك الأمر كما قالت نضيرة ، فدخل المدينة وأخذها وهم ما بقي من سورها وقتل الساطرون وسبي وغنم ، وتزوج نضيرة فنامت عنده ليلة وهي تملل طول الليل إلى الصباح فنظر سابور فإذا في الفراش ورقة آس ، فقال لها : كل هذا التملل من هذه الورقة قالت نعم : قال فما كان أبوك يطعمك ؟ قالت : كان يطعمني مخ العظم وشهد أبكار النحل والزبد ويسقيني الخمر المصني أربعين مرة ، فقال : أهذا كان جزاؤه منك ، ثم أمر بها فربطت بين فرسين جهوحين فضربها حتى تمزقت أعضاؤها .

(وأما جزيرة العرب) فهي ما بين نجران والعذيب .

(أرض عراق العرب) وهي أرض طيبة ممتدة ذات أقاليم واسعة وقرى وطولها من تكريت إلى عبادان ، وعرضها من القادسية إلى حلوان . ومن مدنها المشهورة بغداد ، وهي مدينة عظيمة قاعدة أرض العراق بناها المنصور في الجانب الغربي على الدجلة وأنفق عليها أموالا عظيمة ، يقال إنه أنفق عليها أربعة آلاف ألف دينار ، ونقل أبواب واسط وركبها عليها وجعلها مدينة مدورة حتى لا يكون بعض الناس أقرب إلى السلطان من بعض وبني بها قصرا عظيما بوسطها يقال إن دوره اثنا عشر ألف قصبة والجامع في القصر وقصر المهدي يقابل قصر المنصور في الضفة الأخرى وهما مدينتان يشقهما نهر الدجلة وبينهما جسر من السفن ، وبساتينها في الجانب الآخر الشرقي تسقى بماء النهران وماء سامرا وهما نهران عظيمان ، وأما نهر عيسى فتجري فيه السفن من بغداد إلى الفرات ، وأما نهر السراة فلا تركبه سفينة أصلا لكثرة الأرحية التي عليه . وكانت بغداد في أيام البرامكة مدينة عظيمة يقال إن حماماتها حصرت في وقت من الأوقات فكانت ستين ألفا ، وكان بها من العلماء والوزراء والفضلاء والرؤساء والسادات ما لا يوصف ، قال الطبري في تاريخه : أقل صفة بغداد أنه كان فيها ستون ألف حمام كل حمام يحتاج على الأقل إلى ستة نفر سواق ووقاد وزبال وقائم ومدولب

وحارس وكل واحد من هؤلاء في مثل ليلة العيد يحتاج إلى رطل صابون
لنفسه ولأهله وأولاده فهذه ثلثمائة ألف رطل وستون ألف رطل صابون
برسم فملة الحمامات لا غير فما ظنك بسائر الناس وما يحتاجون إليه من
الأصناف في كل يوم .

(المدائن) وهي مدينة قديمة جاهلية وبها آبار هائلة وبها إيوان كسرى
المضروب به المثل في العظم والشماخة والارتفاع والاتقان ، وإقليمها يعرف
بأرض بابل . وكان المنصور لما قصد أن يبنى بغداد استأشَرَ خالد بن برمك في
نقض الإيوان ونقله من المدائن إلى بغداد فقال له خالد لا تفعل يا أمير
المؤمنين فقال له المنصور ملت إلى بقاء آثار أخوالك الفرس لا بد من هدمه
وأمر المنصور بنقض القصر الأبيض وهو شيء يسير من جانب الإيوان
فنقضت ناحية من القصر الأبيض فكان ما غرموا على نقضه أكثر من
قيمة المنقوض فأزعج ذلك المنصور فقال لخالد قد عزمت على ترك النقض
فقال له خالد لا تفعل يا أمير المؤمنين فغضب المنصور وقال : أما والله إن
أحد رأيك غش فقال خالد بل والله كلاهما نصح فقال : صحح ما قلت فقال :
خالد أما قولي في الأول لا تنقض حتى إن كل جيل يأتي في الدهر ويرى
الإيوان ويستعظم أمره وأمر بانيه ثم يقول إن أمة وملوكا أزال ملك
الفرس وأخذت بلادها وأبادتها لامة عظيمة وملوك عظيمة فذلك من تعظيم
الملة الإسلامية ، وأما قولي في الآخر لا تفعل يعني لا تترك النقض حتى إن
من يأتي من الأجيال والخلق يرون بعض النقض والنقض أسهل من
البيان فيقولون إن أمة بنت هذا البنيان فأعجز نقضه من أتى من بعدهم لامة
عظيمة فذلك تعظيم للفرس واستهانة بالملة الإسلامية فلم يلتفت إلى مقال
وترك النقض .

(والنيل) وهي مدينة حسنة وهي على الفرات العظيم بين بغداد والكوفة
وأصل تسميتها بالنيل أن الحجاج بن يوسف حفر نهراً من الفرات وسماه

النيل باسم نيل مصر وأجراه إليها وعليه مدن عظيمة وقرى ومزارع .
(وفتوى) وهي مدينة أزلية قبالة الموصل وبينهما دجلة ويقال إنها
المدينة التي بعث إليها يونس بن متى عليه السلام .

(الكوفة) مدينة علوية مدنها على بن أبي طالب رضى الله عنه وهي
كبيرة حسنة على شاطئ الفراء لها بناء حسن وحصن حصين ولها نخل كثير
ومره طيب جداً وهي كهيئة بناء البصرة وعلى ستة أميال منها وفيها قبة عظيمة
يقال إن بها قبر على بن أبي طالب رضى الله عنه وما استدار تلك القبة مدفون
آل على والقبة بناء أبي العباس عبد الله بن حمدان في دولة بني العباس .
(البصرة) وهي مدينة عمرية بناها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضى
الله عنه وهي مدينة حسنة رحية .

حكى أحمد بن يعقوب أنه كان بالبصرة سبعة آلاف مسجد .
وحكى بعض التجار أنه اشترى التمر فيها خمسمائة رطل بدينار وهو عشرة
دراهم ، وغربي البصرة البادية وشرقها مياه الأنهار وهي تزيد على عشرة
آلاف نهر تجري فيها السامريات ولكل منها اسم ينسب إلى صاحبه الذي
حفره وإلى الناحية التي يصل إليها وبها نهر يعرف بنهر الأليكة وهو أحد نزهات
الدنيا طوله اثنا عشر ميلاً وهو مسافة ما بين البصرة والأليكة وعلى جانب النهر
قصور وبساتين وفرج ونزه كأنها كلها بستان واحد وكان نخلاًها كله قد غرس
في يوم واحد وجميع أنهارها يدخل عليها المد والجزر والغالب على هذه
الأنهار الملوحة وبين عمارات البصرة وقراها آجام وبطائح ماء معمرة
بزوارق وسامريات .

(واسط) وهي بين البصرة والكوفة . وهي مدينتان على جانب دجلة
ويدهما قنطرة كبيرة مصنوعة على جسر من سفن يعبر عليها من جانب إلى
جانب فالغربية تسمى كسكرا ، والشرقية تسمى واسط العراق وهما في الجسن
والعمارة سوا . وهما أعمر بلاد العراق وعليهما معول ولاية بغداد .

(وعبادان) وهي مدينة عامرة على شاطئ البحر في الضفة الغربية من الدجلة واليها مصب ماء الدجلة ، ويقال في المثل : ما بعد عبادان قرية ، ومن عبادان إلى الخشاب وهي خشبات منصوبات في قعر البحر بأحكام وهندسة وعليها ألواح مهندسة يجلس عليها حراس البحر ومعهم زوارق وهو البحر الفارسي شاطئه الأيمن للعراق والأيسر لفارس .

(أرض الفرس) هي بلاد فارس ومسكنهم وسط المعمور وهي مدن عظيمة وبلاد قديمة وأقاليم كثيرة وهي مادون جيحون ويقال لها ايدان وأما ما وراء جيحون فهو أرض الترك ويقال لها قزوین وأرض فارس كلها متصلة العماثر وهي خمس كور . الكورة الأولى أرجان وهي أصغرهن وتسمى كورة سابور . الكورة الثانية اصطخر وما يليها وهي كورة عظيمة وبها أعظم بلاد الفرس . الكورة الثالثة كورة سابور الثاني . الكورة الرابعة الشاذروان وقاعدتها شيراز . الكورة الخامسة كورة سوس

(أرض کرمان) هي بين أرض فارس وأرض مکران وهو إقليم واسع ومن مدنها المشهورة (يم وهرمز)

(أرض الجبال) أرض واسعة وإقليم عظيم ويسمى إقليم خراسان وعراق العجم وله نحو من خمسمائة مدينة قواعد خارجة عن القرى والرساتيق ومن مدنها (همدان والسوس وشستر ورزيخ ونيسابور وسرخس وغزنة ومرو والطاقان وبلخ وفاراب وبدخشان وقم ووقشان وأصبهان وجرجان والبيلقان ومراغة واردبيل وطوس) .

(أرض طبرستان) وهي مشتملة على إقليم عظيم ومياه غزيرة وأشجار ملتفة ومدينتها العظمى تسمى أيضا طبرستان .

(أرض الري) هي آخر الجبال من خراسان وهو إقليم عظيم كثير القرى والأعمال والرساتيق .

(جبال الديلم) وهي ثلاثة جبال منيعة يتحصن أهلها بها أحدها يسمى

بردوسيان والثاني يسمى المرونج والثالث يسمى واران ولكل جبل منها رئيس والجبل الذي فيه الملك يسمى الكرم وبه رياسة الديلم ومقام آل حسان وبهذا الجبل والأولين أمم عظيمة من الديلم وهي كثيرة الفياض والشجر والمطر وهي في غاية الخصب ولها قرى وشعاب كثيرة وليس عندهم من الدواب ما يشتغلون بها .

(أرض خوارزم) إقليم عظيم منقطع عن أرض خراسان وبعيد عما وراء النهر ويحيط به مفاوز من كل جانب . وأول أعماله الظاهرية خوارزم وهي قاعدة هذه الأرض وهي مدينة عظيمة وفي الوضع مدينتان شرقية وغربية فالأولى على ضفة نهرها الشرقية تسمى درغاشا ، والثانية على ضفته الغربية وتسمى الجرجانية .

(بخارى) مدينة عظيمة ومملكة قديمة ذات قصور عالية وجنان متوالية وقرى متصلة العمار ودورها سبعة وثلاثون ميلا في مثلها ويحيط بها جميعها سور واحد وداخل هذا السور المحيط سور آخر يدور على نفس المدينة ومداتها من الرساتيق ولها قلعة حصينة ونهر يشق ربضها وعلى النهر أرحية كثيرة وأهلها متمولون وذوو ثروة .

(سمرقند) وهي مدينة تشبه بخارى في العمارة والحسن ولها قصور عالية شاهقة ونهور دافقة تخرق أزقتها ودورها تشق جهاتها وقصورها ، وقل أن تخلو من بقاعها المياه الجارية ، ويقال إنها بناء تبع الأكرام بها ذو القرنين . وبحيرة خوارزم دورها ثلثمائة ميل وماؤها ملح أجاج وليس لها مصب ولا مفيض ويقع فيها نهر جيحون على الدوام وسيحون وقتاً دون وقت ويقع أيضاً فيها نهر الشاش ونهر الترك ونهر سرمازعا وأنهار كثيرة صغيرة غيرها ولا يعذب ماؤها ولا يساغ ولا يزيد بما يقع فيها ولا ينقص ويحمد نهر جيحون في الشتاء بالقرب من هذه البحيرة حتى تجوز عليه

الدواب وعلى شطها جبل يعرف بحفرا غويه يحمد فيه الماء فيصير ملحا لأهل تلك المملكة وفي هذه البحيرة شخص يظهر في بعض الأوقات عيانا على صورة إنسان يطفو على وجه الماء ويتكلم ثلاث كلمات أو أربع كلمات مقفلات غير مفهومات ثم يغوص في الماء في الحال وظهوره يدل على موت ملك من الملوك الأعزاز .

(أرض خورستان) وهي من بلاد الجبال وهي أرض سهلة معتدلة الهواء كثيرة المياه واسعة الخير والخصب وبها مدن كثيرة وقرى عامرة . ومن مدنها المشهورة (الأهواز) وهي القطر الكبير الواسع المعمور التواحي وهي قاعدة هذه المملكة وبها أرزاق وخيرات زائدة الوصف ، وبها تعمل الثياب الأهوازية التي لانظير لها في الدنيا وكذلك البسط والحلل والستور وملابس مراكب الملوك وبها يصنع كل نوع غريب .

(أرض طخارستان) وهي أرض الهياطلة وإقليمه واسع ، وهو بين أرض الجبال وبلاد الأتراك وبها مدن كثيرة وقرى عامرة وخصب (أرض الصغد) وهي أرض واسعة ذات بساتين وأشجار وفواكه ومياه ومدن عامرة ولها نهر يسمى الصغد يخرج من جبال التيم ويمتد على ظهرها ومدنتها العظمى تسمى الصغد وهي ذات قصور عالية وأبنية شاهقة والمياه تخرق أزقتها وشوارعها وقل أن يكون بها قصر أو دار أو بستان بغير ماء .

(أرض أشروسنه) وهي قبلى أرض فرغانة وهي إقليم عظيم كالعراق وبه مدن وقرى وخيرات وافرة وخصب إلى الغاية .

(أرض التيم) وهي غربي بلاد فرغانة وهي أرض واسعة وبها جبال شاهقة بها معادن الذهب والفضة والنوشادر والزاج وبها جبال شاهقة وطرق ممتعة ، وفي الجبال خسوف تخرج منها النار في الليل فترى على مسافة خمسة أيام وفي النهار يخرج منها الدخان . وفي جبال التيم حصن شمسك الذي لم يطمع

في الوصول إليه من يرومه من الأعداء وهو كثير الخيرات وبه تعمل آلات الحديد والفولاذ وأنواع الأسلحة لتلك المملكة وغيرها .

(أرض فرغانة) وهي مجاورة أرض التبت وهي أرض واسعة ذات كور وأقاليم ومدن وقرى وضيايع . ومن مدنها المشهورة (فرغانة) وهي إقليم واسع وهي قاعدة ذلك الملك وبها أمم عظيمة وأسواق وخيرات .

(أرض التبت) إقليم واسع ومدينته تسمى به وهو آخر مدن خراسان وهو مجاور بلاد الصين وبعض بلاد الهند وهو بلاد الأتراك التبتية وهو إقليم على نشز من الأرض عال وفي أسفله واد يمر على بحيرة بزوان مشرقا ويعمل بها ثياب ثخان الأجرام لها قيمة غالية وأهلها يتجرون في الفضة والحديد والحجارة الملونة والمسك التبتى وجلود الفمور ، وليس على معمور الأرض أحسن ألوانا ولا أنعم أبدانا ولا أجمل أخلاقا ولا أرق بشرة ولا أذكي رائحة من الترك الذين بتلك البلاد وهم يسرق بعضهم بعضا ويبيعونه .

ومن مدنه المشهورة (يتنج) وهي مدينة على رأس جبل وعليها سور حصين ولها باب واحد لا غير . وبها صناعات كثيرة وأعمال بدیعة ، وبالجليل المتصل بالتبت ينبت السنبل وفي غياضه دواب المسك ترعى منه وهي كغزلان الفلاة غير أن لها نابین معتقین كأناب الغيلة يخرج المسك من سرتها كالدمل فتحك سرتها في الحجر فينفجر وتجمد فتخرج التجار فتجمعه ويضعونه في النوافج ، وبها فأرة المسك أيضاً وهي فأرة يخرج المسك من سرتها أيضاً وهذا المسك هو الغاية في قوة الرائحة وغاية الثمن وبهذا الجبل من الراوند الصيني شيء كثير ويقرب منه جبل معطوف عليه كالدال وبه بئر بعيد القعر يسمع من أسفله خرير الماء ودوى جريانه ، ولا يدرك له قعر ويتصل طرفاً هذا الجبل بجمال الهند وفي وسطه أرض وطیئة وفيها قصر عظيم مائل مربع البناء ولا باب له وكل من قصده ومشى نحوه يجد في نفسه طرباً وسروراً كما يجد شارب الخمر من نشوة الخمر . ويقال إن من تعلق بهذا القصر وصعد إلى أعلاه ضحك

ضحكا شديدا ثم رمى بنفسه إلى داخله لا يدري لأي شيء ولا يمكن أحد أن يعلم ما سبب ذلك وما الذي في داخله .

(أرض اللان) وهي أرض واسعة عامرة . ومن مدنه المشهورة (برذعة) وهي مدينة عظيمة كثيرة الخصب ويقرب منها موضع يقال له الأندروان مسيرة يوم في يوم وهو من نزه الدنيا كله عمارات وقصور وبساتين ومناظر وفواكه وثمار وبه البندق والشاهلوط الذي ليس له في الدنيا نظير في الطعم والكثرة حتى لو حمل ذلك إلى البلاد شرقها وغربها لكفاهم وبها الريعان وهو نوع من العنبر الذي لا يوجد مثله في الدنيا وهي على نهر الكروها باب يعرف بباب الأكراد له سوق يعرف بسوق الكركي مقداره ثلاثة أميال (أرض التغرغر) وهي بين أرض التبت والصين كما تقدم . ومن مدنها المشهورة (باخوان) وهي مدينة عظيمة آخذة من جهة المشرق على ضفة نهر وحوها مياه جارية ومزارع كثيرة وهي مرابع الأتراك وبها يعمل من الآلات الحديد الصيني كل غريب وبها من الآنية الصينية ما لا يوجد في غيرها (وأما أرض الصين) فانها طويلة عريضة طولها من المشرق إلى المغرب نحو ثلاثة أشهر وعرضها من بحر الصين إلى بحر الهند في الجنوب وإلى سد ياجوج وماجوج في الشمال ، وقد قيل إن عرضها أكثر من طولها وهي تشمل على الأقليم السبعة ، ويقال إن بها ثلثمائة مدينة قواعد كبار عامرة سوى الرساتيق والقرى والجزائر وعندهم معدن الذهب قال الهروي أبواب الصين اثنا عشر بابا ، وهي جبال في البحر بين كل جبلين منها فرجة تصير إلى موضع بعيد من بلاد الصين ، فاذا جاوزت السفينة تلك الأبواب جازت في بحر فسيح وماء عذب فلا تزال كذلك حتى تصير إلى الموضع الذي تريد من بلاد الصين وأهل الصين أحسن الناس سياسة وأكثرهم عدلا وأحذق الناس في الصناعات والنقوش والتصوير وأن الواحد منهم يعمل بيده من النقش والتصوير ما يعجز عنه أهل الأرض . وكان من عادات

ملوكهم أن الملك منهم إذا سمع بنقاش أو مصور في أقطار بلاده أرسل إليه بقاصد ومال ورغبه في الاشخاص إليه فإذا حضر عنده وعده بالمال والرزق والصلوات وأمره أن يصنع تمثالا مما يعابه من النقش والتصوير ويبدل في ذلك غاية جهده ومقدرته ويحضر به إليه فإذا فعل وأحضره علق ذلك الصنع والتمثال بباب قصر الملك وتركه سنة كاملة والناس يهرعون إليه في تلك المدة فإذا مضت السنة ولم يظهر أحد من الناس على عيب به أو خلل في صنعه أحضر ذلك الصانع وخلع عليه وجعله من خواص الصنائع في دار الصناعة وأجرى عليه ما وعده به من المال والصلة والادار فبلغه عن نقاش ماهر في النقش والتصوير في بلاد الروم فأرسل إليه وأشخصه وأمره بعمل شيء مما يقدر عليه من النقش والتصوير مثالا يعلقه بباب القصر على العادة فنقش له في رقعة صورة سنبلة خضراء قائمة وعليها عصفور وأتقن نقشه وهينته حتى إذا نظره أحد لا يشك في أنه عصفور على سنبلة خضراء ولا ينكر شيئا من ذلك غير النطق والحركة ، فأعجب الملك ذلك وأمر بتعليقه وبادار الرزق عليه إلى انقضاء مدة التعليق ، قضت سنة إلا بعض أيام ولم يقدر أحد على إظهار عيب ولا خلل فيه ، فحضر شيخ مسن ونظر إلى المثال ، وقال هذا محتل وفيه عيب فأحضر إلى الملك وأحضر النقاش والتمثال ، وقال : ما الذي فيه من الخلل والعيب ؟ فأخرج عما وقعت فيه بوجه ظاهر ودليل ، وإلا حل بك الندم وما لا خير فيه ، فقال الشيخ : أسعد الله الملك وألهمه السداد مثال أي شيء هذا الموضوع ، فقال الملك : مثال سنبلة من حنطة قائمة على ساقها وفوقها عصفور ، فقال الشيخ : أصلح الله الملك أما العصفور فليس به خلل ، وإنما الخلل في وضع السنبلة ، فقال الملك : وما الخلل وقد امتزج غضبا على الشيخ ، فقال الخلل في استقامة السنبلة لأن من العرف أن العصفور إذا حط على سنبلة أمالها انقل العصفور وضعف ساق السنبلة وإذا كانت السنبلة معوجة مائلة لكان ذلك نهاية في النوضم والحكمة فوافق الملك

على ذلك وسلم . وأهل الصين قصار القدود عظام الروس ومذاهبهم مختلفة ، فمنهم أهل أوثان وأهل نيران وعباد حيات وغير ذلك وأشرف ما يتحلون به قرون السكر كند لأنها إذا نشرت ظهرت منها صور مدهشة عجبية كاملة النقش والتخطيط فيتخذون منها مناطق ويفتخرون بها فتبلغ قيمة المنطقة الواحدة أربعة آلاف دينار وفي تلك القرون المنشورة خاصية عظيمة إذا شدت على الجسم تحت الثياب فإنها إذا دخل على الملك سم أو قدم إليه طعام فيه سم تحركت على جسمه واختلجت . وأما صين آصين : فهي نهاية العمارة في المشرق وليس وراءها إلا البحر المحيط ومدينة الصين العظمى تسمى السبلي وأخبارهم منقطعة عنا لبعدهم .

ويحكى : أن الملك عندهم إذا لم يكن له مائة زرجة بمهور وألف فيل برجالها وأسليحتها لا يسمى بملك وإذا كان للملك منهم عدة أولاد ثم مات لا يرث ملكه منهم إلا أحذقهم بالنقش والتصوير . ومن مدن الصين المشهورة (خانقو) وهي أعظم مدن الصين ، وهي على نهر عظيم أعظم من دجلة والفرات ، وبها أمم لا تحصى كثرة ولها ملك ذو هيئة على مربطه ما يزيد على ألف فيل وجنوده كثيرة ، وهي على خور من البحر الأعظم تدخل فيه المراكب إلى مسيرة شهرين ، وبها الأرض والموز الغزير وقصب السكر والتارجيل .

(وخانكو) وهي مدينة عظيمة تشبه خانقو في السعة والعمارة وكثرة الخلق ، وهي كثيرة الفواكه الفاخرة وهي على خور من البحر وهذه البلاد الحيوانات الغريبة الشكل مثل الفيل والسكر كند والزرافة وغير ذلك من صندل والآبنوس والكافور والخيزران والعطر وجميع الأفاويه مالا يوصف الليل والنهار في هذه البلاد متكاثران .

(وباجة) مدينة عظيمة ، وبها أمم عظيمة ، وبها جميع الفواكه إلا العنب والتين . لا يوجدان بها ولا يبلد الصين والتبت والهند ، وإنما عندهم

شجر يسمى الشكى والبركى يطرح ثمره طول الثمرة أربعة أشبار مدور كالخروط وله قشر أحمر وهو لذيذ الطعم وفي جوف تلك الثمرة حب مثل حب الشاهبلوط يشوى في النار ويؤكل فيوجد فيه طعم التفاح وطعم الكمثرى وطعم الموز وبلاد الهند شجر يسمى العنباء كشجر الموز وثمرته كالقمل يعمل بالخل فيكون كطعم الزيتون وهذه المدينة هي سكنى البغبوغ وهو ملك الصين ومعناه ملك الملوك وله في دسته ومو كبه زى عظيم .

(وجمدان) وهي مدينة عظيمة يشقها نهرها الأعظم المسمى جمدان وأهلها ذوو أموال غزيرة وهي قاعدة من قواعد الصين .

(كاشغر) وهي مدينة عظيمة على صفة نهر صغير يأتي من شمالها يقع من جبل وبهذا الجبل معادن الفضة الطيبة الفاتحة السهلة التخلص .

(وخيمون) وهي مدينة حسنة ذات بساتين وفرج ، وبها غزال المسك الفائق ودابة الزباد الفاخر وهي دابة كالهرة في الخلق وأنفس منها في الجسم يحك الزباد من آباطها بملقعة فضة وهو عرق يخرج من آباطها .

(اسفيريا) مدينة عظيمة على بركة ماء عذب لا يعرف لها قعر ، وبها سمك له وجوه مثل اليوم وعلى رؤوسها كفلاس الديوك .

(وطوخا) مدينة يعمل فيها ثياب الحرير الطوخية التي لا نظير لها (وسوسة) وهي المدينة التي بها الفخار الصيني الفاخر الذي لا يعدله شيء من فخار الصين .

وقد ذكرنا من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق من المحيط إلى المحيط .
ونرجع الآن إلى ذكر بلاد الجنوب . وهي الواقعة بين المشرق والمغرب إن شاء الله تعالى وهذه البلاد كلها بلاد السودان وأولها من المغرب الأقصى إلى المشرق الأقصى على حكم ربع الدائرة ، فأول بلادهم من المغرب الأقصى (أرض مغرارة) ومن مدنها المشهورة المعظمة (أوليلي) وهي في البحر وبها الملاحة المشهورة التي يحمل منها إلى سائر بلاد السودان .

(وصلى) وهى مدينة كبيرة على نهر النيل، وهى مجتمع السودان وأهلها ذوو بأس ونجدة وملكها مؤمن.

(وتكروور) وهى فى جنوب النيل وغريه، وهى مدينة كبيرة وبها أمم عظيمة من السودان، وهى مقر ملكهم ويلادهم معدن الذهب ويسافر إليها أهل الغرب بالصوف والنحاس والخرز والودع ولا يجلب منها إلا الذهب العين (ولم) وهى مدينة متوسطة وعندهم معدن الذهب وباقى أرض مغراوة صحارى وبرارى ومقاووز لاعماره بها ولا سالك لقله الماء والمرعى وشمالها أرض غانة وجنوبها الأرض من الربع الخراب.

(وأرض نقارة) وهى شرقى أرض مغراوة، وهى أرض واسعة. ومن مدنها المشهورة (ونقرة). وهى بلاد التبر والطيب، وهى جزيرة على ضفة المحيط وطولها ثلثمائة ميل وعرضها مائة وخمسون ميلا والبحر يحيط بها من جهاتها الثلاث والنيل فى زيادته يغطى أكثر هذه الجزيرة وإذا نقص الماء عنها خرج أهل تلك البلاد فيبحثون فى أرضها على التبر فيحصل لكل واحد منهم ما قسمه الله ويخرجون إلى التفتيش فقراء فيرجعون وهم أغنياء وملكهم أرض محمية مختصة به لا يدخلها إلا أجناده فيجمعون له كنوزا لا توصف فيأتون به إلى مدينة سلجماسة من الغرب فيضربونه دنائير ولذلك أهل سلجماسة جميعهم أغنياء بتلك الوسطة.

(وسمقارة) وهى مدينة متوسطة وفى شمالها قوم يقال لهم مقامة برابر رحالة لا يقيمون فى موضع ويرعون جمالهم وأبقارهم على ساحل نهر يأتى من جهة المشرق يصب فى النيل ومعاشهم من اللحم واللين والسملك.

(وغينارة) وهى مدينة على ضفة النيل وعليها خندق يحيط بها وأهلها ذوو بأس ونجدة وهم يغيرون على بلاد ألم ويأسرون منهم ويبيعون فى البلاد (أرض السكر كر) وهى مملكة عظيمة واسعة ولها ممالك كثيرة ومدنيتهم تسمى باسم إقليمهم كركرة وهى على بحر يخرج من ناحية الشمال ويمحور

عنها بأيام ويفيض في رمال في الصحراء كما يفيض الفرات ، وبها من السودان أمم لا تحصى وملكهم عظيم كثير الجنود ولهم زى حسن وحلهم الذهب الابريز إلا العوام فان لباسهم الجلود وهي متصلة ببلاد معادن الذهب يقال إن الأرض عندهم كلها ذهب ولهم خط لا يتجاوزه من وصل إليهم من التجار ومعه متاع لكن إذا وصلوا إلى الخط وضعوا متاعهم عليه وانصرفوا فإذا كان الغد أتوا إلى أمتعتهم فيجدون عند كل متاع شيئاً من الذهب فان رضى أحدهم أخذ الذهب وترك المتاع وإن لم يرض ترك المتاع والذهب إلى غد فإذا كان الغد وجد زيادة عند متاعه فان رضى رفع الذهب وترك المتاع وإن لم يرض تركه إلى ثالث يوم فمن وجد زيادة أخذ الذهب وإلا رفع متاعه وترك الذهب أو أخذ الذهب مع زيادة وهكذا يفعل تجار القرنفل في بلادهم في القرنفل وربما يتأخر بعض التجار بعد فراغه من البيع والمعاوضة ويضع النار في الأرض فيسبل منها الذهب فيسرقه ويهرب فإذا فطنوا لهم خرجوا في طلبهم فان أدركوهم قتلوهم البتة . وأرض الكركر عود ينبت يسمى عود الحية خاصيته أنه إذا وضع على جحر فيه حية خرجت مسرعة ويمسكها بيده فلا تضره أبداً .

(أرض الدهم) يسار إليها من كركر على شاطئ البحر مغرباً وهي مملكة عظيمة ولها ممالك كثيرة وجنود ذوو شدة ونجدة وتحت يد ملكهم ملوك ، وفي مملكته قلعة عليها سور وفي أعلاه صورة امرأة يتأهلون لها ويعبدونها ويحجون إليها وهم أمة كالبهايم مملون في أديانهم وكلهم عريان يأكل بعضهم بعضاً .

(أرض غانة) وهي شمال أرض مغرارة وهي مدينة سميت باسم إقليمها وهي أكبر بلاد السودان وأوسعها شجراً وهم في سعة من المال وهي مدينتان في ضفة النيل ويقصدهما التجار من سائر البلاد وأرضها كلها ذهب ظاهر ولهم في النيل زوارق عظيمة . أهمها يستخرجون الذهب يصنعونه كاللبن ويسافر إليها التجار من سلجماس ومعازة نحو اثني عشر يوماً لا يجدون فيها الماء ويحملون

إليها التين والملح والتحاس والودع ولا يحملون منها إلا الذهب العين ولها ملك ضخم في جنود وعدد، وله ممالك عديدة فيها ملوك من تحت يده وله قصر عظيم على النيل وفي قصره تبرة واحدة من ذهب كالصخرة العظيمة وهي خلقة الله وفيها ثقب كالمرابط وهو مربوط فرس الملك ويقال إن ملكها مسلم (أرض قندوية) وهي شمال أرض مغارة متصلة بالحيط وشرقها صحراء ينسر وبهذه الصحراء حيات طوال القدود غلاظ الأجسام في غلظ الخروف السمين وطول الرمح وأطول وأقصر يصيدها ملوك السودان ويساخنونها ويطبخونها بالملح والشبع ويأكلونها وبها جبل قابان وهو عال جداً يقال إن السحاب يمر دونه وليس به شيء من النبات وفيه أحجار لماعة إذا طلعت الشمس عليها تكاد أن تخطف الأبصار وليس لأحد سبيل إلى الوصول إلى ذروته ولا سفحه لأنه مزحلق وفي أسفله عيون عذبة كأن مياهها قد مزجت بالعسل.

(أرض الكانم) وهي أرض منبسطة واسعة على شاطئ النيل وأهلها مسلمون إلا القليل منهم وهم على مذهب مالك رضى الله عنه.

(أرض النوبة) أرض واسعة وإقليم كبير ومسيرة مملكتهم ثلاثة أشهر وهي في حدود مصر وكثيرا ما يغزوم عسكر مصر ويقال إن لقمان الحكيم الذي كان مع داود عليه الصلاة والسلام وهو المذكور في القرآن العظيم من النوبة وأنه ولد بأيلة ومنها ذو النون المصري رضى الله عنه وبلال بن حمادة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤذنه وعندهم معدن الذهب ودينهم النصرانية وملكهم ملك جليل كثير الجنود وهم فرقتان فرقة يقال لها علوة ومدينتهم العظمى (وبلولة) وهي مدينة عظيمة بها من السودان أمم لا تحصى والفرقة الأخرى يقال لها النوبة ومدينتهم العظمى (بنقلة) وهي مثل بلولة على ضفة النيل من غربيه وأهلها أحسن السودان جوها وأعدلها شكلا وفي بلادهم القبيلة والزرافات والقروذ والغزلان ومن مدن النوبة المشورة (نوابية) ويقال لها نوبة وهي مدينة وسط وبينها وبين النيل أربعة

أيام وشرب أهلها من الآبار وفي نساء هذه المدينة الجمال الفائق والحسن الكامل ولهم حسن النطق وحلاوة اللفظ وطيب النعمة ، وليس في سائر السودان من شعورهم مسيلة غيرهم وبعض الهنود وبعض الحبوش لا غير وقيمة الجارية الحسنة منهم ثلثمائة دينار وما فوقها .

وحكى : أنه كان عند الوزير أبي الحسن المعروف بالمصحفي جارية منهم لم ير أكمل منها قدأ ولا أحسن خلقاً ولا أملح شكلاً ولا أنعم جسماً ولا أحلى منطقاً ولا أنم محاسن وكانت اذا تكلمت سمحرت الألباب بمنطقها وحلاوة ألفاظها فاشتراها صاحب بن عباد منه بأربعمائة دينار وأحبها حباً عظيماً ومدحها في بعض أشعاره وقيل عنه أنه قبل مشتراها كانت همته قد ذهبت وشهوته انقطعت فلما اشتراها وضاجعها انبعثت شهوته ونهضت همته وتراجعت قوته لطيب ما وجد عندها .

(وطرمي) وهي مدينة كبيرة على البطيحة التي يجتمع بها ماء النيل وعلى ضفة هذه البطيحة صنم كبير من حجر رافع يده إلى صدره يقال إنه كان رجلاً ظالماً فسوخ حجرأ .

(ويلاق) وهي مدينة كبيرة وهي مجتمع تجار النوبة وتجار الحبشة ومن ويلاق إلى جبل الجنادل ستة أيام وإلى هذا الجبل تصل مراكب مصر والسودان .

(الحبشة) وبلادهم تقابل بلاد الحجاز وبينهم البحر وأكثرهم نصارى وهي أرض طويلة عريضة مادة من شرق النوبة إلى جنوبها وهم الذين ملكوا اليمن قبل الاسلام في أيام الأكاسرة وخصيان الحبشة أفضل الخصيان وفي نسايتهم أيضاً جمال وحلاوة وحسن نعمة . ومن مدنها المشهورة (كبير) وهي مدينتها العظمى وهي دار مملكة النجاشي رحمه الله تعالى وبها من شجر الموز كثير وأهل تلك البلاد لا يأكلون الموز ولا الدجاج أصلاً .

(أرض الزيلع) وهي تجاور الحبشة من الجنوب وهم أمم عظيمة

والغالب عليهم دين الاسلام والصلاح والانقياد إلى الخير .

(أرض البجة) وأهلها تجاور الحبشة من الشمال وهي بين الحبشة والنوبة وهم شديداً السواد عراة الأجساد يعبدون الأوثان ولهم عدة ممالك وهم أهل أنس وحسن وتلطف مع التجار وفي بلادهم معدن الذهب وليس بأرضهم قرى ولا نخب وإنما هي بادية جردية تصعد التجار منها إلى وادي العلاق وهو واد فيه خلق كثير كالبلد الجامع وفيه آبار عذبة يشربون منها ومعدن الذهب عندهم متوسط في صحراء لا جبل حوله بل رماله لينة ومباسب سيالة فإذا كان أول ليالي الشهر العربي خاض الطلاب في تلك الرمال فينظرون التبر يضيء بين الرمل ويعلمون مواضعه ويصبحون فيجئ كل منهم إلى الكوم الرمل الذي عليه فيحمله على هجينه ويمضي إلى آبار فيغسله ويصوله ويستخرج منه التبر ويلغمه بالزئبق ثم يسبكه في البوادي فمن ذلك بلاغهم ومعاشهم وقد انضاف إليهم جماعة من العرب من ربيعة بن نزار وتزوجوا منهم .

(عيذاب) وما يتصل بها من الصحراء المنسوبة إلى عيذاب وليس لها طريق معروفة إلا رمال سيالة ولا يستدل عليها إلا بالجبال والكمدى وربما أخطأها الدليل وهو ماهر وعيذاب مدينة حسنة وهي مجمع التجار برأ وبحراً وأهلها يتعاملون بالدرهم عدداً ولا يعرفون الوزن وبها وال من قبل البجة ووال من قبل سلطان مصر يقسمان جباياتها نصفين وعلى عامل مصر القيام بطلب الارزاق وعلى عامل البجة حمايتها من الحبشة ، واللبن والعسل والسمن بها كثير وبينها وبين الحجاز عرض البحر وبين البجة وبين النوبة قوم يقال لهم البليون أهل عزم وشجاعة يهاجم كل من حولهم من الأمم ويهادونهم وهم نصارى خوارج على مذهب اليعقوية .

(أرض بربرة) وهي تتصل بأرض النوبة على البحر وهي مقابلة اليمن وبها قرى غامرة متصلة وبها جبل يقال له قانوني وهو جبل له سبعة رؤوس خالرجة وتمتد في البحر أربعة وأربعين ميلاً وعلى رؤوس هذه الجبال بلاد

صغيرة يقال لها الهاوية وبعض أهل بربرة يأكلون الضفادع والحشرات والقاذورات ويتصيدون في البحر عوما بشباك صغار ، وبلى هذه الأرض (أرض الزنج) وهي مقابل أرض السند وبينهما عرض بحر فارس وهم أشد السودان سوادا وكلهم يعبدون الآوثان وهم أهل بأس وقساوة ومحاربون راكبين على بقر وليس في بلادهم خيل ولا بغال ولا جمال قال المسعودي : ولقد رأيت هذه البقرة تبرك كما تبرك الجمال ويحملونها وتثور كالجمال ومساكنهم من حد الخليج المنصب إلى سفالة الذهب .

(وراق الواق) وأرضهم واسعة وقراهم عامرة وكل قرية على خور وهي أرض كثيرة الذهب والخصب والعجائب ولا يوجد البرد عندهم أصلا ولا المطر وكذلك غالب بلاد السودان وليس لهم مراكب بل تدخل إليهم المراكب من عمان والتجار يشترون أولادهم بالتمر ويبيعونهم في البلاد وأهل بلاد الزنج كثيرون في العدد قليلون في العدد ويقال إن ملكهم يركب في ثلثمائة ألف راكب كلهم على البقر والتيل ينقسم فوق بلادهم عند جبل المقسم وأكثرهم يحدون أسنانهم ويبردونها حتى ترق ويبيعون أنياب الفيلة وجلود النمر والحديد ولهم جزائر يخرجون منها الودع ويتخلون به ويبيعونه فيما بينهم بثمن له قيمة ولهم ممالك واسعة .

(أرض الدمام) وبلادهم على النيل مجاورة للزنج والدمام هم تتر السودان يخرجون عليهم كل وقت فيقتلون ويأسرون وينهبون وهم مهملون في أمر أديانهم وفي بلادهم الزراعات كثيرة ومنها يفرق النيل إلى أرض مصر وإلى جهة الزنج .

(أرض سفالة الذهب) وهي تجاور أرض الزنج من المشرق وهي أرض واسعة وبها جبال فيها معادن الحديد يستخرجه أهل تلك البلاد والهنود تأتي إليهم ويشترون منهم ذلك بأوفر ثمن مع أن في بلاد الهنود معادن الحديد لكن معادن سفالة أطيب وأصح وأرطب ، والهنود يصفونه فيصير

فولاذ قاطعا وبهذه البلاد معادن لضرب السيوف الهندية وغيرها .
ومن عجائب أرض سفالة أن بها التبر الكثير ظاهراً زنة كل تبرة
مثقلاًن وثلاثة وأكثر . وهم مع ذلك لا يتحلون إلا بالنحاس ويفضلونه
على الذهب وأرض سفالة متصلة بأرض واق الواق

(أرض الحجاز) وهي تقابل أرض الحبشة وبينهما عرض البحر . ومن
مدنها المشهورة (مكة المشرفة) وهي مدينة قديمة . روى الحافظ أبو الفرج
ابن الجوزي في كتابه البهجة ، قصة بناء البيت الحرام قال وهو حرم مكة
وكعبة الاسلام وقبة المؤمنين والحج إليه أحد أركان الدين .
واختلف العلماء في ابتداء بناء البيت الحرام على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الله تعالى وضعه ليس ببناء أحد ثم في زمان وضعه
إياه قولان : أحدهما قبل خلق آدم عليه السلام . قال أبو هريرة رضي الله
عنه : وكانت الكعبة خشفة على الماء وعليها ملكان يسبحان الله تعالى الليل
والنهار قبل خلق الأرض بألفى عام والخشفة الآكمة الحراء قال ابن عباس
رضي الله عنهما : لما كان عرش الرحمن على الماء قبل أن يخلق السموات
والأرض بعث الله رجلاً فصفت الماء فأبرزت عن خشفة في موضع البيت
كأنها قبة فدحا الأرض من تحتها . وقال مجاهد : لقد خلق الله عز وجل
موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألفى عام وإن قواعده لفي
الأرض السابعة السفلى . قال كعب الأحبار رضي الله عنه كانت الكعبة غمام
على الماء قبل أن يخلق الأرض والسموات بأربعين سنة .

وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال : كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة
فلما هبط آدم إلى الأرض أنزل الله عليه الحجر الأسود فأخذه فوضعه إليه
استئناساً به وحج آدم فقالت له الملائكة لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى

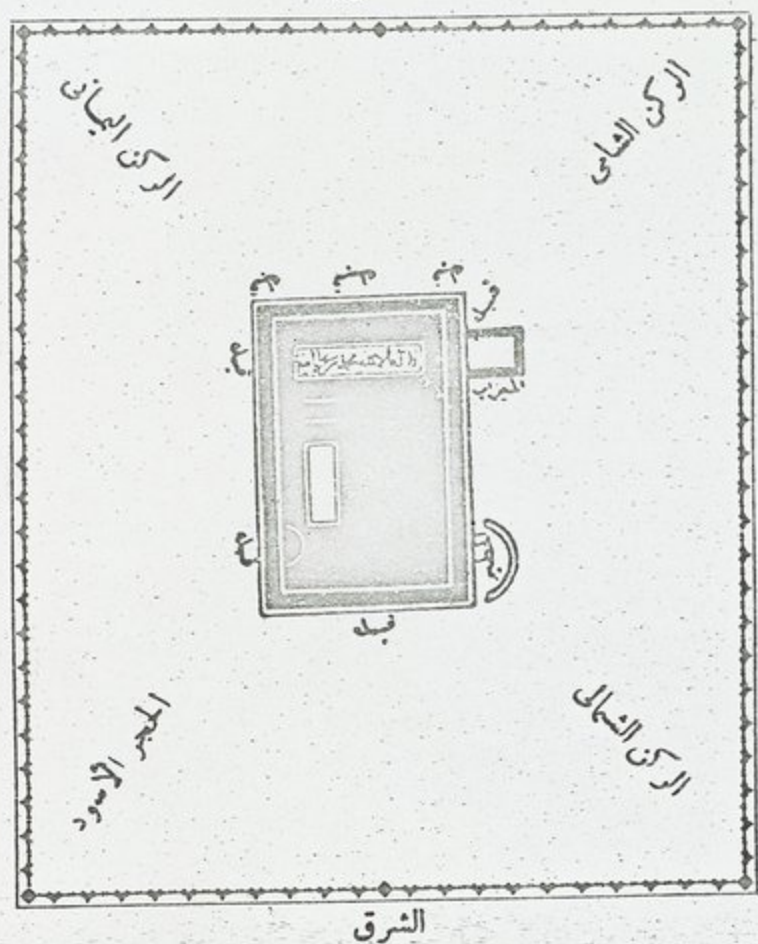
عام فقال آدم رب اجعل له عماراً من ذريتي فأوحى الله تعالى إليه : إني معمّره بيناء نبي من ذريتك اسمه ابراهيم .

القول الثاني : أن الملائكة بنته قال أبو جعفر الباقر رضى الله عنه لما قالت الملائكة ﴿ أنجعل فيها من يفسد فيها ﴾ غضب الرب عز وجل عليهم فلاذوا بالعرش مستجيرين يطوفون حوله يسترضون رب العالمين فرضى سبحانه وتعالى عنهم فقال عز وجل ابنوا لى بيتا فى الأرض يعوذ به كل من سخطت عليه كما فعلتم أتم بعرضى .

القول الثالث : أن آدم لما أهبط من الجنة أوحى الله إليه أن ابن لى بيتا واصنع حوله كما صنعت الملائكة حول عرشى وافعل كما رأيتهم يفعلون فبناه . رواه أبو صالح عن ابن عباس وروى عطية عنه أيضاً قال بنى آدم البيت من خمسة أجبل : لبنان ، وطور سيناء ، وطور زيتا ، والجودى ، وحراء . قال وهب بن منبه لما مات آدم بناه بنوه بالطين والحجارة فنسفه الفرق . قال مجاهد : وكان موضعه بعد الفرق أكمة حراء لاتعلوها السيول وكان يأتيا المظالم ، ويدعز عندها المكروب . قال عز وجل ﴿ ولما يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ وهما أول من بنى البيت بعد الطوفان على القواعد الأزلية الأولى ، فنسب بناء البيت إلى ابراهيم الخليل وإسماعيل عليهما السلام والله سبحانه وتعالى أعلم .

(هذه صورة الكعبة المشرفة)

الغرب



(تأمل كل إقليم وملكته)

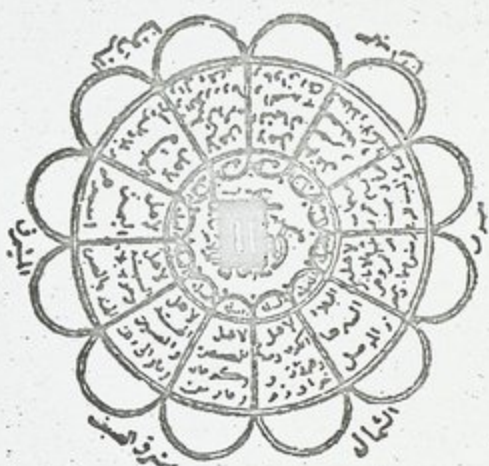
لقد جاء في نسخة ١١١١١ لكتابنا من نسخة نسخة نسخة
 ١١١١١ نسخة نسخة نسخة نسخة نسخة نسخة نسخة

هذه صفة الأروقة والأساطين
 المحيطة بالحرم
 الشريف

في هذا الركن مأذنة باب المعرة

في هذا الركن مأذنة باب ما خرج

نسخة



وعدة الأساطين أربع مائة وثمانية
 وأربعون والأبواب ثمانية وثلاثون
 (نقلت من نسخة منقولة من وضع الشيخ
 العلامة عز الدين بن جماعة رحمه الله)

في هذا الركن مأذنة باب السلام

في هذا الركن مأذنة باب السلام

باب السلام ١١١١١ باب النبي عليه السلام ١١١١١ باب العباس ١١١١١ باب علي ١١١١١

(يثرب) وهى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ودار هجرته الشريفة ، وبها قبره صلى الله عليه وسلم وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة ، وهى مدينة فى غاية الحسن فى مستوى من الأرض وعليها سور قديم وخولها نخل كثير وثمرها فى غاية الطيب والحلاوة ولها مخاليف وجصون . منها وادى العقيق . وبها نخل ومزارع وقبائل عرب . ووادى الصفراء : وبه نخل ومزارع أيضا وقبائل من العرب والبقيع كذلك . ووادى القرى : وهو حصين بين الجبال وبه بيوت منقورة فى الصخر وتسمى تلك النواحي الأتالب ، وبها كانت ثمود ، وبها الآن بئر ثمود . ودومة الجندل : وهو حصن منيع . وتبوك : وهى قرية حسنة ولها حصن من حجر . وفدك : كانت خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم . ومدين : مقر شعيب عليه السلام . (أرض نجد) وهى أرض عظيمة واسعة كثيرة الخير ، وهى بين الحجاز واليمن ، وبها مياه جارية وثمار وأشجار فى غاية الرخص .

(وأما أرض اليمن) وهى تقابل أرض البربر وأرض الزنج وبينهما عرض البحر واليمن على ساحل بحر القلزم من الغرب ، وكان بين هذا البحر وأرض اليمن جبل يحول بينها وبين الماء ، وكان بين اليمن والبحر مسافة بعيدة فقطع بعض الملوك ذلك الجبل بالمعاول ليدخل منه خليجا فيهلك بعض أعدائه وأطلق البحر فى أرض اليمن فاستولى على ممالك عظيمة ومدن كثيرة وأهلك أمما عظيمة لا تحصى وصار بحرا هائلا . ومن مدنها المشهورة زيد . وهى مدينة كبيرة عامرة على نهر صغير ، وهى مجتمع التجار من أرض الحجاز والحبشة وأرض العراق ومصر ، ولها جبايات كثيرة على الصادر والوارد .

(وصنعاء) وهى مدينة متصلة العمارات كثيرة الخيرات معتدلة الهواء والحر والبرد وليس فى بلاد اليمن أقدم منها عهدا ولا أوسع قطرا ولا أكثر خلقا ، وبها قصر غمدان المشهور وهو على نهر صغير يأتى إليها من جبال هناك . وشمال صنعاء جبل يقال له جبل المدخير وعلوه ستون ميلا وبه مياه

جارية وأشجار وثمار ومزارع كثيرة ، وبها من الورس والزعفران كثير جدا .

(عدن) وهى مدينة لطيفة وإنما شهر اسمها لأنها مرسى البحرين ، ومنها تسافر مراكب السند والهند والصين وإليها تجلب بضائع هذه الأقاليم من الحرير والسيوف والكيمنخت والمسك والعود والسروج والأمتعة والأهليلجات والحرارات والمطريات والطيب والعاج والابنوس والحلل والثياب المتخذة من الحشيش الذى يفخر على الحرير والديباغ والقصدير والرصاص واللؤلؤ والحجارة المشعة والزباد والعنبر إلى ما لا نهاية لذكره ويحيط بها من شمالها جبل دائر من البحر إلى البحر وفى طرفه بابان يدخل منهما ويخرج وبينهما وبين إلبانس مدينة الزنج مسيرة أربعة أيام .

(تهامة) وهى قطعة من اليمن بين الحجاز واليمن ، وهى جبال مشتبكة حدها من الغرب بحر القلزم ومن الشرق جبال متصلة وكذلك من الجنوب الشمالى وأرض تهامة قبائل العرب ومن مدنها المشهورة هجر .

(أرض حضرموت) وهى شرق اليمن ، وهى بلاد أصحاب الرس وكانت لهم مدينة اسمها الرس سميت باسم نهرها . ومن مدن أرض حضرموت المشهورة (سبأ) التى ذكرها الله تعالى فى القرآن وكانت مدينة عظيمة ، وكان بها طوائف من أهل اليمن (وحمان) وتسمى مدينة مأرب وهو اسم ملك تلك البلاد ، وبهذه المدينة كان السد الذى أرسل الله إليه سيل العرم .

وكان من حديثه أن امرأة كاهنة رأت فى منامها أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت ثم صغقت فأحرقت كل ما وقعت عليه فأخبرت زوجها بذلك ، وكان يسمى عمرا فذهب إلى سد مأرب فوجد الجرذ وهو القار يقبل برجليه حجرا لا يقبله خمسون رجلا فراعاه ما رأى وعلم أنه لا بد من كائنة تنزل بتلك الأرض فرجع وباع جميع ما كان له بأرض مأرب وخرج هو وأهله وولده ، فأرسل الله تعالى الجرذ على أهل السد الذى يحول

بينهم وبين الماء فأغرقهم وهو سيل العرم فهدم السد وخرج إلى تلك الأرض فأغرقها كلها وهذا السد بناه لقمان الأكبر بن عاد بناء بالصخر والرصاص فرسخا في فرسخ ليحول بينهم وبين الماء وجعل فيه أبوابا لياخذوا من مائه بقدر ما يحتاجون إليه ، وكانت أرض مأرب من بلاد اليمن مسيرة ستة أشهر متصلة العمار والبساتين ، وكانوا يقتبسون النار بعضهم من بعض وإذا أرادت المرأة الثمار وضعت على رأسها مكثها وخرجت تمشي بين تلك الأشجار وهي تغزل فما ترجع إلا والمكث ملآن من الثمار التي بخاطرها من غير أن تمس شيئا بيدها ألبتة ، وكانت أرضهم خالية من الهوام والحشرات وغيرها فلا توجد فيها حية ولا عقرب ولا بعوض ولا ذباب ولا قمل ولا براغيث ، وإذا دخل الغريب في أرضهم وفي ثيابه شيء من القمل أو البراغيث هلك من الوقت والحين وذهب ما كان في ثيابه من ذلك بقدرة القادر ، وأذهب الله تعالى جميع ما كانوا فيه من النعيم الذي ذكره في كتابه العزيز ولم يبق بأرضهم إلا الخط والأثمل وهو الطرفاء والأراك وشيء من سدر قليل وقد قال الله تعالى : ﴿ وبذلناهم بجنتهم جنتين ذواتى أكل خبط ﴾ الآية وذلك بأنهم كفروا بنعمة الله تعالى وجحدوها فنزل بهم ما نزل من العذاب قال الله جل ذكره : ﴿ ذلك جزيناكم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور ﴾ وسبأ الآن خراب ، وكان بها قصر سليمان بن داود عليهما السلام وقصر بلقيس زوجته ، وهى ملكة تلك الأرض التى تزوجها سليمان وقصتها مشهورة وبأرضها جبل منيع صعب المرتقى لا يصعد إلى أعلاه إلا بالجهد العظيم وفى أعلاه قرى كثيرة عامرة وبساتين وفواكه ونخل مشر وخصب كثير وبهذا الجبل أحجار العقيق وأحجار الخشت وأحجار الجزع وهى مغشاة بأغشية ترابية لا يعرفها إلا طالها والعارف بها ولهم فى معرفتها علامات ، فتفصل فيظهر حسنها .

(الأحقاف) هى التلال من الرمل التى بين حضرموت وعمان وهى فرى منفرة .

وروى عن عبد الله بن قلابه رضى الله عنه ، أنه خرج في طلب إبل له
 شردت ، فبينما هو في صحارى بلاد اليمن وأرض سبأ إذ وقع على مدينة عظيمة
 بوسطها حصن عظيم وحوله قصور شاهقة في الجو ، فلما دنا منها ظن أن بها
 سكانا أو أناسا يسألهم عن إبله فاذا هي قفر ليس بها أنيس ولا حسيس ، قال
 فنزلت عن ناقتي وعقلتها ثم استلكت سبني ودخلت المدينة ودنوت من الحصن
 فاذا بيايين عظيمين لم ير في الدنيا مثلهما في العظم والارتفاع وفيهما نجوم
 مرصعة من ياقوت أبيض وأصفر يضيء بها ما بين الحصن والمدينة ، فلما
 رأيت ذلك تعجبت منه وتعاضني الأمر فدخلت الحصن وأنا مرعوب
 ذاهب اللب وإذا الحصن كدينة في السعة وبه قصور شاهقة وكل قصر منها
 معقود على عمد من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف وفوق
 الغرف غرف أيضا وكلها مبنية بالذهب والفضة مرصعة بالياقوت الملونة
 والزبرجد واللؤلؤ ومصاريع تلك القصور كمصاريع الحصن في الحسن
 والترصيع وقد فرشت أراضيها باللؤلؤ الكبار وبنادق المسك والعنبر
 والزعفران ، فلما عاينت ما عاينت من ذلك ولم أر مخلوقا كدت أن أضيق
 فنظرت من أعلى الغرف فاذا بأشجار على حافات أنهار تتحرق أزقتها وشوارعها
 منها ما أثمرت ومنها ما لم تثمر وحافات الأنهار مبنية بلبن من فضة وذهب
 فقلت لا شك أن هذه الجنة الموعود بها في الآخرة فحملت من تلك البنادق
 واللؤلؤ ما أمكن وعدت إلى بلادى وأعلنت الناس بذلك فبلغ الخبر معاوية
 ابن أبي سفيان وهو الخليفة يومئذ بالشام فكتب إلى عامله بصنعاء أن يجهزني
 إليه فوفدت عليه فاستخبرني عما سمع من أمرى فأخبرته فأنكر معاوية
 اخباري فأظهرت له من ذلك اللؤلؤ وقد اصفر وتغير وكذلك بنادق العنبر
 والزعفران والمسك ففتحها فاذا فيها بعض رائحة فبعث معاوية رضى الله عنه
 إلى كعب الأحبار ، فلما حضر قال له يا كعب إني دعوتك لأمر أنا من تحقيقه
 على قلق ورجوت أن يكون علمه عندك ، فقال ما ذاك يا أمير المؤمنين قال

معاوية : هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنية من ذهب وفضة عمدتها من
زبرجد وياقوت حصىاؤها لؤلؤ وبنادق مسك وعنبر وزعفران ؟ قال نعم
يا أمير المؤمنين . حتى إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، بناها شداد
ابن عاد الأكبر ، قال معاوية : حدثنا من حديثها . قال كعب : إن عاد الأول
كان له ولدان شديد وشداد ، فلما هلك ملكا بعده البلاد ولم يبق أحد من
منوك الأرض إلا دخل في طاعتهما ، فمات شديد بن عاد فملك شداد الملك
بعده على الانفراد ، وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة ، وكلما مر به ذكر
الجنة وما فيها من القصور والأشجار والثمار وغيرها بما في الجنة دعتة نفسه
أن يبني مثلها في الدنيا عتوا على الله عز وجل فأمر على ابتنائها ووضعها مائة
ملك تحت يد كل ملك ألف قهرمان ، ثم قال لهم انطلقوا إلى أطيب فلاة في
الأرض وأوسعها فابنوا لي مدينة من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ولؤلؤ
واجعلوا تحت عقود تلك المدينة أعمدة من زبرجد وأعالها قصورا وفوق
القصور غرقا مبنية من الذهب والفضة واغرسوا تحت تلك القصور في أزقتها
وشوارعها أصناف الأشجار المختلفة الثمار وأجروا تحتها الأنهار في قنوات
الذهب والفضة النضار فاني أسمع في الكتب القديمة والأسفار صفة الجنة
في الآخرة والعقبى وأنا أحب أن أجعل لي مثلها في الدنيا ، فقالوا بأجمعهم
كيف نقدر على ما وصفت وكيف لنا بالزبرجد والياقوت الذي ذكرت ؟
فقال لهم أستم تعلمون أن ملك الدنيا كلها لي ويدي وكل من فيها طوع
أمرى ، قالوا نعم نعم ذلك ، قال فانطلقوا إلى معادن الزبرجد والياقوت
واللؤلؤ والفضة والذهب فاستخرجوها واحترفوا ما بها ولا تبقوا مجهودا
في ذلك ومع ذلك أخذوا ما في أيدي العالم من أصناف ذلك ولا تبقوا ولا تذوا
رحذروا وأنذروا وكتب كتبه إلى كل ملك في الدنيا وجهاتها وأقطارها
بأمرهم فيها أن يجمعوا ما في بلادهم من أصناف ما ذكر وأن يحتفروا معادنها
ويستخرجوها من التراب والصخور والمعادن والأحجار وقصور البحار ،

فجمعوا ذلك في عشر سنين وكان عدد الملوك المبطلين بجمع ذلك ثلثمائة وستين ملكا ، وخرج المهندسون والحكام والفعلة والصناع من سائر البلاد والبقاع وتبددوا في البراري والقفار والجهات والأقطار حتى وقفوا على صحراء عظيمة فيحاء نقية خالية من الآكام والجبال والأودية والتلال وإذا فيها عيون مطردة وأنهار متجمدة فقالوا هذه صفة الأرض التي أمرنا بها ونبذنا إليها فاختطوا بفنائها بقدر ما أمرهم به شداد ملك الأرض من الطول والعرض وأجروا فيها قنوات الأنهار ووضعوا أساسات على المقدار وأرسلت إليهم ملوك الأقطار بالجواهر والأحجار والأواؤ الكبار والعقيان النضار على الجمال في البراري والقفار وفي البحور أوسقوا بها السفن الكبار ووصل إليهم من تلك الأصناف ما لا يوصف ولا يعد ولا يحصى ولا يكيف فأقاموا في عمل ذلك ثلثمائة سنة جدا من غير تعطيل أبدا ، وكان شداد قد عمر في العمر تسعمائة سنة ، فلما فرغوا من عمل ذلك أتوه وأخبروه بالآتمام ، فقال لهم شداد : انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا منيعا شاهقا رفيعا واجعلوا حول الحصن قصورا عند كل قصر ألف غلام ليكون في كل قصر منها وزير من وزرائي ففضوا وفعلوا ذلك في عشر سنين ، ثم حضروا بين يدي شداد وأخبروه بحصول القصد والمراد ، فأمر وزراءه وهم ألف وزير وأمر خاصته ومن يثق بهم من الجنود وغيرهم أن يستعدوا للرحلة ويتهيئوا للنقلة إلى إرم ذات العماد تحت ركاب ملك الدنيا شداد ، وأمر من أراد من نسائه وحرمه وجواريه وخدمه أن يأخذوا في الجهاز فأقاموا في أخذ الآهبة لذلك عشرين سنة ، ثم سار شداد بمن معه من الأحشاد مسرورا ببلوغ المراد حتى إذا بقي بينه وبين إرم ذات العماد مرحلة واحدة أرسل الله عليه وعلى من معه من الآمة الكافرة الجاحدة صيحة من سماء قدرته فأهلكتهم جميعا بسوط عظيمة سطوته ولم يدخل شداد ومن معه إليها ولا رأوها ولا أشرفوا عليها ومحا الله آثار طرفها ومحجتها فهي مكانها حتى الساعة على هيئتها فتعجب معاوية من

إخبار كعب بهذا الخبر وقال هل يصل إلى تلك المدينة أحد من البشر فقال نعم رجل من أصحاب محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهو بصفة هذا الرجل الجالس بلا شك ولا إيهام .

وروى الشعبي عن علماء حمير من اليمن أنه لما هلك شداد ومن معه من الصبيحة ملك بعده ابنه شداد الأصغر وكان أبوه شداد الأكبر استخلفه على ملكه بأرض حضرموت وسبأ فأمر بحمل أبيه من تلك المغازة إلى حضرموت وأمر فحفرت له حفيرة في مغازة فاستودعه فيها على سرير من ذهب وألقي عليه سبعين حلة منسوجة بقضبان الذهب ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب وكتب فيه هذا الشعر :

اعتبر بي أيها المغرور بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والقدر والملك الحشيد
دان أهل الأرض لي من خوف قهرى ووعد
وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد
وبفضل الملك والعدو أيضاً والعديد
فأتى هود وكنا في ضلال قبل هود
فدعانا لو قبلنا منه للأمر السديد
فعمينا وناديت ألا هل من محيد
فأنتنا صيحة تدوى من الأفق البعيد
فترامينا كزرع وسط يدام حصيد

(قال) الثعلبي ولقد وقع على هذه المغازة أيضاً رجل من حضرموت يقال له بسطام ومعه رجل آخر ذكر أنهم ادخلا هذه المغازة فوجدوا في صدرها درجاً فزلا فيه فاذا هي مقدار مائة درجة كل درجة قائمة وأسفلها أزج معقود في الجبل طوله مائة ذراع وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه مائة ذراع

وفي صدر الأزعج سرير من ذهب وعليه رجل عظيم الجسم قد أخذ طول السرير وعرضه وعليه الحلي والحلل المنسوجة بقضبان الذهب والفضة وعلى رأسه لوح من ذهب وعليه كتابة فاخذ ذلك اللوح وحمل ما أطاقت من قضبان الذهب ونظرا إلى طاقة في أسفل الأزعج يدخل منها ضوء فقصداهما وخرجا منها فاذا هما على ساحل البحر فقعدا هناك إلى أن عبرت بهما مركب فأشارا إليه ولوحا لأهله فأتوا إليهما وسألوهما عن أمرهما فأخبرا بالحال فحملوهما حتى قربوا من أرضهما فوصلا وأخبرا بما اتفق لهما فتعجبوا منه .

(عمان) وأرضها مجاورة لها من أرض الشمال وهي أرض عامرة كثيرة الخلائق والبساتين والفواكه إلا أنها بلاد حارة جدا . ويبلاد عمان حية تسمى العريد وتسمى السكران تنفخ ولا تؤذى فاذا أخذت وجعلت في إناء وثيق وأوثق رأس ذلك الإناء وسد سدا محكما ووضعت في إناء آخر ثان وأخرجت من بلاد عمان عدت من الإناء ولا توجد فيه ولا يعرف كيف ذهبت ، وهذا من أعجب العجب . وهذه الأرض دوية صغيرة تسمى القراد إذا عضت الانسان انتفخ مكانها ودود ولا يزال الدود يسعى في باطن الانسان المعضوض حتى يموت ، ويجبال أرض عمان قروود كثيرة تضرب أهلها ضررا كثيرا وربما لا تندفع في بعض الأوقات إلا بالسلاح والعدد الكثيرة لكثرتها ، وفي أرض عمان مغاص اللاؤاؤ الجيد وفي بحر عمان جزيرة قيس طولها اثنا عشر ميلا في مثلها وصاحب هذه الجزيرة تصل مراكبه إلى بلاد الهند ويغزوهم في غالب الأوقات ويغير على كفار الهند .

ويحكى أن عنده في الجزيرة المذكورة على مرسى البحر من المراكب التي تسمى السفيات مائتي مركب ، وهذه المراكب من عجائب الدنيا وليس على وجه الأرض ومتن البحر مثلها أبدا وهي أن المركب الواحد منها منحوت من خشبة واحدة قتلعة واحدة والمركب الواحد منها يسع مائة رجل وخمسين وبهذه الجزيرة دواب ومواش وأشجار وفواكه .

(الليامة) هي بلاد طسم وجديس وهي بلاد الزرقاء المعروفة بزرقاء
 الليامة وأخبارها مشهورة (منها) أن طسما وجديسا كانا ابني عم وهم العرب
 العاربة وكان الملك في طسم دون جديس وكانت جديس أكثر من طسم وكان
 الملك في طسم اسمه عمليق وكان جباراً ظالماً طاغياً بلغ من طغيانه وتجبده أنه
 ألزم جديسا أن لا تزف بكر من بناتها إلى بعلها حتى يأتوا بها ليلا كان أو نهارا
 وقت زفافها إلى عمليق حتى يفتريها ويأخذ بكارتها ثم يعضوا بها إلى زوجها
 العريس وفي صبيحة زفافها يعملون وليمة لعمليق ولا صحابه من طسم فكث
 زمانا على هذا الحال وكان من أكبر جديس رجل يقال له الأسود وله أخت
 حسناء مبدعة تدعى سعاد وكانت بكرأ فزوجت برجل من أولاد عمها فلما
 حضرت ليلة زفافها ذهبوا بها إلى عمليق فافتريها على العادة ثم خرجت من
 عنده ودمها ظاهر على أثوابها فنظرت فإذا أكبر جديس وأعيان قومها
 وأخوها الأسود جلوس في ناحية من الحى يتشاررون في أمر الوليمة للملك
 في صبيحة تلك الليلة فما أحسوا بها إلا وهي في وسطهم ثم مزقت أثوابها
 من طوقها إلى أذيالها وكشفت عن بطنها وفرجها وأظهرت دمها ونظرت
 يمينا وشمالا وقالت :

لا أحد أذل من جديس أمكذا يفعل بالعروس
 يرضى بذى ياقوم بعل حر من بعد ما ساق وسبق المهر
 يقبضه الموت إذا بنفسه حتفا ولا يصنع ذا بعرضه

فقام الأسود أخوها ورمى بثوبه عليها وسترها وبكى وأمر بردها إلى
 بيتها فلم تفعل وقالت وهي تحرض على قتل عمليق والقوم يسمعون .
 أترضون ما يعزى إلى فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد النمل
 وتمسى سعاد في الدماء غريقة جهاراً وقد زفت عروسا إلى بعل
 فلو أننا كنا رجالا وكتم نساء لكنا لانقر لذا الفعل
 وإن أسم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء لاتعد من الفعل
 ودونكم طيب العروس فأنما خلقت لاثواب العروس وللذل

فبعدا وسحقا للذي ليس يقتنى ويختال يمشى بيننا مشية الرجل
قال فأخرجوها من بينهم ودبت في رهوس القوم خمرة النخوة والمروءة
فقاموا جميعاً إلى مكان آخر فابتدأ الأسود أخو سعاد وقال : يا إخوتاه ويا بني
عماه قد رأيتم ماذا يصنع بيناتكم وأخواتكم وقد اتفق لآختي ما اتفق لمن
تقدمها فما الرأي ؟ قالوا ما ترى . فقال الأسود : لو اجتمع رأيكم على واحد
من بينكم ووليتموه أمركم لانكشف عنكم العار وانتصفت من الأغيار قالوا
جميعاً أنت ذلك الواحد فلا يخالف ولا معاند وتحالفوا فقال اثنوني بالغنم
والبقر والابل وانحروا وأكثروا من الذبح وأوقدوا النيران وعلقوا
القدور ، وأشغلوا النساء بالطبخ ثم اثنوني بسيوفكم تحت ثيابكم ففعلوا فضى
بهم إلى المكان المعروف بالضيافة وكل أراضيههم رمال ، وكان من عادة عمليق
أن كل بكر يقرعها يقف وليها خلف ظهره وهو جالس على السباط في مكان
الضيافة لتعلم طسم كلها من هو ولي العروس وتتحققه مبالغه في إهاته قال
فدفن الأسود سيفه في الرمل خلف مجلس عمليق وقال لقومه من جديس
هكذا فافعلوا فإذا جلس الملك ووقفت خلفه وسبقني تحت قدمي فإذا اشتغل
بالأكل وأخذت سبقي وضربت عنق عمليق يفعل كل منكم بمن هو فوق
رأسه كما فعلت فلا يفلت أحد من القوم : فقالوا سمعاً وطاعة . فأصبح عمليق
سكران ، كذلك أعيان قومه وأتى إلى مكان الضيافة في أعظم زينة وهم
مسرورون منشرحون فلما أخذوا مجالسهم قدّموا الضيافة فرأى عمليق مالم
يره من كثرة الضيافة فشكر الأسود وبش له فقال واحد من قوم عمليق حين
مد يده إلى الأكل : رب أكلة تمنع أكالات ، فما استتم كلامه حتى قتل عمليق
ومن كان معه جالساً على الأكل وحضر الضيافة قتله واحدة وامتلأت الجفان
والمناسف بدماء القتلى . وقد قيل إنه قتل في تلك الساعة من طسم ما يزيد عن
ثمانين ألفاً وما بقي من طسم رجل إلا من غاب عن الولية ووضعت جديس
سيوفها فيمن بقي من الرجال ونهبت وسبت وفتكت في طسم فتكا ذريعاً

وهربت شردمة من طسم إلى حسان بن تبع ملك حمير باليمن فاستغاثت به فأغاثها وتوجه حسان بعساكره قاصداً لجديس وإعانة لطسم. وكانت امرأة اسمها الزرقاء التي تقدم ذكرها تنظر الراكب من مسيرة ثلاثة أميال فلما كان حسان في أثناء الطريق وهو سائر بعساكره قال رجل من طسم لحسان أيها الملك أدام الله سعدك إن امرأة من جدیس اسمها الزرقاء تنظر الراكب من مسيرة ثلاثة أميال فربما تنظر عساكر الملك وتخبر قومها بذلك فيكذبوا لك كيداً عظيماً، فقال حسان وما الرأي عندك؟ فقال الرأي أن نقطع الأشجار فيأخذ كل راكب أمامه شجرة فإذا رأت الزرقاء تقول لقومها إن أشجارا تسير إليكم على الخيل والتجائب فيكذبونها ويهملون أمرنا فنصبحهم ونبلغ الغرض. فاقبلوا الأشجار وحمل كل واحد أمامه شجرة وساقوا سوفاً حيثما فرأتهم الزرقاء فقالت لقومها إني لأرى الشجر يسير إليكم سيراً سريعاً وإني لأرى رجلاً من وراء شجرة يخصف نعلًا وآخر يشرب ماءً وآخر ينهش كتفاً فكذبوها فصبحهم حسان بعساكره وجموعه فأبادهم قتلاً وسبياً وهرب الأسود فنزل على طيء فأجاروه. وجيء بزرقاء اليمامة إلى حسان فأمر بنزع عينيها فزعتا فإذا فيهما عروق سود مملوءة من الإثمد الجيد الخالص.

(وأما السند) فهو إقليم عظيم مجاور للبحرين غربي الهند وهو قسيمان قسم على جانب البحر ويقال لتلك البلاد بلاد اللان والمسلون غالبون على هذا القسم. ومن مدنه المشهورة: المنصورة. وهي مدينة بارها ميل في ميل، وبها خلق كثير وتجار كثيرون والأرزاق بها دارة ووزن درهمهم خمسة دراهم وليس بها إلا النخل والقصب وتفتح شديد الحوضنة، وهي مدينة حارة جداً وسميت هذه المدينة بالمنصورة لأن أبا جعفر المنصور الخليفة من بني العباس بنى أربع مدن على أربع طوابع يقال إنهم لا يخربون أبداً إلا بخراب الدنيا إحداها المنصورة هذه وبغداد بالعراق والمصيصة على بحر الشام والمرافقة بأرض الجزيرة.

(والموليان) ويقال لها المليون وهي مجاورة لبلاد الهند وهي على قدر المنصورة وتسمى فرج بيت الذهب لأن محمد بن يوسف الحجاج وجد بها في بيت واحد أربعين بهارا من الذهب والبهار ثلثمائة وثلاثة وثلاثون منا، وبها صنم كبير تعظمه أهل الهند والسند ومن في أراضيهم ويحجون إليه ويتصدقون عليه بأموال جمّة وحلى وجواهر وله خدم ويزعمون أن لهذا الصنم مائتي ألف سنة يعبد وعيناه جوهرتان لا قيمة لهما وعلى بابه إكليل من ذهب مرصع بأنواع الجواهر الفاخرة .

(أرض الهند) أرض واسعة عظيمة في البر والبحر والجنوب والشمال وملكهم يتصل بملك الزنج في البحر وهي مملكة المهرج ومن عادة أهل الهند أنهم لا يملكون عليهم ملكا حتى يبلغ أربعين سنة ولا يكاد الملك عندهم يظهر للناس أبدا إلا نادرا في السنة .

للهند ممالك كثيرة : فمنها مملكة المانكير واللاهوت ومملكة الفتوح وهي مملكة عظيمة واسعة ولاهملها أصنام يتوارثونها خلفا عن سلف ويزعمون أن لها مائتي ألف سنة تعبد وملكها عظيم الملك كثير الجنود كثير الفيلة وليس عند ملك من ملوك الأرض ما عنده من الفيلة ، ويقال إن على مربطه ألف فيل منها مائة فيل يبيض كالقرطاس ومنها ما ارتفاعه خمسة وعشرون شبرا وقيل مات له فيل فوزن نابه الواحد فكان أربعين منا .

(ومن ممالك الهند مملكة قار) وهي مملكة عظيمة واسعة وإليها ينسب العود والقمارى .

(ومنها مملكة صيمور) ولها ممالك غير ما ذكر نحو اثنتي عشرة مملكة . تمت الجهة الجنوبية ، ولنشرع الآن إن شاء الله تعالى في ذكر الجهة الشمالية وبلادها من المشرق إلى المغرب .

(فأول بلاد هذه الجهة من المغرب الأقصى أرض الفرنج) وهي أمم عظيمة كثيرة لانحصى وهم غالبون على معظم جزائر الأندلس ولهم في بحر

الروم جزائر عظيمة مشهورة مثل جزيرة صقلية وقبرص وجزيرة أفریطس وجزيرة كشميلي والجزيرة الخضراء وعدة جزائر غيرها .

(فأما صقلية) فهي فريدة الزمان وأجمع المسافرين على تفضيلها وحسنها وعظم ملوكها وضخامة دولها وفي هذه الجزيرة مائة وثلاثون مدينة أمهات قواعد خارجة عن القرى والضياع والرسائق . فمن مدنها المشهورة بلزم . وهي مدينتها العظمى وكريسي السلاطين وموطن الجيوش وهي على ساحل البحر من الجانب الغربي ، وهي مدينة حسنة المباني بديعة الإعتقان وهي على قسمين قصور وربض وهي على ثلاث قصبات ، فالقنصة الوسطى تشتمل على قصور رفيعة ومنازل شائعة ومعابد وفنادق وحمامات والقصبتان الأخرى قصور سامية وأبنية عالية وأسواق ، وبها الجامع الأعظم الذي فيه من بدائع الصنعة المتقنة ومن أصناف التصاوير وأنواع التزاويق ما يعجز عن وصفه كل لسان وليس بعد جامع قرطبة أحسن منه .

(وأما الربض) فهو مدينة أخرى محدقة بالمدينة من جميع جهاتها وبه المدينة القديمة المسماة بالحالصة التي كانت سكنى السلطان والمياه بجميع جهات صقلية مخترة والعيون بها مندقة وبها بساتين وجنات وفرج ومنتزهات وخارج الربض نهر عباس وهو نهر عظيم وعليه أرحية كثيرة . ومن مدنها مدينة مسيتنا . وهي مدينة عظيمة وبجبلها معدن عظيم للحديد يحمل منه إلى سائر البلاد .

(ومنها أرض طبرميز) وهي مدينة عظيمة ذات قصور ومنارة وبساتين وفواكه وبها جبل يسمى بطور الآيات ، وبها معدن الذهب .

(ومنها سرقوسة) وهي مدينة عظيمة يقصدها التجار من سائر الأقطار والبحر محقق بها من جميع جهاتها والدخول إليها والخروج منها على طريق واحدة ومنها نوطس ، وهي من أرفع البلاد خصبا واسعة الديار عامرة الأقطار .

(ومنها أرض طرلنس) وهي مدينة أزلية والبحر يحيط بها من جميع

جهاتها ويوصل إليها على قنطرة ، وبها سمك يبحر الواصف عنه ويبحرها
يصاد المرجان وهو نبت في أرض هذا البحر كالشجر ، وبها قنطرة عجيبة
طولها ثلثمائة ذراع في عرض عشرين ذراعا .

(جزيرة قبرص) وهي جزيرة كبيرة مقدار ستة عشر يوما ، وبها مدن
كثيرة وقرى عامرة ومزارع وأنهار وأشجار وثمار ، وبها معادن الزاج
القبرصي الذي ليس في البلاد مثله شيء ، وبها من المواشي ما يكفي بلاد الفرنج .
(ومن مدن الفرنج المشهورة إفرنسة) وهي مدينة عظيمة مجاورة لجزيرة
الاندلس وهي للفرنج كرومية للروم كرسى ملكهم وجميع أمرهم وبيت
ديانتهم ، وبها أمم عظيمة لا تحصى كثرة .

(أرض الجلائقة) وهي شمالى الأندلس وهي أرض واسعة ، وبها أمم
لا تحصى كثرة ومدن عظيمة وقرى عامرة والغالب على أهلها الجهل والحق .
ومن زعيمهم أنهم لا يغسلون ثيابهم أبدا بل يلبسونها وسخة إلى أن تبلى ويدخل
أحدهم بيت الآخر بغير إذنه وهم مهملون في أديانهم كالبهائم بل أضل .
(أرض الباشقرد) وهي بلاد الألمان وبلاد الافرنجة ، وهي أرض كبيرة
واسعة ، وبها مدن وقرى عامرة .

(أرض الكرج) وهي مجاورة لأرض خلاط آخذة إلى الخليج القسطنطيني
ممتدة إلى نحو الشمال وهي أرض واسعة وبها مدن عظيمة وبلاد كثيرة وجبال
شاهقة وقلاع منيعة وأرضهم في غاية الخصب والبركة وبيت الملك عندهم
محفوظ يرثه الرجال والنساء .

(أرض الروم) وهو إقليم واسع الاقطار فسيح الديار وبه مدن عامرة
وضياع ورساتيق وأشجار وفواكه وثمار وبه الخير الغامر والخصب الوافر
وكلها على جانبي البحر القسطنطيني ومن جهة بلاد الأرمن له أحد عشر عملا :
(منها عمل حرية) ، وفيه خمسة حصون . (وعمل العصاة) ، وفيه ثلاثة حصون .
(وعمل الأرسيق) ، وفيه عشرة حصون . (وعمل الأفشين) ، وفيه أربعة حصون .

(وعمل حرسون) وفيه أربعون حصنا ، وعمل البلقان وفيه ستة عشر حصنا وهذه الأرض كانت في القديم بلاد اليونان فغلبت الروم عليها . ومن جملة أعمالها عمل كرميان وفيه ستة عشر حصنا ، (وعمل خلديه) وفيه ستة حصون ، (وعمل ميلوقية) وفيه عشرة حصون (وعمل الفنادق) وفيه ثمانية عشر حصنا .

ويبلاد الروم أيضا مائة جزيرة كلها في البحر وكلها عامرة أهلة . ومن مدن الروم المشهورة (قسطنطينية) : وهي مثلثة الشكل منها جانبان في البحر وجانب في البر وفيه باب الذهب وطول هذه المدينة تسعة أميال وعليها سور حصين ارتفاعه أحد وعشرون ذراعا ويحيط به سور آخر يسمى الفصل ارتفاعه عشرة أذرع لها مائة باب أكبرها الباب المصمت وهو ممره بالذهب وبها القصر وهو من عجائب الدنيا وذلك أن فيه بديدون وهو كالدلهيز إلى القصر وهو زقاق يمشي فيه بين صفيين من صور مفرغة من نحاس بديع الصنعة على صور الآدميين والخيل والفيلة والسباع وغير ذلك وهي أكبر من الأشكال الموضوعة على أمثالها وبالقصر ومادار به ضروب من العجائب وفي المدينة منارة موثقة بالحديد والرصاص إذا هبت الريح مالت يمينا وشمالا وخلفا وأماما من أصلها ويوضع الخنزف تحتها فتطحنه كالحباء ، وفيها أيضا منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب وبها أيضا منارة قريبة من مارستانها قد ألبست جميعها من نحاس أصفر كالذهب بحكم الصنعة والتخريم وعليها قبر قسطنطين باني القسطنطينية على قبره صورة فرس من نحاس وعلى الفرس شخص على صورة قسطنطين وهو راكب وقوائم الفرس محكمة بالرصاص ما عدا يده اليمنى فهي موقوفة في الجوز وقد فتح كفه يشير نحو بلاد المسلمين ويده اليسرى فيها كرة وهذه المنارة ترى على مسيرة يوم في البحر ونصف يوم في البر ويقولون إن في يده طلسم يمنع العدو وقيل إن على الكرة مكتوبا بالرومي ملكت الدنيا حتى بقيت في يدي مثل هذه الكرة وخرجت منها هكذا لا أملك منها شيئا ، وبها أيضا منارة في سوق استبرين من الرخام

الايض من رأسها إلى أسفلها صور مبنية ودرابزينها قطعة واحدة من النحاس وبها طلسم إذا طلع الإنسان عليها نظر إلى سائر المدينة وبها قطرة وهي من عجائب الدنيا سعتها يعجز الواصف عن ذكرها حتى يخرج الواصف إلى حد التكذيب وبها من النقوش ما لا يحده وصف .

(رومية الكبرى) مدينة عظيمة دورها أيضا تسعة أميال كالقسطنطينية ولها أسوار محكمة لها سوران منيعان من حجر عرض كل سور منهما وسمكة مقدار معين فأحدهما وهو الداخلى المحيط بالمدينة عرضه أحد عشر ذراعا وارتفاعه اثنان وسبعون ذراعا وهناك أسطوانات من نحاس أصفر وقواعدها ورقوسها مفرغ منها وبها نهر يشقها وهذا النهر كله مفروش ببلاط من نحاس كهيئة اللين الكبار وداخل المدينة كنيسة عظيمة طولها ثلثمائة ذراع وارتفاعها ثلثمائة ذراع وأركانها من نحاس مفرغ مغطى كلها بالنحاس الأصفر . وبرومية ألف ومائة كنيسة وجميع شوارعها وأسواقها مفروشة بالرخام الأبيض والأزرق ، وبها ألف حمام وألف فندق وبها كنيسة هائلة بنيت على هيئة بيت المقدس وبها مذبح ظهره كله مرصع بالزمرذ الأخضر وعلى هذا المذبح تمثال من الذهب الابريز طوله ذراع ونصف ذراع بالرشاشى يكون سبعة أذرع ونصف ذراع بذراعنا المعهود ، وعيناه من ياقوت أحمر ولهذه الكنيسة مائة باب منها أبواب عشرة مصفحة بالذهب وباقيها مصفحة بالنحاس المحكم وبها قصر الملك المسمى البابا وهو قصر عظيم أجمع المسافرون على أنه لم يبن مثله على وجه الأرض ورومية أكبر من أن يحاط بوصفها ومحاسنها ولها مدن قواعد مشهورة . منها قشмир : وهي مدينة كبيرة تشبه رومية فى الحسن والبيان ويقال إنها مدينة أهل الكهف .

(وأما أصحاب أهل الكهف) فهم فى كهف فى رستاق بين عمورية ونيقة وهم فى جبل عال علوه نحو ألف ذراع وله سرب من وجه الأرض كالدرج (٦ - خريدة)

يتعدى إلى الموضع الذى هم فيه ، وفى أعلى الجبل كهف يشبه البئر ينزل منه إلى باب السرب ويمشى فيه مقدار ثلثمائة خطوة ثم يفضى إلى ضوء هناك فيه رواق على أساطين منقورة فيها عدة بيوت ، منها بيت مرتفع العتبة مقدار قامة وعليه باب من حجر وفيه أصحاب الكهف وهم سبعة نيام على جنوبهم ، وأجسادهم مطلية بالصبر والكافور ، وعند أرجلهم كلب راقد مستدير رأسه عند ذنبه ولم يبق منه إلا رأسه وعجزه وفقر الظهر وهم أهل الأندلس فى أصحاب الكهف حيث زعموا أنهم الشهداء الذين فى مدينة لوشة قال بعض الثقات لقد رأيت القوم وكلبهم فى هذا الكهف بين عمورية ونيقة سنة عشر وخمسةائة .

(القرم) مدينة عظيمة بها أسواق ومساجد وفنادق وحمامات وهى فرضة مملكة نترك وما حولها وبها اللحم والسمك والعسل واللبن كثير جداً ويوتها غالبها خشب .

وأما ما على البحر النيطشى من بلاد الروم فمدن عظيمة مثل اطرابزنده وجزيرية وقاية وقانية السوداء وسميت بذلك لأن لها نهراً يدخل فى شعب جبل وماؤه أبيض كالزلال ويخرج منه أسود كال دخان . وقانية البيضاء وتسمى مطلوقة وماطرخا وروسية والأرديس وقلبيين ، وكلها مدن عظام قواعد بلاد الروم وبين أرديس وحسن زياد شجرة عظيمة لا يعرف أحد ماها وما اسمها ولها حمل يشبه اللوز ، ويؤكل بقشره وهو أحلى من العسل .

(أرض الصقالبة) وهى أرض كبيرة واسعة فى ناحية الشمال وبها مدن وقرى ومزارع ، ولهم بحر حلوى يجرى من ناحية المغرب إلى المشرق ونهر آخر يجرى من ناحية البلغار وليس لهم بحر ملح ، لأن بلادهم بعيدة عن الشمس ولهم على البحر مدن وبلاد وقلاع منيعة .

(أرض الجنوية) وهى أرض واسعة وبها مدن وبلادهم غربى قسطنطينية على بحر الروم . ومن مدنها المشهورة (جنوة) وهى مدينة حصينة ذات أسوار وأبواب حديد وبها أمم عظيمة لا تحصى .

(أرض البنادقة) وهي إقليم عظيم ومدينتهم العظمى تسمى بندقية وهي على خليج يخرج من بحر الروم ويمتد نحو سبعمائة ميل في جهة الشمال وهي قرية من جنوة بينها وبين جنوة في البر ثمانية أيام وأما في البحر فينبها أمد بعيداً أكثر من شهرين . والبندقية مقر خليفتهم واسمها البابا وهي شمال الأندلس ومدنهم كلها على جانبي الخليج البندقى وهي مدن وقرى عامرة ورساتيق .
(أرض برجان) وهي أرض عظيمة واسعة وبها من البرجان أمم لا تحصى وهي أمة طاغية قاسية وبلادهم واغلة في الشمال .
(الباب والأبواب) وهي شمالي أرض القرس .

(أما الباب) فبناها أنوشروان على بحر الخزر وبها بساتين وفواكه وبها مرسى الخزر وغيره وعليها سلسلة تمنع الداخل والخارج .
(وأما الأبواب) فهي شعاب في جبل القبق واسم هذا الجبل في كتب التواريخ القديمة جبل الفتح وفيها حصون كثيرة : منها باب صول وباب اللان وباب السابران وباب الأزقة وباب سجسجى وباب صاحب السرير وباب فيلان شاه وباب كازويان وباب إيران شاه وباب اليان شاه وجبل الفتح هذا المذكور هو جبل عظيم شامخ وزعم أبو الحسن المسعودى أن فيه ثلثمائة بلد كل بلد لأهل لسان لا يشبه الآخر قال الجواليقى وكنت أنكره حتى تحققته وهذا الجبل فيه كثير من الممالك فمنها : مملكة شروان شاه وهي مملكة واسعة لها إقليم ومدن وقرى وعمارات .

(ومنها مملكة الكرز) وهي مملكة واسعة ذات أقاليم ومدن وقرى وعمارات وأم عظيمة جبارة كفار لا يتقادون لأحد ، ومملكة لايدان شاه ، ومملكة الموقانية ومملكة الدودانية وأهلها أخبث العالم ، ومملكة طبرستان ، ومملكة حيدان ، ومملكة عتيق ، ومملكة دزنكوآن ومملكة الجندخ ويقال إن لهذه المملكة اثني عشر ألف قرية ، ومملكة اللان ومملكة الانجاز ، ومملكة الخرزية ، ومملكة الصطحا وهم قوم جبارون طغاة لا يتقادون لأحد ، ومملكة الضاربة ، ومملكة شكى وهي منفردة في آخر هذا الجبل ،

ومملكة الصعاليك ، ومملكة كشك ويقال إن أهل هذه المملكة ليس في الممالك أحسن من رجالهم ولا من نسائهم ولا أكل بحاسن ولا أجمل أوصافا ولا أطيب خاوة ولا مضاجعة لنسائها من الحسن والنيه والصلف واللذة الزائدة الوصف التي لم توجد في سائر نساء الدنيا ويبلغ الرجل منهم سن المائة وقوته في نفسه وفي مجامعته باقية وإذا جامع الواحد منهم امرأته فإنه ينسى الدنيا وما فيها إلى أن ينفصل عن المجامعة ، ونسائها إذا بلغت المرأة خمسين سنة أو ستين أو سبعين فلا تتغير محاسنها عما كانت عليه وهي ابنة عشرين سنة فسبحان الخالق الباري المصور الفتاح الرزاق . ومملكة السبع بلدان ، ومملكة إرم ، وفي هذا الجبل صحراء كالصف نحواً من مائة ميل بين جبال أربعة ذاهبة في الهواء وفي وسط هذه الصحراء دائرة منقورة كأنها قد خطت ببيكار منحوتة من حجر صلد استدارتها خمسون ميلاً قطعها قائم كأنه حائط منى بعد قمرها نحو من ستة أميال بالتقريب لاسيما إلى الوصول إلى مستوى تلك الدائرة ويرى فيها بالليل نيران عظيمة في جهات مختلفة ويرى بها أنهار مادة ولكن كركة الأصابع ويرى فيها بالنهار وقت الظهيرة أناس لطاف الأجسام جدا كالذباب ويرى فيها دواب كالنمل ولا يعلم من البشر هم أم من غيرهم ولا يزال الضباب عليها والأبخرة تتصاعد منها وعند الله عليها .

ومن وراء تلك الدائرة دائرة أخرى صغيرة قريبة القعر فيها آجام وغياض وفيها نوع من القروء متصببات القامات والقودود مدورات الوجوه كالآدميين إلا أنهم ذوو شعور وهم في غاية الفهم والذكاء وإذا وقع القرد الواحد منهم لأحد من تلك الأرض حمله إلى من شاء من الملوك فيحصل له بواسطة ذلك الخير الكثير لأن الملوك يرغبون في تلك القروء لخاصية فيها ويبدلون المال الكثير في القرد الواحد منها . فمن ذكائه وخاصيته أنه يقف على رأس الملك بالمذبة ليلاً ونهاراً ينش عليه ولا يضجر ولا يفتر وإذا قدم إلى الملك طعام وضع منه في إناء وقدم إليه فإن تناوله القرد وأكله أكل الملك من

ذلك الطعام وإن تناوله ورده ولم يأكل منه شيئا علم الملك أن الطعام مسموم ويقال إن بين الخزر وبين بلاد المغرب أربع أمم من الترك يرجعون إلى أب واحد وهم ذوو بأس شديد وقوة ولكل أمة منها ملك وهي قبلي ومجعود وبجناك وأبو جردد . ويقال إن الفرس لما فتحت تلك البلاد بنى قباد مدينة البيلقان وبرذعة وسد البر ، وبنى أنو شروان وابنه مدينة السابران وككرة والباب والأبواب وعمل على أبواب جبل القبق الذي يقال إنه جبل الفتح من غارجه ثلثمائة وستين قصرا مما يلي أرض الخزر .

(أرض الروس) وهي أرض واسعة الأقطار إلا أن العمارات بها منقطعة لا متصلة وبين البلد والبلد مسافة بعيدة وهم أمم عظيمة لا ينقادون لأحد من الملوك ولا لشريعة من الشرائع وعندهم معدن من الذهب ولا يدخل إليهم غريب إلا قتلوه في الوقت والحال وأرضهم بين جبال محيطة بها وتخرج من هذه الجبال عيون كثيرة تقع كلها في بحيرة تعرف بطوهي وهي بحيرة كبيرة في وسطها جبل عال فيه وعول كثيرة وتبر كثير ومن طرفها يخرج نهر ديانوس وغربي أرض الروس جزيرة دارموشة ، وفي هذه الجزيرة أشجار أزلية كثيرة منها : أشجار إذا دار حول ساقها عشرون رجلا ومدوا باعائهم على ساق الشجرة الواحدة فلا يحوشونها وأهلها يوقدون النار في بيوتهم نهارا لبعث الشمس عنهم وقلة الضوء وهذه الجزيرة قوم مستوحشون يعرفون بالبراري ، رؤوسهم لاصقة بأكتافهم ولا أعناق لهم ودأبهم يتحتون الأشجار الكبار ويتخذون أجوافها يوتا يأوون إليها وأكلهم البلوط ، وبها من الحيوان المسمى بالبر شيء كثير وهو حيوان غريب الوصف ولا يوجد ولا يعيش إلا في تلك الأمكنة . والروس ثلاث طوائف : طائفة تسمى كركيان ومدينتهم تسمى كركيانة . وطائفة تسمى أطلاوة ومدينتهم تسمى طلو . وطائفة تسمى أرني ومدينتهم تسمى أرني .

(أرض التركش) وهي طويلة عريضة متخمة لسد بأجوج وماحوج

ويجلب من جهتها السنجاب الفاخر والسمور والحريز والمسلك وجلود الفخور
(أرض الخزر) وهي أرض واسعة وبها أمم لا تحصى . ومن مدنها
المشهورة (سمندو) وهي مدينة حسنة ، وكانت في القديم مدينة عظيمة ، وكان
بها من الكروم ما يخرج عن حد الوصف فخربتها الروس وآخر أعمالها أول
أعمال صاحب السرير ، وهي مدينة عظيمة وتسمى صاحب السرير لأن
صاحبها اتخذ سريراً من ذهب مرصعاً بالجواهر يقصر عنه الوصف صنع له
في عشر سنين ، فلما تغلبت الروم على بلده بقى السرير على حاله وقيل إنه
باقى إلى الآن .

(أتل) وهي مدينة كبيرة عامرة وأكثريوتها من خركاوات ولبود
وهي ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي البلاد التركية ويسمى نهر
أتل يتشعب من هذا النهر شعبة تمر نحو بلاد التفرغز ويصب في بحر نيطنش
وهو بحر الروس ويتشعب من هذا النهر نيف وسبعون نهراً وليس من الملوك
التي في تلك النواحي من عنده جند مرتزقة غير ملك الخزر .

(برطاس) أرض طويلة مقدار خمسة عشر يوماً وهم متاخون الخزر
ويوتهم خركاوات ولبود ، ونهر برطاس يأتي من نحو بلاد التفرغز وعليه
مدن كثيرة وبلاد عامرة ومن بلاد برطاس تحمل جلود الثعالب السود التي
تسمى البرطاسي ، قال المسعودي : تبلغ الفروء السوداء منها إلى مائة دينار
وفي أرض الخزر جبل يسمى باثرة وهو جبل معترض من الجنوب إلى الشمال
وفيه معادن الفضة السهلة المأخذ ومعادن الرصاص وليس على بحر الخزر
من الضفة الشرقية عمارة .

(أرض البلغار) وهي أرض واسعة ينتهي قصر النهار عند البلغار
والروس في الشتاء إلى ثلاث ساعات ونصف ساعة ، قال الجواليقي : ولقد
شهدت ذلك عندهم فكان طول النهار عندهم مقدار ما أصلى أربع صلوات
كل صلاة في عقيب الأخرى مع الأذان وركعات قلائل والاقامة والتسبيح

وعماراتها متصلة بعمارة الروم وهم أمم عظيمة ومديتهم تسمى بلغاروهى مدينة عظيمة يخرج واصفها إلى حد التكذيب .

(أرض الغزية) وهى غربى أرض الادكش ، وهى أرض واسعة متصلة العماثر من جهة الشمال والغرب والشرق ولهم جبال منيعة وعليها حصون حصينة وينزل إليهم نهر من جبل مرغان يوجد فى هذا النهر إذا زاد التبر الكثير ويخرج من قعره حجر اللازورد وفى غياضه التبر الكثير ، وبها ثعالب صفر لونها لون الذهب يتخذ منها فراء ملوك تلك الناحية تبلغ الفروء منها جملة من المال ولا يدعون أحدا يخرج بشئ منها إلى البلاد ومن خرج بشئ من ذلك خفية استباحوا دمه وماله كل ذلك بخلاؤها واستحسانا لها وافتخارا بها .

(أرض الادكش) وأهلها صنف من الترك عراض الوجوه كبار الرءوس صفار العيون كثيرو الشعور وأرضهم عريضة طويلة واسعة كثيرة الخيرات والخصب ، وهى شرقى الغزية ، وبها من المواشى واللبن والعسل شئ لا يوصف حتى أن الرجل يذبح الشاة ولا يجد من يأكلها وأكثر أكلهم لحوم الخيل وشربهم ألبانها وجنوبها بحيرة تامة ، وهى بحيرة عظيمة دورها مائتان وخمسون ميلا وماؤها شديد الحضرة إلا أن ريحه ذكى وطعمه عذب جدا ، وبها سمك عريض جدا إذا وقعت هذه السمكة فى شبكة الصياد انتشر فى الحال ذكره وقام على حيله وأنعظ إنعاظا شديدا ولا يزال كذلك حتى يخرج السمكة من شبكته ولونها مرقش فيه من كل لون عجيب حسن وتزعم الأتراك أن الشيخ الهرم إذا أكل من لحم هذه السمكة أمكنه أن يفتض الأبقار لقوة خاصية هذه السمكة ، وفى وسط هذه البحيرة أرض كالجزيرة وفى وسط الجزيرة بئر محفورة لا يحس لها قعر ولا منتهى وليس بها شئ من الماء وبهذه الجزيرة أنهار كثيرة كبار منها تامة وهو نهر كبير عميق وخروجه من ثلاث عيون دفاعة وأهل تلك البلاد يقصدون هذا النهر

بأولادهم يغمسونهم فيه قبل البلوغ والاحتلام فلا يصيبهم بعد ذلك من
أمراض الدنيا شيء ألبتة إلا ما جاء من قبل الموت وإذا مرض عندهم أحد
من هؤلاء المغمسين علموا أن موته في تلك المروضة صبح لهم ذلك في تجارتهم
وإذا سقى الليل من مائه برأ من علته كائنه ما كانت بعد سبعة أيام من وقت
شربه وإذا غسل الإنسان رأسه بالغسل أو غيره لم يحصل لرأسه صداع في
تلك السنة وقد أكثروا الكلام في هذا النهر حتى أنهم قالوا أشياء يجب
السكوت عنها وقدرة الله عز وجل صالحة لكل شيء خارق، وشرقي هذه
البحيرة جبل حراد وهو جبل مرتفع لا يمكن الصعود إليه من حيث الظاهر
بوجه من الوجوه لأنه كالحائط القائم الأملس وفي أسفله باب كبير فيه بيت
متسع يتوصل منه إلى جوف هذا الجبل فيه مدرج يصعد منه إلى أعلى الجبل
حيث المدينة وبوسط هذه المدينة عين نابعة يشربون منها ويفيض باقي مائها
فيصب في حفير على سور المدينة لا يعلم أين يذهب ولا أين يستقر وشمالي
أرض الأدكش جبل مرغان وهو جبل طوله من المشرق إلى المغرب نحو من
ثمان عشرة مرحلة وفي وسطه موضع عال مستدير كالقبة وفي وسطه بركة
ماء لا يقدر أحد على العموم فيها لا من إنسان ولا من حيوان لأن كل شيء نزل
فيها ابتلعه حتى أنهم إذا رءوا فيها أخشابا كبارا أو صغارا تبتلعها في الحال
ويقال إن تلك البركة أسفل الجبل مغارة يسمع فيها دوى عظيم هائل يعلو
دويه في وقت وينخفض في وقت ومتى تقدم أحد إليها من إنسان أو غيره
لم ير بعد ذلك يقال إنه يخرج منها ريح جاذبة للمعترض لها فتأخذه إلى داخل
المغارة، وقد حكى صاحب كتاب العجائب والعرائب عن هذه المغارة أشياء
لا يمكن ذكرها ويجب السكوت عنها لعدم قبول العقل لها ونشهد أن الله
على كل شيء قدير .

(أرض سحرت) وهي أرض واسعة، وبها جبل إرجيفا، وبها معادن
النحاس يعمل فيها أكثر من ألف صانع لصاحب سحرت ويعمل في هذه

الأرض من الفخار والبرام شيء عجيب وبساحل بحرها ألوان من الحجارة الملونة المثمرة .

(أرض خرخير) وهي متصلة بأرض التفرغز من المشرق شمالا بما يلي البحر الصيني وهي أرض واسعة كثيرة المياه وافرة الخصب ، وبها نهر يجري إليهم من نحو الصين وعليه أرباع وبه أنواع السمك المسمى بالسطرون الذي يفعل في قوة الجماع ما لا يفعله السقنقور وليس له شوك وبقرها جزيرة الياقوت ويحيط بهذه الجزيرة جبل صعب المرتقى لا يوصل إلى ذروته إلا بمجهود جهيد ولا يوصل إلى أسفل هذه الجزيرة أصلا لأن بها حيات قتالة وبأرضها حجارة الياقوت وأهل تلك الأرض يتحيلون عليه بأن يذبحوا الدواب ويقطعوها وهي حارة ويلقونها في تلك الجزيرة فتقع على الأحجار ويتعلق بها ما قسم فيخطفها الطير ويخرج بها من الجزيرة فيتبعون محط الطير فيجدون ما يجدون وهذه الأمة تحرق موتاهم بالنار .

(أرض الكيماكية) هي شمال أرض التفرغز وهم أمم عظيمة وأرضهم واسعة عامرة كثيرة الخصب وبأرضهم مفاوز عظيمة ولهم قلعة حصينة وشربهم من الآبار المنقورة وجميع ساحل الكيماكية يوجد فيه التبر عند هيجان البحر فيجمعونه ويوصلونه من الزئبق ويسبكونه في أرواث البقر فيأخذ الملك حصة من ذلك والباقي لصاحبه وأهل هذه المدينة المعروفة بكيماكية يلبسون الحرير الأصفر والأحمر ويعبدون الشمس ، لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(أرض الخلتية) أرض واسعة ولها قلعة حصينة في رأس جبل شاهق والماء قد عم ذلك الحصن مستديرا به من جميع جهاته وأهلها ذوو عدد وعدد . (أرض الخزلجية) شمال بلاد التبت وغربي بلاد التفرغز وهي طويلة عريضة ، وبها أمم عظيمة من الترك ومدينتهم العظمى تسمى خاقان الخزلجية وهي في غاية الحصانة ، لها اثنا عشر بابا من الحديد الصيني .

(الأرض المنتنة) وهي أرض ممتدة طولها عشرة أيام في عرض عشرة
 وهي خرساء الأطناب سوداء الإهاب وأهلها جرد الثياب وماؤها غائر
 ودليلها حائر ورائحتها منتنة وأهويتها وخة وهي غربي الأرض الخراب
 التي خربها يأجوج ومأجوج وهي بلاد موحشة .

(أرض الخراب) بلاد واسعة الاقطار خالية الديار لا يدخلها سالك
 ومن دخلها وقع في المهالك لكثرة وبائها ووحشة أرضها وتغير هوائها
 وكثرة الأمطار وعدم الساكن والسالك ووجود الأخطار وقيل إنها في
 هذا الوقت قد عمرت .

(أرض يأجوج ومأجوج) والجبل الذي يحيط بهم يسمى فزنان وهو
 جبل قائم الجنبات لا يصعد عليه أحد وبه ثلوج منعقدة لا تنحل عنه أبدا
 وبأعلاه ضباب لا يزول أبدا وهو ماد من بحر الظلمات إلى آخر العصور
 لا يقدر أحد على صعوده وخلف هذا الجبل من بلاد يأجوج ومأجوج
 حديد لا يحصى ، وفي هذا الجبل حيات وأفاعى عظام جدا وربما رقى هذا
 هذا الجبل في النادر من يريد أن ينظر إلى ما وراءه فلا يصل إليه ولا يمكنه
 الرجوع فيهلك وربما رجع من الآلاف واحد فيخبر أنه رأى خلف الجبل
 نيرانا عظيمة يقال إن يأجوج ومأجوج كانا أخوين شقيقين تناسلا ، وكانت
 لهم غارات على من جاورهم قبل وصول ذى القرنين إليهم فأخلوا كثيرا
 من البلاد وأهلكوا غزيرا من العباد ، وكانت منهم طائفة عفيفة ينكرون
 ذلك عليهم ، فلما وصل ذو القرنين وأقام بجيوشه عليهم شكت الطائفة العفيفة
 إليه يأجوج ومأجوج وما فعلوه في البلاد والأمم المجاورة لهم من الفساد
 وأنهم على خلاف مذهبهم وبريتون من معتقدهم ومفتعلهم وشهدت لهم
 قبائل كثيرة بذلك قال إليهم وتركهم خارج السد وأقطعهم تلك الأراضى
 يعمرونها ويأكلونها وهم الخزرجية والسيسية والخزخيرية والتغزغزية
 والكميكية والجامانية والأدكش والتركش والخفشاخ والجليخ والغز

والبلغار وأمم عظيمة يطول ذكرها وسد على المفسدين وكل المفسدين قصار
القدود لا يتجاوز أحدهم ثلاثة أشبار ووجوههم في غاية الاستدارة وعليهم
شعور مثل الزغب وأذانهم مستديرة مسترخية تلتحق أذن الرجل منهم طرف
منكبيه وألوانهم بيض وحر وكلامهم صفيح وفيهم زنا فاحش وبلادهم ذات
أشجار ومياه وثمار وخصب كثير ومواش كثيرة إلا أنها بلاد ثلج ومطر
وبرد على النوام .

حكى عن سلام الترجمان وكان عارفا بالسن كثيرة حتى قيل إنه كان
يعرف أربعين لغة ويجارى فيها أنه رأى هذا السد عيانا وذلك أن أمير المؤمنين
الواثق بالله من خلفاء بني العباس بعث إليه ليراه ويتحقق كيفيته ويخبره
بصفته عن حقيقته فثنى إليه وعاد بعد سنتين وأربعة أشهر فأخبره أنه سار
ومن معه حتى وصلوا إلى صاحب السريير بكتاب أمير المؤمنين فأكرمهم
وأرسل معهم أدلاء فمضوا حتى دخلوا إلى تخوم سحرت وساروا إلى أرض
طويلة ممتدة كرية الرائحة فقطعوها في عشرة أيام ، وكان معهم شيء يشمون
لأجل تلك الرائحة التي في تلك الأرض فانها تأخذ بالقلب وانفصلوا من تلك
الأرض ووقفوا في أرض خراب لا حسيس بها ولا أنيس مسيرة شهر
وخرجوا منها إلى حصون بالقرب من جبل السد وأهل تلك الحصون
يتكلمون بالعربية والفارسية ، وهناك مدينة عظيمة اسم ملكها خاقان أتكش
فسألونا عن حالنا فأخبرناهم أن أمير المؤمنين الخليفة على المسلمين أرسلنا
لنرى السد عيانا ونرجع إليه بصفته فتعجب هو ومن عنده منا ومن قولنا
أمير المؤمنين الخليفة ولم يعرفوا ما هو وبقي السد عنا فرسخين من هذه
المدينة ثم سارنا ومعنا أناس منهم حتى سرنا إلى باب بين جبلين عظيمين عرضه
مائة وخمسون ذراعا وفيه باب من حديد طوله مائة وخمسون ذراعا وقد
كتفه عضادتان عرض كل عضادة منهما خمسة وعشرون ذراعا وارتفاعها

مائة وخمسون ذراعا وعلى أعلاها دروند من حديد طوله مائة وخمسون ذراعا وهي العتبة العليا وفوقه شرفات من حديد في طرف كل شرفة قرنان من حديد منثنيان إلى الشرفة الأخرى يتصل بعضها ببعض وكل ذلك من لبن حديد مغيب في نحاس مذاب والباب مصراعان مقلقان عرض كل مصراع خمسون ذراعا في ثخن أربعة أذرع وقائمتان في ذروقي الجبلين على قدر الدروند وعلى الباب قفل من حديد طوله سبعة أذرع في غلط ذراع ونصف وارتفاع القفل من الأرض أربعون ذراعا وفوق القفل بخمسة أذرع حلقة أطول من القفل بخمسة أذرع وعليها مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثنا عشر سنة من الحديد معلق في حلقة طولها وعرضها ذراع في ذراع بسلسلة من الحديد المصق وعتبة الباب السفلى سمك عشرة أذرع وطولها مائة ذراع من حديد مغموسة الطرفين تحت العضادتين وكلها بالذراع الرشاشي ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في كبكة عظيمة حتى ياتي الباب وبأيديهم مرزبات من حديد فيضربون بها على ذلك الباب فتدوى تلك الأرض ليسمع من خلف الباب من يأجوج ومأجوج فيعلمون أن هناك حفظة وحراسا وبعد ضرب الباب ينصتون بأذانهم مستمعين فيسمعون من وراء الباب دويا كدوى الرعد وبقرع هذا السد حصن طوله عشرة أذرع في عشرة ومع هذا الباب من الجانبين حصنان كل واحد منها مائة ذراع في مائة ذراع وبين هذين الحصنين عين ماء عذب وفي أحد الحصنين بقية من آلات البناء وهي قدور من حديد ومغارف من حديد وهي فوق ذلك مرتفعة وعلى كل دكة أربعة قدور وهي أكبر من قدور الصابون وهناك أيضا بقايا من اللبن الحديد وقد لصق بعضها ببعض من الصدأ طول كل لبنة ذراع ونصف في عرض ذراع وارتفاع شبرين ، وأما الباب المذكور والدروند الذي في أعلاه والقفل فكأنما فرغ الصانع من عمله الآن ، وهي غير صدئة ولا بالية قد دهنت بأدهان الحكمة المانعة من الصدأ ، قال سلام الترحمان :

سألت من هناك هل رأيتم قط أحدا منهم فأخبروه أنهم رأوا منهم عددا كثيرا فوق شرفات السد فهبت بهم ريح عاصف فرمت منهم ثلاثة كل واحد منهم طوله دون ثلاثة أشبار ولهم مخالب موضع الأظفار وأنياب وأضراس كالسباع وإذا أكلوا بها يسمع لا كلهم حركة قوية ولهم أذنان عظيمتان يفترشون الواحدة ويلتحفون الأخرى ، فكتب سلام هذه الصفات كلها في كتاب ورجع إلى الخليفة الوائق بالله . وقد ذكر بعض أهل العلم أن يأجوج ومأجوج يرزقون التين يقذفه عليهم السحاب فيأكلونه وإنما يقذف عليهم ذلك في أيام الربيع في كل عام فاذا تأخر ذلك عن وقته المعهود استمطروه كما يستمطر الناس الغيث ، وحكى صاحب كتاب العجائب أن في داخل بلاد يأجوج ومأجوج نهرا يسمى المسهر لا يعرف له قعر وإذا تقاطعوا وأسر بعضهم بعضا طرحوا الأسرى في ذلك النهر فيرون عند ذلك طيورا عظاما تخرج إلى من يطرح في ذلك النهر من كهوف هناك في جانبي الوادي فتخطفهم قبل أن يصلوا إلى الماء وترفع بهم إلى تلك الكهوف فتأكلهم هناك ، ويقال إن بهذا الوادي نارا تتأجج طول الزمان بقدره الله تعالى وليس وراء يأجوج ومأجوج إلا المحيط والله سبحانه وتعالى أعلم : (وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر . ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل) انتهى فصل البلدان والأقطار . ولنشرع الآن في ذكر الخليجان والبحار والجزائر والآبار ، وما بها من العجائب للاعتبار .

فصل في المحيط وعجائبه

اعلم أن المحيط هو البحر الأعظم الذي منه مادة سائر البحار المتصلة والمنقطعة وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم عمقه إلا الله عز وجل والبحار على وجه الأرض خليجان منه وفي هذا البحر عرش إبليس لعنه الله وفيه مدائن تطفو على وجه الماء . وفيها أهلها من الجن في مقابلة الربع الخراب من الأرض ، وفيه حصون وفيه قصور على وجه الماء طافية ثم تغيب وتظهر

فيه الصور العجيبة والأشكال الغريبة ثم تغيب في الماء وفيه الأصنام التي
ومنهما أبرهة ذو المنار الحميري قائمة على وجه البحر وهي ثلاثة أصنام : أحدها
أخضر وهو يومي يده كأنه يخاطب من ركب البحر يأمره بالرجوع ، والصنم
الثاني أحمر كأنه يشير إلى نفسه ويخاطب من ركب هذا البحر أن يقف عنده
ولا يجاوزة ، والصنم الثالث أبيض كأنه يومي بأصبعه إلى البحر من جاء.
وجاوز هذا المكان هلك وعلى صدر كل صنم مكتوب بالأسود هذا ما وضعه
أبرهة ذو المنار تبع الحميري لسيدته الشمس تقربا إليها وفي هذا البحر ينبت
شجر المرجان كسائر الأشجار في الأرض ، وفيه من الجزائر المسكونة
والخالية مالا يعلمه إلا الله تعالى .

قال أبو الريحان الخوارزمي إن المحيط الذي في المغرب على ساحل بلاد
الاندلس يسمى بالمظلم أيضاً لا يلبح إليه أحد أبداً وإنما يمر بالقرب من
ساحله يخرج منه خليج يعرف بنيطش وطرابزنده ماداً في جهة الشمال وهو
بحر القرم يمر على سور قسطنطينية ويتضايق حتى يقع في بحر الشام ثم يمتد
نحو الشمال على محاذاة أرض الصقالية ويخرج منه خليج في شمال الصقالية
فاذا وصل إلى قرب أرض المسلمين وبلادهم انحرف إلى نحو المشرق وبين
ساحله وبين أرض الترك أراض وجمال بجهولة وخراب غير مسكونة ولا
مسلوكة ، ثم يتشعب منه أعظم الخلجان وهو الخليج الفارسي المسمى في كل
إقليم ومكان من المحيط باسم ذلك الإقليم والمكان للمحاذاة له فيكون أولاً بحر
الصين ، ثم بحر التبت ، ثم بحر الهند ، ثم بحر السند ، ثم بحر فارس ، ثم
يخرج من أصل هذا البحر المذكور خليجان عظيمان : أحدهما بحر مكران
وكرمان وخوزستان وعبادان وهو الخليج الشرقي الشمالي . والآخر بحر
الزنج والحبشة وسفالة الذهب والبربر والقلم واليمن وبلاد السودان حتى
يتهي إلى بلاد مصر ، وهو الخليج الجنوبي الغربي وفي هذا البحر أعنى الخليج
الشرقي بمحمله من الجزائر العامرة والغامرة والمسكونة والمعطلة مالا يعلم ذلك
إلا الله عز وجل .

وسنذكر كل بحر على حدة وما فيه من الجزائر والآثار والعجائب على الترتيب إن شاء الله تعالى .

أما البحر الأول من هذا الخليج الشرقي : فهو بحر الصين وبحر التبت وبحر الهند والسند لأنه يمر أولاً بالصين ثم بالتبت ثم بالهند ثم بالسند ثم على جنوب اليمن ، وهناك ينتهي إلى باب المندب طولا فيكون مسافة طوله من مبدئه من المحيط في الشرق إلى باب المندب في الغرب أربعة آلاف فرسخ ثم يتشعب من هذا البحر الصيني الخليج الأخضر وهو بحر فارس والأبلة ومكران وكرمان إلى أن ينتهي إلى الأبلة حيث عبادان فهناك ينتهي آخره ثم يعطف راجعاً إلى جهة الجنوب فيمر ببلاد البحرين واليمامة ويتصل بعمان وأرض الشجر واليمن وهناك اتصاله بالبحر الهندي وطول هذا البحر أربع مائة فرسخ وأربعون فرسخاً .

ويتشعب من هذا البحر الصيني أيضاً : خليج القلزم ومبدؤه من باب المندب المتقدم ذكره حيث انتهى البحر الهندي آنفاً فيمر في جهة الشمال مغرباً قليلاً فيتصل بغربي اليمن ويمر بتهامة والحجاز إلى مدين وأيلة وفاران وينتهي إلى مدينة القلزم وإليها ينساب وينعطف راجعاً إلى جهة الجنوب فيمر في بلاد الصعيد إلى حوم الملك إلى عيذاب إلى جزيرة سواكن إلى زيلع من بلاد البجة إلى بلاد الحبشة ويتصل بالبحر الهندي وطول هذا البحر ألف وأربع مائة ميل ، والله أعلم .

(البحر الثاني الخليج الغربي) الآخذ من المحيط الغربي المظلم وهو بحر الغرب والشام والروم ومبدؤه من الاقليم الرابع ويسمى هناك البحر الزقاق لأن سعته هناك ثمانية عشر ميلاً كالزقاق وكذلك طول الزقاق أيضاً من طريق إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلاً فيمر مشرقاً في جهة بلاد البربر وبشمال الغرب الأقصى إلى أن يمر بالغرب الأوسط ويصل أرض أفريقيا إلى وادي الرمل إلى أرض برقة وأرض لوقيا ومراقيا إلى الاسكندرية إلى

شمالى أرض التيه إلى فلسطين إلى سائر ساحل بلاد الشام إلى أن ينتهى طرفه إلى السويدية وهناك نهايته ثم ينحرف مغرباً راجعاً إلى جهة المغرب فيتصل بالخليج القسطنطينى إلى جزيرة بليونس وكشميل إلى أدرنت وهناك يخرج إلى الخليج البندقى ويتصل إلى أرض مجاز صقلية إلى بلاد رومية إلى بلاد سقومة ابتداء وطول هذا البحر ألف ومائة وستة وستون فرسخاً . ويخرج من هذا البحر الشمال خليجان :

أحدهما خليج البنادقة : ومبذؤه من شرقى بلاد تلودية من بلاد الروم عند مدينة أدرنت فيمر في جهة الشمال عن تغريب يسير إلى ساحل سنت ثم يأخذ في جهة المغرب إلى أن يمر بساحل البنادقة وينتهى إلى بلاد أزكالية ومن هناك ينعطف راجعاً مع الشرق على بلاد جرواسية ولماسية إلى أن يتصل بالبحر الشامى من حيث ابتداء ، وطول هذا البحر ألف ومائة ميل .

والخليج الآخر نيطش : ومبذؤه من البحر الشامى حيث فم أيدة وعرض فهورته هناك رمية سهم ويمر بينه مجاز رمية سهم فيتصل بالقسطنطينية فيكون فوخته عرضه ستة أميال ويمر نحو نيطش من جهة الشرق فيتصل في جهة الجنوب بأرض هرقلية إلى سواحل إطرابزنده إلى أرض اشكالة إلى أرض لايته وينتهى طرف هذا الخليج هناك حيث الجزيرة ومن هناك ينعطف راجعاً إلى مطرحه ويتصل ببلاد الروسية وبلاد برحان ولايزال حتى ينتهى إلى مضيق فم خليج قسطنطينية ويتصل به ويمر شرقى مقدونية إلى أن يتصل بالموضع الذى منه ابتداء وبين ساحله وبين أرض الترك أرضون وجبال مجهولة وطول بحر نيطش وهو بحر القرم من فم المضيق إلى حيث انتهاؤه ألف وثلثمائة ميل .

(وأما بحر جرجان والديلم) فهو بحر الخزر فانه يخرج منفطعا لا يتصل بشئ من البحار المذكورة وتقع فيه أنهار كثيرة وعيون دائمة الجريان وذكر الجوالقى أن هذا البحر مظلم القعر وأنه يتصل ببحر نيطش من تحت الأرض

ويتصل بهذا البحر من جهة الغرب بلاد أذربيجان ومن جهة الجنوب بلاد طبرستان ومن جهة الشرق أرض العرب ومن جهة الشمال أرض الخزر وطوله ألف ميل وعرضه من ناحية جرجان إلى موضع نهر أيلة ستماية ميل وخمسون ميلا وفي كل بحر من هذه البحور جزائر وأمم مختلفة ونباتات وحيوانات مختلفة وجبال وغير ذلك ونحن نفصل ما وصل إليه علم الناس إن شاء الله تعالى .

فصل في بحر الظلمة وهو البحر المحيط الغربي

ويسمى المظلم لكثرة أهواله وصعوبة متنه فلا يمكن أحد من خاق الله أن يلج فيه ، إنما يمر بطول الساحل لأن أمواجه كالجبال الرواسي وظلامه كدر وريحه دفر ودوابه متسلطة ولا يعلم ما خلفه إلا الله تعالى ولا وقف منه بشر على تحقيق خبر ، وفي ساحل هذا البحر يوجد العنبر الأشهب الجيد وحجر البهت وهو حجر من حمله أقبل الخلق عليه بالحجة والتعظيم وقضيت حوائجه وسمع كلامه وانعقدت عنه السنة الأضداد ويوجد أيضا بساحله حجارة مختلفة الألوان يتنافس أهل تلك البلاد في أيمانها ويتوارثونها ويذكرون لها خواص عظيمة وفي هذا البحر من الجزائر العامرة والحراب ما لا يعلمه إلا الله تعالى وقد وصل الناس منها إلى سبع عشرة جزيرة .

(فمنها الخلدتان) وهما جزيرتان فيهما صنمان مبنيان بالحجر الصلد طول كل صنم مائة ذراع وفوق كل صنم صورة من نحاس تشير بيدها إلى خلف يعني أرجع فإرأني شئ. بناهما ذو المنار الحميري من التبابعة وهو ذو القرنين لا المذكور في القرآن .

(ومنها جزيرة العوس) وبها أيضا صنم وثيق البناء لا يمكن الصعود إليه بناه أيضا ذو القرنين المذكور ، وبهذه الجزيرة مات الباني وقبره بها

في هيكل مبنى بالمرمر والزجاج الملون وبهذه الجزيرة دواب هائلة تنكرها المسامع .

(ومنها جزيرة السعالي) وهي جزيرة عظيمة بها خلق كالنساء إلا أن لهم أنيابا طوالا بادية وعيونهم كالبرق الخاطف ووجوههم كالأخشاب المحترقة يتكلمون بكلام لا يفهم ولا فرق بين الرجال والنساء عندهم إلا بالذكر والفرج ولباسهم ورق الشجر ويحاربون الدواب البحرية ويأكلونها .

(وجزيرة حسرات) وهي جزيرة واسعة فيها جبل عال وفي سفحه أناس سمر قصار لهم لحى طوال تبلغ ركبهم ووجوههم عراض ولهم آذان كبار وعيشتهم من الحشيش وعندهم نهر صغير عذب .

(وجزيرة العرر) وهي جزيرة طويلة عريضة كثيرة الأعشاب والنباتات والأشجار والثمار .

(جزيرة المستشكين) وتعرف بجزيرة التين وهي جزيرة عظيمة بها أشجار وأنهار وثمار وبها مدينة عظيمة وكان بها التين العظيم الذي قتله الاسكندر . وكان من حديثه أنه ظهر بها تين عظيم فكاد أن يهلك الجزيرة وما بها من السكان والحيوان فاستغاث الناس منه إلى الاسكندر وكان الاسكندر قد قارب تلك الأرض وشكوا إليه أن التين قد أكل مواشيهم وأتلف أموالهم وقطع الطريق على الناس وأن له عليهم في كل يوم ثورين عظيمين ينصبونهما فيأتى إليهما كالسحابة السوداء وعيناه تتوقدان كالبرق الخاطف والنار والدخان يخرجان من فيه فيبتلع الثورين ويرجع إلى مكانه فسار الاسكندر إلى الجزيرة وأمر بالثورين فساخا وحشا جلودهما زفتا وكبريتا وزرنيخا وكلسا ونفطا وزئبقا وجعل مع ذلك كلاب من حديد وأقامهما في المكان المعهود فجاء التين من الغد إليهما على العادة فابتلعهما فأضمرت النار في جوفه وتعلقت الكلاب بأحشائه وسرى الزئبق في جسده ورجع مضطربا إلى مقره فانتظروه من الغد فلم يأت ولم يخرج . فذهبوا إليه

فلذا هو ميت وقد فتح فاه كأوسع قنطرة وأعلاها فقرحوا بذلك وشكروا
سمى الاسكندر إليهم وحلوا إليه هدايا عجبية منها دابة عجبية يقال لها المعراج
مثل الأرنب أصفر اللون وعلى رأسه قرن واحد أسود لم يرها شيء من
السباع الضواري والوحوش الكاسرة إلا هرب منها .

(جزيرة قلقات) وهي جزيرة كبيرة وبها خلق مثل خلق الانسان إلا
أن وجوههم وجوه الدواب يغوصون في البحر فيخرجون ما يقدرون عليه
من الدواب البحرية فياكلونها .

(جزيرة الاخوين الساحرين) أحدهما شرهام والآخر شبرام ، وكانا
بهذه الجزيرة يقطعان الطريق على التجار فسخا حجرين قائمين في البحر
وعمرت الجزيرة بعدهما .

(جزيرة الطيور) يقال إن فيها جنسا من الطيور في هيئة العقبان حمر
ذوات مخالب تصيد دواب البحر ، وبهذه الجزيرة ثمر يشبه التين أكله ينفع
من جميع السموم .

حكى الجوالقي : أن ملكا من ملوك افرنجة أخبر بذلك فوجه إليهم مركبا
ليجلب له من ذلك الثمر ويصاد له من تلك الطيور لأنه كان عالما بمنافع تلك
الطيور ، ودمها وأعضائها ومراثرها فانكسرت المركب في البحر وهلك
السفينة ومن فيها ولم يعد إليه أحد .

(جزيرة الصاويل) طولها خمسة عشر يوما في عرض عشرة وكان بها
ثلاث مدن كبار مسكونة عامرة وكان التجار يسرون إليها ويشترون منها
الأغنام والأحجار الملونة المشتمة فوقع الشر بين أهلها حتى قتل غالبهم وبقي
منهم قليل فانتقلوا إلى بلاد الروم .

(جزيرة لاقه) وهي جزيرة كبيرة وبها شجر العود كالخطب وليس له
هناك قيمة ولا رائحة حتى يخرج من تلك الأرض فيكتسب الرائحة وكانت
عامرة مسكونة والآن قد خرجت فيها حيات كبار وتغلبت على أرضها
تخربت بسبب ذلك .

(جزيرة ثورية) بها أشجار وأنهار لكنها خالية الديار وبهذا البحر دواب عظيمة مختلفة الأشكال هائلة المنظر يقال إن السمكة به يمر رأسها كالجلل العظيم الشاخص ثم يمر ذنبها بعد مدة ويقال إن مسافة ما بين رأسها وذنبها أربعة أشهر .

(بحر الصين وجزائره ومابه من العجائب والغرائب) ويسمى هذا البحر باسماء عديدة بحر الصين وبحر الهند وبحر صقبي وهو متصل بالمحيط من المشرق وليس على وجه الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد القمر فيه المد والجزر كما في بحر فارس ويستدل على هيجان هذا البحر بأن يطفو السمك على وجهه قبل هيجانه بيوم واحد ويستدل على سكونه ببيض طائر معروف يبيض على وجه الماء في مجتمع القذى وهو طائر لا يأوى الأرض أبداً ولا يعرف إلا لجة البحر وفي هذا البحر مغاص اللؤلؤ يطلع منه الحب الجيد الذي لا قيمة له وفي هذا البحر من الجزائر مالا يعلمه إلا الله عدداً إلا أن بعضها مشهور يصل اليه الناس قبل إن فيه اثني عشر ألف جزيرة وثلاثمائة جزيرة عامرة مسكونة وبها عدة ملوك وفي بعض جزائره ينبت الذهب ويكثر في بعض السنين ويقل في بعضها كالنبات .

(فن جزائره جزيرة زانج) وتشتمل على جزائر كثيرة في آخر حدود الصين وأقصى بلاد الهند عامرة خصبة ليس فيها خراب يسافرون فيها بلاماء ولا زاد لكثرة الخصب والعمارة وهي نحو مائة فرسخ . قال محمد بن زكريا : وملك هذه الجزيرة يسمى المهرج وله جباية تقطع في كل يوم ثلثمائة من الذهب كل من ستمائة درهم فيحصل له في كل يوم ما يزيد على مائة ألف مثقال وخمسة وعشرين ألف مثقال يتخذ منها لبنا ويطرحه في البحر وهو خزائنه . وقال ابن الفقيه بهذه الجزيرة سكان تشبه الآدميين إلا أن أخلاقهم بالوحوش

أشبه ولهم كلام لا يفهم وعندهم أشجار وهم يطيطون من شجرة إلى شجرة
وبها نوع من السنابير الوحشية حمر منقطة ببياض أذناها كأذنان الظباء
وبها أيضاً نوع من السنابير المذكورة ولها أجنحة كاجنحة الخفاش وبها
أبقار وحشية حمر منقطة ببياض أيضاً ولحومها حامضة وبها دابة الزباد وهي
كالهرة وفأرة المسك وبها جبل يقال له النسان مشهور به . وبه حيات عظام
تبتلع الفيلة وبه قرود كأمثال الجواميس والكباش الكبار . ومن القرود ماهو
أبيض كالقرداس ومنها ما هو أبيض الظهر أسود البطن وبالعكس . ومنها
ما هو أسود كالفأر وبها من البيغا وهي الدرة شيء كثير يبيض وحمى وصفر
وخضر ويتكلمون مع الناس بأى لسان سمعوه منهم وبها خلق على صورة
الانسان وهم بيض وسود وشقر وخضر يأكلون ويشربون ويتكلمون
بكلام لا يفهم ولهم أجنحة يطيطون بها .

حكى ابن السيرافى قال كنت ببعض جزائر الزانج فرأيت وردا كثيرا
أحمر وأبيض وأزرق وأصفر وألوانا شتى فأخذت ملاءة وجعلت فيها شيء
من ذلك الورد الأزرق ، فلما أردت حملها رأيت نارا فى الملاءة فأحرق
جميع ما كان فيها من الورد ولم تحترق الملاءة فسألت الناس عن ذلك ، فقالوا :
إن فى هذا الورد منافع كثيرة ولا يمكن إخراجه من هذه الغياض بوجه أبدا
وفى هذه الجزيرة شجر الكافور وهو شجر عظيم هائل تظل كل شجرة مائة
إنسان وأكثر ، وفى هذه الجزيرة قوم يعرفون بالخرمين مخرمة آفاتهم ،
وفىها خلق فيها سلاسل إذا جاءهم عدو لمحاربتهم قدموا أولئك الخرمين
متسلحين ويأخذ كل رجل بطرف سلسلة من تلك الرجال المخرمة يمنعها
من التقدم إلى العدو فان انتظم صلح بين العدو وأهل الجزيرة فلا يفلتون
السلاسل وإن لم ينتظم صلح لفت تلك السلاسل فى أعناقهم وأطلقوهم على
العدو فيحطمون العدو حطمة واحدة وبأكلون منهم كل من وقعت أعينهم
عليه ولا يثبت لحطمهم أحد أبدا .

(جزيرة رامي) وهى جزيرة عظيمة طويلة غريضة طيبة التربة معتدلة الهواء ، بها معاقل ومنن وقرى وطولها سبعمائة فرسخ ، قال ابن الفقيه : بهذه الجزيرة عجائب كثيرة منها أناس حفاة عراة رجال ونساء على أبدانهم شعور تغطي سواهم وما كلهم من الثمار ويستوحشون من الناس وينفرون منهم إلى الغياض وطول أحدهم أربعة أشبار وبشعرهم زغب بحمرة وهم لا يلحقون لسرعة جريهم وبساحل هذه الجزيرة قوم يلحقون المراكب فى البحر سباحة وهى تجرى فى تيارها فيبعونهم العنبر بالحديد ويحملون الحديد فى أفواههم ويرجعون إلى الجزيرة ولا يدرى ما يصنعون به .

وحكى الجهانى : أن بهذه الجزيرة الكركند وهو حيوان على شكل الحمار إلا أن على رأسه قرنا واحدا وهو معقف وفيه منافع كثيرة منها أنه يصنع منه أنصبة لسكاكين الملوك وتحط على المائدة فإن كان الطعام مسموما عرق ذلك النصاب واختلج ويصنع منه حلية للمناطق تبلغ قيمة المنطقة المحلاة بقرن الكركند أربعة آلاف مثقال من الذهب وأكثر هذه المناطق تعمل ببلاد الصين وفى رقة هذا الحيوان اعوجاج كاعوجاج رقة الجمل أو دونه وبهذه الجزيرة جواميس بغير أذنان ، وبها شجر الكافور والبقم والخيزران وعرقه دواء من سم الحيات والأفاعى ، وبها طيب عطر ومعادن كثيرة .

(جزيرة الرخ) وهذا الرخ الذى تعرف به هذه الجزيرة طير عظيم غريب مهول الهيئة حتى قيل إن طول جناحه الواحد نحو عشرة آلاف باع ذكر ذلك الحافظ ابن الجوزى رحمه الله فى كتابه المسمى بكتاب الحيوان ، وكان قد وصل إليه رجل من أهل الغرب بمن سافر إلى الصين وأقام به وبجزائره مدة طويلة وحضر بأموال عظيمة وأحضر معه قصبة ريشة من جناح فرخ الرخ وهو فى البيضة لم يخرج منها إلى الوجود فكانت تلك القصبة من ريش ذلك الفرخ تسع قرية ماء وكان الناس يتعجبون لذلك ، وكان هذا الرجل يعرف بالصينى لكثرة إقامته هناك واسمه عبد الرحمن المغربى ، وكان

يحدث بالغرائب : منها ما ذكر : أنه سافر في بحر الصين فألقتهم الرياح في جزيرة عظيمة كبيرة واسعة فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والخطب ومعهم القوس والحبال والقرب وهو معهم فرأوا في الجزيرة قبة عظيمة يضاء لماعة براءة أعلى من مائة ذراع فقصدوها ودنوا منها فإذا هي بيضة الرخ فجعلوا يضربونها بالقوس والصخور والخشب حتى انشقت عن فرخ الرخ كأنه جبل راسخ فتعلقوا بريشة من جناحه واجتذبوها فتفتت تلك الريشة من أصل جناحه ولم تكمل خلفة الريش فقتلوه ، قال وحملوا ما أمكنهم من لحمه وقطعوا أصل الريش من حد القصبة ورحلوا ، وكان بعض من دخل الجزيرة قد طبخ من اللحم وأكل وكان فيهم مشايخ بيض اللحم ، فلما أصبح المشايخ وجدوا اللحم قد اسودت ولم يشب بعد ذلك أحد من القوم الذين أكلوا فكانوا يقولون إن العود الذي حركوا به ما في القدر من لحم فرخ الرخ كان من شجرة الشباب والله أعلم ، قال : فلما طلعت الشمس والقوم في السفينة وهي سائرة بهم إذ أقبل الرخ يهوى كالسحابة العظيمة وفي رجليه قطعة جبل كالبيت العظيم وأكبر من السفينة ، فلما حاذى السفينة من الجو ألقى ذلك الحجر عليها وعلى من بها ، وكانت السفينة مسرعة في الجرى فسبقت الحجر فوقع الحجر في البحر ، وكان لوقوعه هول عظيم في البحر وكتب الله لنا بالسلامة ونجانا من الهلاك .

(ومنها جزيرة القروذ) وهي كبيرة وبها غياض وقروذ كثيرة وللقروذ ملك تنقاد إليه ويحملونه على أكتافهم وأعناقهم وهو يحكم عليهم حكما لا يظلم به أحد أحدا ومن وصل إليهم في المراكب عذبوه بالعض والخش والرجم ويتحيل عليهم أهل جزيرة خرتان ومرتان فيصيدونها ويبيعونها بالثمن الغالي وأهل اليمن يرغبون فيها ويتخذونها في حوائثهم حراسا كالعييد وهم في غاية الذكاء .

(وجزيرة البنان) وهي جزيرة عامرة ، وبها مدينة كبيرة وأهلها

ذوو بأس وشدة ومن ستمهم أنه إذا خطب الرجل عندهم امرأة لا يزوجه
حتى يذهب فيأتيهم برأس مقطوع فينتد يزوجه امرأة بغير صداق
ولا مهر وإن أتاهم برأسين زوجوه امرأتين وإن أتى بثلاث زوجوه ثلاثة
وإن أتى بعشرة فعشر فيصير عندهم معظما مهيا جليلا ، وبها من شجر البقم
والخيزران وقصب السكر ما لا يوصف ، وبها مياه جارية وأنهار عذبة
وفواكه مختلفة .

(وجزيرة واق واق) وهي جزيرة كبيرة وعندهم ذهب كثير بلا وصف
حتى إنهم يتخذون سلاسل الكلاب والدواب من الذهب . وأما أكابرهم
فيصنعون لبنا من الذهب ويبنون به قصورا أو بيوتا بإتقان وإحكام . ومن
جزائرها جزيرة (البنان) بها قوم عراة الأبدان بيض الألوان حسان الصور
يأوون إلى رموس الأشجار ويتصيدون الناس فيأكلونهم ووراء هذه الجزيرة
جزيرتان عظيمتان فيهما قوم عظام الأجسام حسان الوجوه سود الألوان
شعورهم مسلسلة مختلفة وأقدامهم أطول من زراع لهم أخلاق صعبة عادية وهذه
الجزيرة متصلة بالزنج والمسير إليها بالنجوم وهي ألف وسبعمائة جزيرة عامرة
والذهب بها كثير وملكة هذه الجزائر امرأة تسمى دهمرة وتلبس حلة منسوجة
بالذهب ولها نعلان من ذهب وليس يمشي في هذه الجزائر أحد بنعل غيرها
ومتى لبس غيرها نعلها قطعت رجله وتركب في عييدها وجيوشها بالفيلة
والرايات والطبول والأبواق والجوارى الحسان ومسكنها جزيرة تسمى
أنبوبة وأهل هذه الجزيرة حذاق بالصنائع حتى أنهم ينسجون القمصان
قطعة واحدة بأكامها وأبدانها ويعملون السفن الكبار من العيدان الأصغار
ويعملون بيوتا من الخشب تسير على وجه الماء هذا ما نقله الجواليقي . وأما
ما ذكره عيسى بن المبارك السيرافي فإنه قال دخلت على هذه الملكة فرأيتها
عريانة على سرير من الذهب وعلى رأسها تاج من الذهب وبين يديها أربعة
آلاف وصيفة أكار حسان وهن على مذهب المجوس وهن مكشوفات

الرموس وفي رأس كل واحدة منهم مشط من عاج مكلل بالصدف ومنهم من يتخذ الأمشاط اثنين وثلاثة وأربعة إلى عشرين ولهذه الملكة جبايات كثيرة تصدق بها على صعاليك أرضها ويتحلون بالودع ويدخرونه عندهم وفي خزائهم ، وهذه الجزيرة شجر يحمل ثمرا كالنساء بصور وأجسام وعيون وأيد وأرجل وشعور وأنداء وفروج كفروج النساء وهن أحسن الوجوه وهن معلقات بشعورهن يخرجن من غلف كالأجربة الكبار فاذا أحسن بالهواء والشمس يصحن واق واق حتى تنقطع شعورهن فاذا انقطعت ماتت وأهل هذه الجزيرة يفهمون هذا الصوت ويتطيرون منه وفي كتاب الحوالة أنه من تجاوز هؤلاء وقع على نساء يخرجن من الأشجار أعظم منهن قدودا وأطول منهن شعورا وأكمل محاسن وأحسن أعجازا وفروجا ولهن رائحة عطرة طيبة فاذا انقطعت شعورها ووقعت من الشجرة عاشت يوما أو بعض يوم وربما جامعها من يقطعها أو يحضر قطعها فيجد لها لذة عظيمة لا توجد في النساء وأرضهن أطيب الأراضي وأكثرها عطرا وطيبا وبها أنهار أحلى ماء من العسل والسكر المذاب وليس بها أنيس ولا عامر إلا الفيلة وربما بلغ ارتفاع الفيل في هذه الجزيرة أحد عشر ذراعا، وبها من الطير شيء كثير وليس يعلم ما وراء هذه الجزيرة إلا الله تعالى ويخرج من بعض هذه الجزائر سيل عظيم يسيل كالقطران يصب في البحر فيحرق السمك في البحر فيطفو على الماء .

(وجزيرة جالوس) وهي جزيرة بها قوم مستوحشون عراة يأكلون الناس وليس لهم ملك ولا دين وأكلهم الموز والنارجيل وقصب السكر وفي هذه الجزيرة جبل ترابه فضة كالبرادة الناعمة .

(وجزيرة الموجة) وهي جزيرة عظيمة ، وبها عدة ملوك وأهلها يبيض شقر مخرمو الآذان كاهل الصين وعندهم الخيول البحرية يركبونها وعندهم دابة المسك ودابة الزباد ونساؤهم أجمل النساء وأحسنهن خلقا وخلقها

وأرحامهن كالحلقة لاصقة وإذا وقفت المرأة الطويلة على قدميها ومشت تسحب شعرها خلفها على الأرض وهذه النساء من أعظم النساء عجائزا وأدقهن خصورا باديات الوجوه ساحبات الشعور لا يستترن من أحد أصلا (وجزيرة السحاب) وهي جزيرة كبيرة وسميت بهذا الاسم لأنه يطلع عليها سحاب أبيض ويعلو على المراكب في البحر ويخرج منه لسان طويل دقيق مع ريح عاصف حتى يلتصق ذلك اللسان بالبحر فيغلي البحر كالقدر الفائر ويضطرب كالزوبعة الهائلة فإذا أدرك المراكب ابتلعها ، وبهذه الجزيرة تلول إذا أضمرت فيها النار سالت منها الفضة الخالصة .

(وجزيرة هلائي) وهي جزيرة كبيرة من أعظم الجزائر وأوسعها قطرا وأعظمها عمارة ، وهي معترضة من المشرق إلى المغرب ولأهلها قصور ويوت يتخذونها من الخشب على وجه الماء وأرحاء تدور بالريح على الماء وبها أنواع الطيب والعطر الفاخر وعندهم الموز والأرز والنارجيل وقصب السكر ، وبها معدن الذهب والفيلة البيض والسكر كند ولها ملك عظيم مهيب كثير الجيوش والجنود وله المراكب البهية من الخيل والفيلة العجيبة .

(جزيرة القمر) وهي جزيرة طويلة عريضة طولها من المشرق أربعة أشهر ، وبها مدينة تسمى لان وهي سكن الملك وهي مخصصة بها أشجار ونمار وأنهار وغياض ، وبها النارجيل وقصب السكر وبهذه الجزيرة تصنع ثياب الحشيش الغريبة النوع التي لا نظير لها في الدنيا ولا بهجة للحريير والديباغ عندها ويصنع بها نوع من الحصر المرقومة المنقوشة التي تأخذ بالابصار وتذهب بالعقول حسنا وبهجة تلبسها الملوك فوق البسط الحرير ويعمل بها مراكب منحوتة من قطعة واحدة وخشبة واحدة وطول كل مركب ستون ذراعا بالرشاشي تحمل مائتي مقاتل وتسمى السفيات .

وحكى بعض التجار : أنه رأى هناك مائدة يأكل عليها مائة وخمسون رجلا وهي قطعة واحدة مستديرة وملك هذه المدينة لا يقوم بخدمته إلا

الخشنون ، ولبسون الثياب النفيسة ويتحطون مثل النساء وانهمم النبتة ويتزوجون بالرجال كالنساء يخدمون الملك بالنهار ويرجعون إلى أزواجهم بالليل من غير أن يعارضوا في ذلك .

(جزيرة السعالى) وهى جزيرة عظيمة بها شخوص مشوهة الخلق منكرة الصور لا يدرى ما هم وزعم قوم أنها شياطين تتولد الجن والانس تأكل من وقع لهم من الانس .

• (جزيرة التمسح) وهى جزيرة بها قوم أذنيهم كالكلاب وأبدانهم أبدان الانسان ولهم ملك منهم .

(جزيرة أطوران) وهى كبيرة وبها أنواع من القرودة كالخمر عظاما ، وبها الكركند الكثير ، ذكر أن مراكب الاسكندر وصلت إليهم وإلى جزيرة أخرى بها قوم على أشكال أبدان الانسان ووجوههم ورموسهم كالسباع ، فلما قربوا منهم غابوا عن أبصارهم ولم يعلموا كيف ذهبوا .

(جزيرة النساء) وهى جزيرة عظيمة وليس بها رجل أصلا ذكروا أنهم يلقحون ويحملن من الريح ويلدن نساء مثلهن ، وقيل إن بأرض تلك الجزيرة نوعا من الشجر فىأكل منه فيحملن وإن الذهب فى أرضها عروق كعروق الخيزران وتراها كله ذهب ولا التفات للنساء إلى ذلك .

وذكر بعضهم : أن رجلا ساقه الله إلى تلك الجزيرة فأردن قتله فرحمته امرأة منهم وحملته على خشبة وسببته فى البحر فلعبت به الأمواج فرمته فى بعض بلاد الصين فأخبر ملك تلك الجزيرة بما رأى من النساء وكثرة الذهب فوجه مراكب ورجالا معه فأقاموا زمنا طويلا فى البحر يطوفون على تلك الجزيرة فلم يقعوا لها على أثر .

(جزيرة سرنديب) وهى جزائر كثيرة ، وفى هذه الجزائر مدن كثيرة وفيها الجبل الذى أهبط عليه آدم عليه السلام ويسمى جبل الراهون وعليه أثر قدم آدم عليه السلام وعلى القدم نور لماع يخطف البصر وأسفل هذا

الرجل توجد سائر الأحجار المثمنة النفيسة ولهذه الجزائر بحر فيه مغاص اللؤلؤ الفاخر ويجلب منها الدر والياقوت والسبادج والألماس والبلور وجميع أنواع العطر وتسافر المراكب فيها الشهر والشهرين بين غياض ورياض ولملك هذه الجزائر صنم من الذهب مكلل بالجواهر وليس عند أحد من الملوك ما عنده من الدرر والجواهر النفيسة لأن أصنافها كلها في بلاده وجباله ويحمل إليه الخمس من كل ما يوجد ويستخرج من عراق العجم وفارس ويقال إن بهذه الجزائر مساكن وقبابا أيضا تلوح للناس من بعد فإذا قربوا منها تباعدت حتى يأسوا منها .

(وأما عجائب هذا البحر) فمنها ما ذكرنا أنه إذا كثرت أمواجه ظهرت منه أشخاص سود طول كل واحد منهم أربعة أشبار كانهم أولاد الأعمى يصعدون إلى المراكب من غير ضرورة ولا أذى وظهورهم يدل على خروج ريح مهلك تسمى الخبا .

وحكى : أيضا أنهم يرون في هذا البحر طائرا يطير وهو من نور لا يستطيع أحد النظر إليه فإذا ارتفع على صارى المركب سكنت الريح وهدأت أمواج البحر وهو دليل السلامة ويفقدونه ولا يعلمون أين يذهب (ومن العجائب) أن طائرا في هذا البحر يسمى خرشنة أكبر من الحمام ذكر في كتاب تحفة الغرائب أن هذا الطائر إذا طار يأتي طائر آخر يقال له كركر ويطير تحته فاتحاً فاه يتوقع ذرق خرشنة ليقع في فيه فيأكله وليس له قوت سواه ولا يذرق خرشنة هذا إلا وهو طائر .

(ومنها) دابة المسك البحري وهي دابة تخرج من البحر كل سنة في وقت معلوم بكثرة عظيمة فتصاد وتذبح فيوجد المسك في سرتها كالدم وهذا المسك هو أغر الأنواع غير أنه في مكانه وبلده لا ريح له أبداً فإذا خرج من حد بلاده ظهر ريحه وكلما بعد زاد ريحه .

(ومنها) دابة تسمى ملكان تستوطن جزيرة هناك لها رموس كثيرة

ووجوه مختلفة وأنياب معقفة ولها جناحان وهي تأكل دواب البحر وقيل
نفا تصاد برسم مراكب الملوك هناك إذا ركب الملك قادوها أمام موكبها
والبسوها الجلال الحزير ويزينونها .

(ومنها) سمكة تزيد على خمسمائة ذراع توجد عند جزيرة واق واق
المذكورة إذا رفعت جناحها كانت كالجبل العظيم يخاف على السفن منها
فاذا رآوها صاحوا وضربوا الطبول وأضرموا المكاحل النفطية حتى
تهرب عنهم .

(ومنها) سلاحف كبار استدارة كل سلحفاة أربعون ذراعا بذراعهم
تبيض كل واحدة ألف بيضة وظهرها الذيل الفاخر وأهل اليمن يتخذون من
ظهورها قصعا كباراً وجفاناً هائلة لغسلهم ومأكلمهم .

(ومنها) سمكة تسمى سيلان تقعد على البر يومين حتى تموت فاذا جعلت
في القدر وكان رأس القدر مغطى فضجت واستوت وإن كان رأس القدر
كشوفاً طارت منه وتختفي فلا يعلم أين تذهب .

(ومنها) سمكة تسمى الأطم وجهها كوجه الخنزير ولها فرج كفرج
المرأة ولها مكان الفلوس شعر وهي طبقة لحم وطبقة شحم ويرغبون في
أكلها لطيب لحمها .

(ومنها) سرطانات قدر كل واحد كالترس الصغير يخرج من الماء بسرعة
حركة فاذا سار في البر انعقد حجراً في الحال .

(ومنها) حيات عظام تخرج من البحر فتبتلع الفيل العالي الهائل وتنطوي
على شجرة عظيمة تجذبها أو على صخرة عظيمة فتتكسر عظام الفيل في بطنها
وتسمع قعقة ذلك على بعد .

(ومنها) سمكة تسمى هير من رأسها إلى صدرها مثل الترس ولها عيون
كثيرة تنظر بها وباقي بدننها طويل مثل الحية في مقدار ثلاثين ذراعا ولها
أرجل كثيرة ومن صدرها إلى ذنبها مثل أسنان المشار كل ستة منها في طول

شبر كالحديد في الصلابة أو الفولاذ في القطع ولا تتصل بشيء من المراكب إلا شقته، ولا تضرب شيئاً إلا قطعتة نصفين، ولا تنطوى على شيء إلا أهلكته وتسمى أيضاً القرش وفي هذا البحر الدردور وهو إذا وقعت فيه سفينة لا تنجو منه .

حكى : بعض التجار قال ركبنا في هذا البحر ومعنا جمع من التجار فهبت علينا ريح عاصفة صرفت المركب عن القصد وكان رئيس المركب شيخاً أعمى إلا أنه حاذق بالرياسة وكان معه في السفينة جبال كثيرة فكان رجاله يقولون له لو كان موضع هذه الجبال ركاب لا تنفعنا بأجرتهم، وكان يسأل التجار في كل وقت ماذا ترون فيقولون ما نرى شيئاً ولم يزل كذلك حتى قالوا له نرى طيوراً سوداً على وجه الماء فصاح الشيخ ولطم وجهه وقال هلكننا والله لا محالة فلما سأله عن السبب قال : سترون ذلك عياناً فما كان إلا مقدار ساعتين حتى وقعنا في الدردور والذي رأيته طيوراً كانت مراكب قد وقعوا فيها وفيهم أناس موتى قال فتحيرنا وانقطع أرجاؤنا من الخلاص والحياة فقال الشيخ هل لكم أن تجعلوا لي نصف أموالكم وأنا أنجىكم في خلاصكم إن شاء الله تعالى فقلنا نعم قد رضينا قال فأعطانا قنيتين قد ملئتا بالدهن فأدليتناهما في البحر فاجتمع عليهما من السمك ما لا يعد ولا يحصى ثم أمرنا أن نطرح تلك الموتى الذين في المراكب إلى البحر بعد شدم الجبال التي كانت عنده في المركب ففعلنا ورمىنا بهم وأطراف الجبال مشدودة في مركبنا فابتلع السمك الموتى ثم أمرنا بالصياح وضرب الطبول والصنوج والأخشاب ففعلنا ذلك ففرقت الأسماك وأطراف الجبال في بطونها مشدود بها الموتى وإذا بالمركب قد تحرك من مكانه وأقلع وجرى ولم يزل يجرى حتى خرجنا من الدردور فصاح الرئيس اقطعوا الجبال عاجلاً ففعلناها ونجونا بقدرة الله من الهلاك فقال الرئيس للجماعة تلو موتى على حمل هذه الجبال فانظروا

كيف كانت سببا لحياتكم وسلامتكم لحمدنا الله تعالى وشكرنا الرئيس لنظره في العواقب .

(ومنها بحر الهند) وهو أعظم البحار وأوسعها وأكثرها خيراً ومالاً ولا علم لأحد بكيفية اتصاله بالبحر المحيط لعظمه وسعته وخروجه عن تحصيل الأفكار وليس هو كالبحر الغربي فإن اتصال البحر الغربي بالمحيط ظاهر ويتشعب من هذا البحر الهندي خليجان أعظمهما بحر فارس ثم بحر القلزم فالأخذ نحو الشمال بحر فارس والأخذ نحو الجنوب بحر الزنج . قال ابن الفقيه بحر الهند مخالف لبحر فارس وفي هذا جزائر كثيرة وقيل إنها تزيد على عشرين ألف جزيرة وفيها من الأهم مالا يعلمه إلا الله تعالى فأما ما وصل إليه الناس فأقل قليل .

(فمن جزائره جزيرة كله) وهي جزيرة عظيمة بها أشجار وأنهار وثمار ويسكنها ملك بنى جابة الهندي وبها معادن القصدير وشجر الكافور وهو شبيه بالصفصاف وهي تظل مائة رجل وأكثر وبها الخيزران وفي عجائب هذه الجزيرة ما يقع واصفها في حد التكذيب .

(جزيرة جابة) وهي كبيرة وبها الموز والتارجيل والأرز والقصب السكري الفائق وبها العود ويسكنها قوم شقر وجوهم على صدورهم شعورهم وأبدانهم كالناس وبها جبل عظيم يرى عليه في الليل نار عظيمة ترى من خمسة عشر فرسخاً وبالنهار دخان ولا يدنو أحد من ذلك الجبل على خمسة فراسخ إلا هلك . وملك هذه المدينة اسمه جابة وهو يلبس من الحلل حلة الذهب وتاجاً من ذهب مكللاً بالدر والياقوت والجواهر النفيسة ودراهمه ودنانيره مطبوعة على صورته وهيئته وهو يعبد الصنم وصلاتهم غناء وتلحين وتصفيق بالأكف واجتماع الجوارى الحسان ولعبهن بأنواع من التكر والتخلع بين يدي المصلي والكنيسة التي فيها الصنم فيها جوار حسان راقصات متخلعات معدودة وذلك أن المرأة إذا ولدت عندهم يتناحسنة

أخذتها أمها إذا كبرت وألبستها أغفر الملابس والحلى وذهبت بها إلى الكنيسة
وتصدقت بها على الصنم وحولها أهلها وأقاربها من النساء والرجال ويسلمها
الخدمة إلى أناس عارفين بالرقص والتخلع والتكسر فيعلمونها . ولهذا الملك
جزائر كثيرة منها جزيرة هريج وجزيرة سلاهط وجزيرة مايط .

(فأما جزيرة هريج) فإن بها خسفة متسعة نحو عشرة أميال مستديرة
لا يعرف أحد قعرها ولا وقف أحد على قرارها وهي من عجائب الدنيا .

(وجزيرة سلاهط) يجلب منها الصندل والسنبيل والكافور ، وذكر
المسافرون أن بجزائر الكافور قوماً يأخذون الناس ويأخذون قهوفهم فيجعلون
فيها الكافور والطيب ويلقونها في بيوتهم ويعبدونها فإذا عزموا على أمر
وقصد سجدوا لتلك القهوف وسألوها عما يريدون ويقصدون فتخبرهم
عن كل ما يسألونها عنه من خير أو شر وبهذه الجزيرة عين يفور منها الماء
وينزل في ثقب في الأرض فيطلع له رشاش فأى شيء وقع من ذلك الرشاش
على وجه الأرض صار حجراً فإن كان ليلاً صار حجراً أسود أو بالنهار
صار حجراً أبيض وبآخر هذه الجزيرة خسفة أخرى كالبيكارية دورها نحو
الميل تقعد ناراً وتعلو نارها نحو مائة ذراع بالليل ولها بالنهار دخان .

(وجزيرة برطاييل) وهي قرية من جزائر الزنج ، وبها أقوام وجوهم
كالأنرسة وشعورهم كأذناب الخيل ، وبها القرنفل الكثير ، وبها السكر كند
وإن التجار إذا نزلوا بها وضعوا بضائعهم كوماً كوماً على الساحل ويمودون إلى
المراكب فإذا أصبحوا جاءوا إلى بضائعهم فيجدون إلى جانب كل بضاعة
شيئاً من القرنفل فإن رضيه صاحب البضاعة أخذه وانصرف وإن لم يرض
ترك القرنفل والبضاعة وعاد في اليوم الثاني فيجده قد زيد فيه فإن رضيه
أخذه وإلا تركه وعاد من الغد أيضاً ولا يزال كذلك حتى يرضى .

وذكر بعض التجار أنه صعد إلى هذه الجزيرة سرا فرأى بها قوماً صفر
الوجوه وهي كوجوه الأتراك وآذانهم مخزومة ولهم شعور كشعور النساء .

فلما رأهم غابوا عنه وعن بصره ثم إن التجار بعد أن ترددوا إلى تلك الجزيرة بالبضائع مدة طويلة فلم يأتهم شيء من القرنفل فعلموا أن ذلك بسبب الرجل الذي نظر إليهم ورآهم . ثم عادوا بعد سنتين إلى ما كانوا عليه من المعالضة بالقرنفل ، وخاصة هذا القرنفل أن الانسان إذا أكله رطباً لا يشيب ولا يهرم ولو بلغ مائة سنة . ولباس هذه الامة ورق شجريقال له اللوف وأكلهم من ثمره . ويأكلون السمك أيضاً والنارجيل ، وبهذه الجزيرة جبال يسمع فيها طول الليل أصوات الطبول والصنوج والدفوف والمزامير المطربة والصياح المزيج وغير ذلك من الأصوات العجيبة وقيل إن الدجال بها ، وقيل إنه بغيرها . وسندكره إن شاء الله تعالى .

(جزيرة القصر) وهو قصر عظيم مرتفع أبيض من بلور شفاف يظهر لمن في المراكب من مسافة بعيدة فاذا شاهدوه تباشروا بالسلامة ، ذكر قوم من الزنج أنه قصر مرتفع شاهق لا يدرى ما داخله .

وحكى : أن بعض الملوك وصل إلى هذه الجزيرة وشاهد القصر هو ومن معه من جنوده فلما صاروا في الجزيرة أخذهم الخدران في مفاصلهم وغلب عليهم النوم فبادر بعضهم إلى المراكب فنجوا وتأخر البعض فهلكوا .

(وذكر) أن أصحاب ذى القرنين رأوا في بعض الجزائر أمة رموسهم إلى المراكب ويحاربونهم ورأوا بجزيرة تلك الامة نوراً ساطعاً فاذا هو القصر الأبيض البلورى فأراد ذو القرنين التوجه إليها ورؤية القصر فنعه بهرام الفيلسوف الهندى من ذلك وقال ياملك الزمان لا تفعل فان من وصل إلى هذا القصر غلب عليه الخدران والنوم والثقل وقلة الحركة فلا يقدر على الخروج وبهلك .

(وذكر) بهرام المذكور أن بهذه الجزيرة شجرة إذا أكلوا من ثمرها

قال عنهم النوم والخدران وإذا كان الليل ظهر لذلك القصر شرفات تسرج مثل المصابيح الليل كله فإذا كان النهار خمدت .

(وجزيرة الورد) ذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتاب الشفا في شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم أن بهذه الجزيرة ورداً أحمر مكتوباً عليه بالابيض لا إله إلا الله محمد رسول الله والكتابة بالقدرة الإلهية .

(الجزائر الثلاث) قال صاحب تحفة الغرائب هي ثلاث جزائر متجاورات في إحداهن برق الليل كله ، وفي الأخرى تهب رياح شديدة الليل كله وفي الأخرى تمطر السحاب الليل كله صيفاً وشتاءً على بحر الليالي والأيام أبداً .

(ومنها جزيرة) في هذا البحر بها أقوام أبدانهم أبدان الآدميين وروءوسهم كروءوس الدواب يخوضون في البحر فيخرجون ما يقدرون عليه من دواب البحر فياً كلونها .

(وجزيرة صيدون الساحر) وكان صيدون ملكاً ساحراً وطول هذه الجزيرة شهر في شهر وبها عجائب كثيرة :

(منها) أن في وسطها قصرًا عظيمًا على عمد عظيمة من مرمر ملون ويجلسه من ذهب مرصع بأنواع الجواهر العظيمة يشرف على جميع تلك الجزيرة قيل إن هذا الملك صيدون كان ساحراً ماهراً وكانت الجن تطيعه وتعمل الأعمال المعجزة العجيبة فدل عليه بعض الجن نبي الله سليمان عليه السلام فغزاه وقتله وخرب بلده وقتل أهلها وأسر جماعة منهم . وأما عجائب هذا البحر فكثيرة جداً .

(منها) سمكة تخرج من البحر وتصعد إلى جزيرة سلاط وتصلب إلى أشجارها فتمتص فواكهها وثمارها ثم تقع كالسكران فيأخذها الناس

(ومنها) سمكة خضراء رأسها كرأس الحية من أكل لحمها اعتصم من الطعام والشراب أياماً لا يشتهي .

(ومنها) سمكة مدورة يقال لها كرماسى على ظهرها شبه عمود محدد الرأس قائم لا تقوم لها سمكة فى البحر إلا ضربتها بذلك العمود وقتلتها .

(ومنها) سمكة يقال لها البابه طولها مائة ذراع وعرضها عشرون ذراعا وعلى ظهرها حجارة صدفية كالقراييص إذا تعرضت للسفينة كسرتها وإذا طبخوا من لحمها فى القدر يذوب حتى يصير كله دهنا ، وأهل تلك النواحي يطولون بدنها المراكب عوضا عن الدهن .

(ومنها) سمكة يقال لها العمدة : لها جناحان تفتحهما فى الجو وتنشرهما وتحمل على السفينة فتقلبها فى البحر فى الحال فإذا رآوها ضربوا الطبول والصنوج والزمرور وصاحوا قهرب .

فصل فى بحر فارس وما فيه من الجزائر والعجائب

ويسمى البحر الأخضر وهو شعبة من بحر الهند الأعظم وهو بحر مبارك كثير الخير دائم السلامة وطىء الظهر قليل الهيجان بالنسبة إلى غيره . قال أبو عبد الله الصينى خص الله بحر فارس بالخيرات الكثيرة والبركات الغزيرة والفوائد والعجائب والطرف والغرائب منها مغاص الدر الذى يخرج منه الحب الكبير البالغ وربما وجدت الدرة القيمة فيه التى لا قيمة لها وفى جزائره معادن أنواع اليواقيت والأحجار الملونة النفيسة ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والسباج والعقيق وأنواع الطيب والأفاويه .

(فمن جزائره كيكاموس وفنحالوس) وهى جزيرة كبيرة بها خلق كثير يبيض الألوان عراة الأجسام الرجال والنساء وربما استترت النساء بورق الشجر وطعامهم السمك الطرى والتارجيل والموز وأموالهم الحديد يتعاملون به كتعامل الناس بالذهب والفضة يتحلون بالذهب ويأتهم التجار فيأخذون منهم العنبر بالحديد ، وذكروا أن بهذا البحر جزيرة تسمى جزيرة القامس

وأنها تغيب بأهلها وجبالها وجهانها ومساكنها ستة أشهر وتظهر ستة أشهر
 وذكر بعض المسافرين أن البحر هاج عليهم مرة فنظروا فإذا شيخ
 أبيض الرأس واللحية وعليه ثياب خضر يتنقل على متن البحر وهو يقول:
 سبحان من دبر الأمور، وقدر المقدور، وعلم ما في الصدور، وألجم البحر
 بقدرته أن يفور، سيروا بين الشمال والشرق حتى تنتهوا إلى جبال الطرق
 واسلكوا وسط ذلك تنجوا إن شاء الله من المهالك، ففعلوا ذلك فسلموا
 ونجوا وتحققوا أنه الخضر عليه السلام، ووصلوا إلى جزيرة بها خلق طوال
 الوجوه بأيديهم قضبان من الذهب يعتمدون عليها ويتقاتلون بها وطعامهم
 اللوز والقسطل فأقاموا عندهم شهرا وأخذوا من قضبان الذهب شيئا كثيرا
 ولم يمنعهم أهل الجزيرة من أخذ ذلك وأقاموا حتى هبت رياحهم فسافروا
 على السميت الذي قال لهم الخضر عليه السلام فتخلصوا ونجوا بمشيئة ذي
 الجلال والإكرام .

(جزيرة الطويران) وهي جزيرة خصبة ذات أشجار وثمار وأعين
 وأنهار، وبها قوم أبدانهم أبدان الآدميين ورءوسهم كرموس السباع والكلاب
 وبهذه الجزيرة نهر شديد البياض وعلى شاطئه شجرة عظيمة تظل خمسمائة
 رجل فيها من كل ثمرة طيبة مشرقة بأنواع الألوان وكل ثمرها أحلى من
 الشهد والعسل، وطعم كل ثمرة لا يشبه طعم الأخرى وتلك الثمار ألين من
 الزبد وأزكى رائحة من المسك وورقها كحلل الحرير والديباج وهذه الشجرة
 تسير بسير الشمس ترتفع من الغد إلى الزوال وتنحط من الزوال إلى الغروب
 حتى تغيب بغيبة الشمس .

وذكر أن أصحاب ذي القرنين وصلوا إلى هذه الجزيرة ورأوا تلك
 الشجرة فجمعوا من ثمرها شيئا كثيرا ومن أوراقها ليحملوا ذلك إلى ذي القرنين
 فضربوا على ظهورهم بسياط مؤلمة يحسون بوقع السياط ولا يرونها
 ولا يدرون من الضارب ويصيحون بهم ردوا ما أخذتم من هذه الشجرة

ولا تتعرضوا لها فردوا ما أخذوا منها وركبوا أمراكهم وصافروا عنها .

(وجزيرة العباد) وهي جزيرة عظيمة دخلها ذو القرنين فوجد بها قوما قد انحلتهم العبادة حتى صاروا كالحمم السود فسلم عليهم فردوا عليه السلام فسألهم ما عيشكم يا قوم في هذا المكان ؟ فقالوا ما رزقنا الله تعالى من الأسماك وأنواع النباتات ونشرب من هذه المياه العذبة ، فقال لهم : ألا أنقلكم إلى عيشة أطيب مما أنتم فيه وأخصب ، فقالوا له : وما نصنع به إن عندنا في جزيرتنا هذه ما يفي جميع العالم ويكفيهم لو صاروا إليه وأقبلوا عليه ، قال وما هو ؟ فانطلقوا به إلى وادٍ لانهية لطوله وعرضه يتقد من ألوان الدر والياقوت والبهرمان الأصفر والأزرق والزرجد والبلخش والأحجار التي لم ترق الدنيا والجواهر التي لا تقوم ورأي شيئا لا تحمله العقول ولا يوصف بعض بعضه ولو اجتمع العالم على نقل بعضه لمجزوا ، فقال لا إله إلا الله سبحانه من له الملك العظيم ويخلق الله ما لا تعلمه الخلائق ، ثم انطلقوا به من شفير ذلك الوادي حتى أتوا به إلى مستوى واسع من الأرض لانهية الأبصار به أصناف الأشجار وأنواع الثمار وألوان الأزهار وأجناس الأطيوار وخرير الأنهار وأفياء وظلال ونسيم ذو اعتلال ونزه ورياض وجنات وغياض ، فلما رأى ذو القرنين ذلك سبح الله العظيم واستصغر أمر الوادي وما به من الجواهر عند ذلك المنظر البهيح الزاهر ، فلما تعجب من ذلك قالوا له : أفي ملك في الدنيا بعض بعض ما ترى ؟ قال : لا وحق عالم السر والنجوى ، فقالوا : كل هذا بين أيدينا ولا تميل أنفسنا إلى شيء من ذلك وقنعنا بما نقوى به على عبادة الرب الخالق ومن ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه ، فسرعنا ودعنا بحالنا أرشدنا الله وإياك ، ثم ودعوه وفارقوه ، وقالوا له : دونك والوادي فاحمل منه ما تريد فأبى أن يأخذ من ذلك شيئا .

(وجزيرة الحكماء) وهي جزيرة عظيمة وصل إليها الاسكندر فرأى بها قوما لباسهم ورق الشجر ويوتهم كهاف في الصخر والحجر فسألهم مسائل

في الحكمة ، فأجابوه بأحسن جواب وألطف خطاب ، فقال لهم : سلوا حوائجكم لتقضى ، فقالوا له : نسألك الخلد في الدنيا ، فقال وأنى ذلك لنفسى ومن لا يقدر على زيادة نفس من أنفاسه كيف يبلغكم الخلد ؟ فقالوا له : نسألك صحة في أبداتنا ما بقينا ، قال وهذا أيضا لا أقدر عليه ، قالوا : فعرفنا بقية أعمارنا ؟ فقال الاسكندر لا أعرف ذلك لنفسى فكيف بكم ؟ فقالوا له فدعنا نطلب ذلك ممن يقدر على ذلك وأعظم من ذلك وهو ربنا وربك ورب العالمين وجعل الناس ينظرون إلى كثرة جنود الاسكندر وعظمة موكبه وبينهم شيخ صعلوك لا يرفع رأسه ، فقال له الاسكندر : ومالك لا تنظر إلى ما ينظر إليه الناس ؟ قال الشيخ ما أعجبنى الملك الذى رأيتك قبلك حتى أنظر إليك وإلى ملكك ، فقال الاسكندر وما ذاك ؟ قال الشيخ كان عندنا ملك وآخر صعلوك فأتانا في يوم واحد فقببت عنهما مدة ، ثم جئت إليهما واجتهدت أن أعرف الملك من المسكين فلم أعرفه ، قال فتركهم الاسكندر وانصرف عنهم .

(وأما عجائب هذا البحر) فمنها ما ذكره صاحب عجائب الأخبار أن في هذا البحر طائرا مكرما لا بويه فانهما إذا كبرا وعجزا عن القيام بأمر أنفسهما يجتمع عليهما فرخان من أفرأخهما فيحملانهما على ظهورهما إلى مكان حصين ويبنيان لهما عشا وطيشا ويتعاهدانهما بالزاد والماء إلى أن يموتا فان مات الفرخان قبلهما يأتى إليهما آخران من أفرأخهما ويفعلان بهما كما فعل الأولان وحلم جرا ، هذا دأبهما إلى أن يموتا والذهما .

(وفيه سمكة) يقال لها الدفين ولها رأس مربع وزم كالقمع لا تفتحها يقولون إذا أكل المجذوم من لحمها مطبوخا برىء من الجذام .

(وفيه سمكة) وجهها كوجه الانسان وبدنها كبदन السمك تظهر على وجهه شهرا وتغيب شهرا .

(وسمكة) تطفو على وجه الماء فاذا رأت سمكة أو حيوانا من دواب البحر قد فتح فاه تدخل فيه وتصير غذاء له .

(وفيه حيوان) يخرج من الماء إلى البر ويرتفع والنار خارجة من فيه ومنخره فيحرق ما حوله من النبات فاذا رأى الناس تلك الأرض محترقة علموا أن ذلك الحيوان وقع هناك . (وسمكة) طيارة تطير ليلا من البحر إلى البر ولا تزال تأكل في الحشيش إلى طلوع الشمس فتعود طائرة إلى البحر ، وفي هذا البحر المذكور المعطب الذي يسمى الدردور إذا وقعت فيه المراكب تدور ولا تخرج منه على طول الأزمان والدهور ، والدردور هذا في ثلاثة أبحر في هذا البحر وفي بحر الصين وفي بحر الهند ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل في بحر عمان وجزائره وعجائبه

وهو شعبة من بحر فارس عن يمين الخارج من عمان وهو بحر كثير العجائب غزير الغرائب وفيه مغاص اللؤلؤ ويخرج منه الحب الجيد وفيه جزائر كثيرة معمورة مسكونة .

(منها جزيرة خارك) وهي كبيرة عامرة آهلة وبها مغاص اللؤلؤ .

(وجزيرة خاسك) وهي بقرب جزيرة قيس وأهلها لهم خبرة بالحرب وصبر عليه في البحر فإن الرجل منهم يسبح أياما في الماء وهو يجالذ بالسيف كما يجالذ غيره على وجه الأرض .

حكاية عجيب : حكى أن بعض الملوك بالهند أهدى لبعض الملوك جوارى هنديات حسنا ، فلما عبرت المراكب والجوارى بهذه الجزيرة خرجن يتفسحن في مسالهن في أرضها فاخطفتن الجن ونكحوهن فولدن هؤلاء القوم .

(وجزيرة سلطى) وهي كبيرة وفيها قوم يسمعون كلامهم وضجيجهم من مسافة بعيدة ومن وصل إليهم يخاطبهم ويخاطبونه غير أنهم لا يرون بأشخاصهم ، ويقال إنهم من الجن وهم مؤمنون فاذا وصل إليهم الغريب جعلوا له من الزاد ما يكفيه ثلاثة أيام فاذا أراد الرجوع إلى أهله حملوه في

مركب وأوصلوه إلى قصده .

(وجزيرة الشجر) وبها شجر يحمل ثمرا كاللوز في صفته وقدره يؤكل بقشره وهو أحلى من الشهد ويقوم مقام كل دواء . ومن أكل منه من الرجال والنساء يزداد قوة وشبابا ولا يهرم أبدا ولا يشيب . وإن كان آكله طاعنا في السن وقد ذهبت قوته وبيض شعره عاد في الحال إلى قوة الشباب واسود شعره . وذكر أن بعض الملوك بالهند زرعه في أرضه فأورق ولم يشمر .

(وجزيرة الدهلان) وهو شيطان في صورة إنسان راكب على طير يشبه النعام يأكل لحوم الناس إذا طلع أحد من المراكب إلى تلك الجزيرة أخذهم ورفعهم إلى مكان لا خلاص لهم منه وأكلهم واحدا بعد واحد . وحكى : أن مراكبا ألقته الريح إلى تلك الجزيرة وكانوا قد سمعوا بذلك الشيطان ، فلما أتاهم قاتلوه وصبروا على قتله صبر الكرام ، فلما رأى ذلك منهم صاح بهم صيحة سقطوا منها مغشيا عليهم فجعل يجرهم على وجوههم إلى موضعه الملعود ، وكان فيهم رجل صالح فدعا عليه فهلك وعاد موضعه طالبا لما فيه من الأموال والذخائر وأمتعة الناس .

(جزيرة الصرف) وهي جزيرة تلوح لأصحاب المراكب فيطلبونها وكلما قربوا منها تباعدت عنهم وربما أقاموا لذلك أياما كثيرة فلا يصلون إليها وقيل إن أحدا منهم لم يدخلها قط إلا أنهم رأوا فيها دواب وأشخاصا . (جزيرة الفندج) فيها صنم من رخام أخضر ودموعه تسيل على عمر الأيام والليالي فإذا دخل الريح في جوفه صفر صفيرا عجيبا . ذكر المسافرون أنه يبكي على قوم كانوا يعبدونه من دون الله وقيل إن بعض الملوك غزا عباد ذلك الصنم فأفناهم وأبادهم عن آخرهم واجتهد في كسر ذلك الصنم فلم يقدر ولم تعمل فيه الآلة وكلما ضربوه بمعول عاد الضرب إلى الضارب فقتله فتركوه وانصرفوا .

(جزيرة سرندوسة) وهي كبيرة عامرة بها أنهار وأشجار وثمار وعند

أهلها من الذهب ما لا يكيف فاعونهم ذهب وأنيتهم ذهب وقدورهم ذهب
ونخرايهم ذهب وسلاحهم ذهب ولهم ملك يدفع عنهم كل من يقصدهم
أو يقصد الخروج من عندهم بشيء من ذلك . وبجانب هذا البحر كثيرة
وذكر أن العنبر الخالص ينبت في قعر هذا البحر كما ينبت القطن في الأرض
فاذا اضطرب البحر قذف به وربما أكل منه الحوت العظيم الجرم فيموت
فيطفو على وجه الماء في اليوم الثالث فيجذبه أهل المراكب بالكلاب إلى
الساحل فيأخذون العنبر من جوفه .

(وملكان) نوع من السمك يطفو على وجه البحر في ثالث عشر
كانون الثاني يدل ذلك على خروج ربح يضطرب لها البحر حتى يصل
الاضطراب إلى بحر فارس ويشتد هيجانه ويتكدر لونه وتنعقد ظلمته بعد
طفو هذا السمك يوم واحد .

(ومنها الأمشور) وهو سمك يأتي البصرة في وقت معين فيبقى مدة
شهرين وينقطع فلا يعود إلا في ذلك الوقت بعينه من العام القابل .
(والجراف) أيضاً سمك وأوانه مثل أوانه وانقطاعه .

(ومنها) حيوان يعرف بالتين شر من الكوسج طوله كالنخلة السحوق
أحمر العينين كربه المنظر له أنياب كأسنه الرماح يقهر الحيوانات كلها
حتى الكوسج .

(ومنها) سمكة خضراء أطول من ذراع لها خرطوم عظيم كالمنشار تضرب
به من عارضها فتقده . وفي هذا البحر دردور صغير .

حكى القزويني : أن رجلاً من أصفهان ركبه ديون كثيرة فقارق أصفهان
وركب هذا البحر صدقة مع تجار قلاطمت بهم الأمواج حتى حصلوا
في الدردور يبحر فارس فقال التجار للرئيس هل تعرف لنا سبيلاً إلى الخلاص
فنسعى فيه ؟ فقال : إن سمح أحدكم بنفسه تخلصنا فقال الرجل الأصفهاني
المديون في نفسه كلنا في موقف الهلاك وأنا قد كرهت الحياة وسممت البقاء

وكان في السفينة جمع من التجار الاصفهانيين فقال الرجل لهم هل تحلفون لي
 بوفاء ديوني وخلاص روحي وأفديكم بروحي وأوثركم بحياتي وتحسنون
 إلى عيالي ما استطعتم فلقوا له على ذلك وفوق ما شرط . فقال الاصفهاني
 للرئيس ما تأمرني أن أفعل فقد سلمت نفسي لله طلبا لخلاصكم إن شاء الله
 تعالى فقال له الرئيس آمرك أن تقف ثلاثة أيام على ساحل هذا البحر
 وتضرب على هذا الدهل ليلا ونهاراً ولا تفتر عن الضرب أبدا . قلت
 أفعل إن شاء الله تعالى فأعطوني من الماء والزاد ما أمكن ، قال الاصفهاني
 فأخذت الدهل والماء والزاد وتوجهوا بي نحو الجزيرة وأنزلوني
 بساحلها فأخذت وشرعت في ضرب الدهل فتحركت المياه وجرى المركب
 وأنا أنظر اليهم حتى غاب المركب عن بصرى فجعلت أطوف في تلك
 الجزيرة وإذا أنا بشجرة عظيمة شبه سطح فلما كان الليل وإذا بهدة عظيمة
 فظنرت فاذا طائر عظيم في الحلقة قد سقط على ذلك السطح الذي في الشجرة
 فاخفيت خوفا منه فلما كان الفجر انتفض بجناحيه وطار فلما كان الليل جاء
 أيضاً وحط على مكانه البارحة فدنوت منه فلم يتعرض لي بسوء ولا التفت
 إلى أصلا وطار عند الصباح فلما كان ثالث ليلة وجاء الطائر على عادته وقد
 مكانه جثت حتى قعدت عنده من غير خوف ولا دهشة إلى أن نفض
 جناحيه فتعلقت باحدى رجليه بكلنا يدي فطار بي إلى أن ارتفع النهار
 فظنرت إلى تحتي فلم أر إلا لجة ماء البحر فكدت أن أترك رجله وأرمي بنفسي
 من شدة ما لقيت من التعب فنصبرت زمانا وإذا بالقرى والعمارة تحتي
 فقرحت وذهب ما كان بي من الشدة فلما دنا الطائر من الأرض وميت نفسي
 على صبرة تبين في يدر وطار الطائر فاجتمع الناس حولى وتعجبوا منى وحلوني
 إلى رئيسهم وأحضروا إلى من يفهم كلامي فأخبرتهم قصتي فتهربوا بي
 وأكرموني وأمروا لي بمال وأقت عندم أياما فخرجت يوما لا تفرج وإذا
 أنا بالمركب الذي كنت فيه قد أرسى فلما رأوني أسرعوا إلى وسألوني

عن أمرى فأخبرتهم فحملوني إلى أهلى وقاموا لى ببال له صورة فوق الشرط
فعدت بخير وغنى وسلامة .

فصل فى بحر القلزم وجزائره وما به من العجائب

وهذا البحر شعبة من بحر الهند جنوبيه بلاد بربر والحبشة وعلى ساحله
الشرقى بلاد العرب وعلى ساحله الغربى بلاد اليمن والقلزم اسم لمدينة على
ساحله وهو البحر الذى غرق فيه فرعون وهو بحر مظلم وحش لا خير
فيه باطنا ولا ظاهراً وفى هذا البحر جزائر كثيرة وغالبها غير مسكونة
ولا مسلوكة .

(فمن جزائره) جزيرة قرية من أيلة يسكنها قوم يقال لهم بنو حداب
ايس لهم زرع ولا ضرع ولا ماء عذب معاشهم من السمك ويوتهم السفن
المكسرة ويشحنون الماء والخبز بمن يمر بهم من المسافرين وعندهم دواة
فى سفح جبل إذا وقع الريح عليها انقسمت قسمين ويلقى المراكب بين
شعبين متقابلين فيثور الريح بينهما ويخرج من كليهما متخالفين فتقلب
المركب بمن فيها ، وقيل إن هذا الموضع غرق فيه فرعون .

(وجزيرة الجساسة) وهى دابة تجس الأخبار وتأتى بها إلى الدجال ،
قال تميم الدارى رضى الله عنه ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وقد اختطفته الجن من صحن داره ومكث فى بلاد الجن وغيرها مدة
طويلة ورأى العجائب وقصته طويلة مشهورة ، قال : ركبنا فى هذا البحر
فأصابتنا ريح عاصف ألجأتنا إلى هذه الجزيرة فإذا نحن بدابة استوحشنا
منها وقلنا لها : ما أنت ، قالت أنا الجساسة ، قلنا لها : أخبرينا الخبر ، قالت :
إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير ، فإن به رجلاً هو بالشوق إليكم فأتيناه ،
فقال لنا كيف وصلتم ؟ فأخبرناه الخبر ، فقال : ما فعلت طبرية ؟ قلنا تدفق
الماء بين أجوافها ، قال : فما فعلت نخلات عمان ؟ قلنا يحنها أهلها ، قال : فما

فعلت عين زغر؟ قلنا يشرب منها أهلها ، فقال : لو نفذت لخلصت من وثاق فوطئت بقدمي هذا كل سهل وجبل إلا مكة والمدينة ، وبعضهم يزعم أنه ابن صياد الذي كان بمكة ، وكان يقال ذلك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكره ، قال ابن سعيد : صحبت ابن صياد من مكة ، قال ماذا لقيت من الناس يزعمون أني الدجال ألم يقل نبي الله إنه يهودي وقد أسلمت ، وقال إنه لا يولد له وقد ولد لي ، وقال إن الله حرم عليه المدينة ومكة وقد ولدت بالمدينة وحجبت إلى حرم مكة ، ثم قال في آخر قوله والله إني أعرف أين هو الآن وأعرف أباه وأمه ، وقيل له يوما أيسرك لو كنت ذاك ، فقال لو عرض لي لما كرهته . وقال نافع مولى ابن عمر رضى الله عنهم ، لقيت ابن صياد في بعض طرق المدينة ، فقلت له قولا أغضبته فانتفخ حتى ملأ الطريق ، ثم دخلت بعد ذلك على حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : وقد بلغها الخبر ، فقالت يرحمك الله ما أردت من ابن صياد ، أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنما يخرج من غصبة يغضبها . وأما عجائب هذا البحر فمنها سمكة تزيد على مائتي ذراع تضرب السفينة بذنبها فتغرقها .

(ومنها) سمكة مقدار ذراع بدنها كبذن السمك ووجهها كوجه البوم .
(ومنها) سمكة طولها نحو عشرين ذراعا ومن ظهرها الذبل الجيد وهي تلد كالآدمية وترضع مثلها .

(ومنها) سمكة تصاد وتجفف فيبقى لحها مثل القطن يتخذ منه غزل وينسج منه ثياب فاخرة تسمى تلك الثياب سمكين .

(ومنها) سمكة على خلقة البقر تلد وترضع كالبقرة وسمكة عريضة عرضها أميز من طولها يقال لها البهاروز يقارب وزنها قنطارا طيبة اللحم والطعم .
(وسمكة) طولها شبران ولها رأسان رأس في موضع رأس العادة ورأس في موضع ذنبها وتسمى الخنجر .

(وسمك) يقال له الفرس وهو نوع من كلاب الماء في البحر في فمه سبع صفوف أضراس وطوله عشرة أشبار وهو كثير الضرر والأذى .

فصل في بحر الزنج وهو بحر الهند بعينه

وبلاد الزنج منه في جانب الجنوب تحت سهيل وراكب هذا البحر يرى القطب الجنوبي ولا يرى القطب الشمالي ولا نبات نعش وهو متصل بالبحر المحيط موجه كالجبال الشواحق وينخفض كأخفض ما يكون من الأودية وليس له زبد مثل سائر البحار وفيه جزائر كثيرة ذوات أشجار وغياض لكنها ليست بذوات ثمار مثل شجر الأبنوس والصندل والساج والقنا والعنبر يصاد ويلقط من ساحله ، وبها يوجد منه كل قطعة كالتل العظيم .

(فن جزائره المشهورة الجزيرة المحترقة) وهي جزيرة وأغلة في هذا البحر قل أن يصل إليها أحد ، قال بعض التجار ركبت في هذا البحر فدارت في الأوقات حتى حصلت في هذه الجزيرة فرأيت فيها خلقا كثيرا وأقت بها زمانا وتأنست بأهلها وتعلبت لغتهم ، فلما كان في بعض الأيام رأيت الناس مجتمعين ينظرون إلى كوكب طلع من أفقهم وهم يبكون ويلطمون ويتودعون فسألت عن السبب ، فقالوا إن هذا الكوكب يطلع بعد كل ثلاثين سنة مرة حتى إذا وصل إلى سمت رؤسهم يركبون البحر ومعهم جميع ما يخافون عليه من المال والقماش والأمتعة فسامت الكوكب رؤسهم فركبوا البحر وركبت معهم وصحبوا في المراكب جميع ما كان في الجزيرة مما يحمل وينقل وسرنا وغبنا عن الجزيرة مدة ، ثم عدت معهم فوجدنا جميع ما كان بها من الأماكن والبنيان والأشجار وغيرها قد احترق وصار رمادا فشرعوا في العمارة ثانيا ولا يزالون كذلك على الدوام في كل ثلاثين سنة تحترق الجزيرة ويجددون بناءها .

(ومن جزائره جزيرة الضوضاء) وهي بما يلي الزنج، حكى بعض التجار أن بها مدينة من حجر أبيض ولا ساكن بها غير أنهم يسمعون بها جلبة وضوضاء يدخلها البحريون ويشربون من مائها ويحملون منه إلى المراكب وهو ماء طيب عذب وفيه رائحة الكافور، وبقرها جبال عظيمة تتوقد منها نار عظيمة في الليل وحواليها حية تظهر في كل سنة مرة واحدة فيحتال عليها ملوك الزنج ويصيذونها ويتخذون من جلدها فراشا يجلس عليه صاحب السل فيبرأ .

(جزيرة العور) وهي جزيرة كبيرة، حكى يعقوب بن إسحق السراج، قال: قال لي رجل من أهل رومية، ركبت في هذا البحر فألقنتي الريح في هذه الجزيرة فوصلت إلى مدينة أهلها قاماتهم طولها ذراع وأكثرتهم عور فاجتمع على منهم جمع وساقوني إلى ملكهم فأمر بحبسني في قفص فكسرتهم فأمنوني وتركوا الاحتجار علي، فلما كان في بعض الأيام رأيتهم قد استعدوا للقتال فسألتهم عن ذلك، فقالوا: لنا عدو يأتينا في كل سنة ويحاربنا وهذا أوانه فلم ألبث إلا قليلا حتى طلعت علينا عصابة من الطيور والغرائق، وكان ما بهم من العور من نقر الغرائق فحملت الطيور عليهم وصاحت بهم، فلما رأيت ذلك شددت وسطى وأخذت عصا وشددت عليها وحملت عليهم وصحت فيهم صيحة منكرا ورميت منهم جماعة فصاحوا وطاروا هاربين مني، فلما رأى أهل الجزيرة ذلك أكرموني وعظموني وأفادوني مالا وسألوني الإقامة عندهم فلم أفعل فحملوني في مركب وجهزوني .

وذكر أرسطاطاليس أن الغرائق تنتقل من بلاد خراسان إلى بلاد مصر حيث مسيل النيل فتقاتل أولئك العور في طريقهم وهم قوم في طول ذراع .

(جزيرة سكسار) وهي جزيرة عظيمة وهم قوم لا عظام لأرجلهم وسوقهم حكى المؤرخ ابن إسحق قال: لقيت رجلا في وجهه خموش كثيرة فسألته عنها، فقال: كنت في بحر الزنج مع جماعة فألقنتا الريح إلى جزيرة سكسار فلم نستطع أن نخرج منها لشدة الريح فأتانا قوم وجوههم وجوه

الكلاب وأبدانهم أبدان الناس فسبق إلينا واحد منهم بعضا كانت معه ووقف جماعة من ورائنا فساقونا إلى منازلهم فرأينا فيها جماجم وقحوا وسوقا وأذرا وأضلاعا كثيرة فأدخلونا بيتا فيه إنسان ضعيف وجعلوا يأتوننا بأكل كثير وطعام غزير وفواكه طيبة ، فقال لنا ذلك الرجل الضعيف إنما يطعمونكم لتسمنوا وكل من سمن أكلوه قال فجعلت أقلل أكلى دون أصحابي وصار كلما سمن واحد ذهبوا به وأكلوه حتى بقيت وحدى وذلك الرجل الضعيف ، فقال لي الرجل يوما إن هؤلاء قد حضروهم عيد يخرجون إليه ويعيرون مدة ثلاثة أيام فان استطعت أن تنجو بنفسك فانج ، وأما أنا فكأ تراني لا أستطيع الحركة ولا أقدر على الحرب فانظر في تدبير لنفسك ، فقلت جزاك الله الجنة ، وخرجت فجعلت أسير ليلا وأخفتي نهارا ، فلما رجعوا من عيدهم فقدوني فتبعوني حتى يئسوا فرجعوا ، فلما أيست منهم سرت في تلك الجزيرة ليلا ونهارا فاتتهيت إلى أشجار بها ثمار وفواكه وتحتها رجال حسان الصورة إلا أنه ليس لسوقهم عظم فقعدت لا أفهم كلامهم ولا يفهمون كلامي فلم أشعر إلا وواحد منهم ركب على رقبتى وأكثافى وطوق برجليه على وأنهضنى فذهبت به وجعلت أعالجه لأنخلص منه وأطرحه عنى فلم أقدر وجعل يخمش وجهى بأظفاره المحددة فجعلت أدور به على الأشجار وهو يأكل من فواكهها وثمارها ويطعم أصحابه وهم يضحكون على فينما أنا أطوف به بين الأشجار إذ دخلت في عينة شوكية من شجرة فأنحلت رجلاه عنى فرميته عن رقبتى وسرت فنجاني الله بكرمه وهذه الخموش منه فلا رحم الله عظامه . وأما عجائب هذا البحر فكثيرة .

(منها المنشار) وهى سمكة عظيمة كالجبل العظيم ومن رأسها إلى ذنبها كالمنشار من عظام سود مثل الابنوس كل سن منها أطول من ذراعين وعند رأسها عظمان طويلان طول كل واحد عشرة أذرع تضرب بالعظمين يمينا وشمالا فى الماء فيسمع لها صوت عظيم ويخرج الماء من فيها ومناخيرها

ويعصد نحو السماء رمية سهم وينعكس على المركب كالسيل وهي بعيدة عن المركب وإذا عبرت تحت المركب قطعها نصفين فإذا رآها أصحاب المركب يكون ويضجون إلى الله تعالى بالدعاء ويتحالفون ويتودعون ويصلون صلاة الموت خوفاً منها .

(وسمكة البال) وهي سمكة طولها من أربع مائة ذراع إلى خمسمائة وستمائة تظهر في بعض الأوقات طرف جناحها كالشرع العظيم وتخرج رأسها من الماء وتنفخ فيصعد الماء كرمية سهم في العلو فإذا أحس بها أهل المركب ضربوا الطبول والصنوج وصاحوا حتى تذهب وهي تحوش بذنبها وأجنحتها السمك إلى فيها فإذا زاد بغيا في البحر على دوابه أرسل الله عليها سمكة طول ذراع تسمى السمك فتلتصق بأذننها فلا تجد البال منها خلاصا فتطلب قعر البحر وتضرب برأسها الأرض حتى تموت فتطفو على وجه الماء كالجلجل العظيم فيجرونها بالكلايب والحبال ويشقون بطنها فيخرج منها العنبر كالتل العظيم لأنها تأكله وتعرفه التجار بشوكته .

فصل في بحر المغرب ومعجائبه وغرائب

وهو بحر الشام وبحر القسطنطينية يخرج من المحيط يأخذ مشرقاً فيمر بشمالى الأندلس ، ثم يبلاد الفرنج إلى القسطنطينية ويمتد يبلاد الجنوب إلى سبتة إلى طرابلس الغرب إلى الاسكندرية ثم إلى سواحل الشام إلى أنطاكية وذكر في كتاب أخبار مصر أنه بعد هلاك الفراعنة كانت ملوك بني دلوكة في شق البحر المحيط من المغرب وهو البحر المظلم تغلب الماء على بلاد كثيرة وممالك عظيمة فأخربها وركبها وامتد إلى الشام وبلاد الروم وصار حاجزاً بين بلاد مصر وبلاد الروم على أحد ساحليه المسلمون وعلى الآخر النصارى وهناك يجمع البحرين وهما بحر الروم والمغرب وعرضه ثلاثة فراسخ وطوله خمسة وعشرون فرسخاً والمد والجزر هناك في كل يوم

وليلة أربع مرات وذلك أن البحر الأسود وهو بحر المغرب عند طلوع الشمس يعلو فيصب في مجمع البحرين حتى يدخل في بحر الروم وهو البحر الأخضر إلى وقت الزوال فإذا زالت الشمس غاض البحر الأسود وانصب فيه الماء من البحر الأخضر إلى مغيب الشمس ويعلو البحر الأخضر على الدوام وفي هذا البحر من الجزائر شيء كثير .

فن جزائره جزيرة (الأندلس) وقد تقدم ذكرها .

(وجزيرة مجمع البحرين) وهي جزيرة كبيرة وفيها منارة مبنية بالصخر المانع الصلح لها أساس راسخ ولا باب لها ولا يعمل فيها الحديد وعلوها أكثر من مائة ذراع وعلى رأسها صورة إنسان ملتحف بثوب كأنه من ذهب ويده اليمنى ممدودة إلى البحر الأسود كأنه يشير بأصبعه لذلك الموضع من العدو .

(وجزيرة صقلية) وهي جزيرة عظيمة بها أنهار وأشجار وثمار ومزارع ، وبها جبل يقال له جبل البركات يظهر منه في النهار دخان وبالليل نار يطير منه شرر إلى البحر فتصير حجارة سوداء مثقبة تحرق كل شيء صادفته وتطفو على وجه الماء ويأخذها الناس فيستعملونها في الحمامات لحدة الأرجل (جزيرة قريطس) وهي في بحر الروم ، وبها معادن الذهب .

(جزيرة طاووزاق) وهو ملك له أربعة آلاف امرأة وليس له ولد وعندما شجر إذا أكلوا منه أفادهم القوة في الجماع وأطلق الواحد منهم أن يجامع في اليوم مائة مرة وأكثر .

(الجزيرة السيارة) أخبر البحريون أنهم رأوها مرارا كثيرة فيها أشجار وعمارات وجبال كلما هبت الريح عليها من المغرب سارت لنحو المشرق وكلما هبت من المشرق سارت لنحو المغرب وحجارتها خفاف فترى الحجر تظن أنه قنطار فيكون رطلا واحدا .

وذكر بعض اليهود أن مركبهم انكسر على هذه الجزيرة فأقاموا أياما لم يكن غذاؤهم إلا السمك ووقفوا في جزيرة حجارتها وجبالها ووهلها وتراها كلها ذهب ، وكان قد سلم معهم زورق المركب فأوسقوه من ذلك الذهب فوق طاقته وسافروا فلم يسيروا إلا قليلا حتى عطب الزورق ولم ينبج إلا من قدر على السباحة .

(جزيرة تينس) وهي في بحر الروم وفيها مدن كثيرة ويخرج إليها من البحر نوع من السمك فيقيم بها يوما وينقطع ويظهر نوع آخر وقيم يوما وينقطع ويظهر نوع ولا يزال كذلك إلى آخر السنة تنمئة ثلثمائة وستين نوعا ثم يعود النوع الأول كالعادة .

(جزيرة النوم) بها أشجار وثمار وأزهار من شمس شيئا منها نام من ساعته .
(جزيرة خالطة) قال أبو حامد الأندلسي رأيت هذه الجزيرة ، وبها من القمم شيء لا يحصى كالجراد المنتشر لا ينفر من الناس يأخذ أهل المراكب منها ما شاءوا وبها أشجار وثمار وأعشاب وليس بها إنس ولا جان .

(جزيرة الدير) ذكر البحريون أنها بقرب قسطنطينية وفيها دير غائب في البحر فينكشف عنه الماء يوما في السنة وتحجج أهل تلك النواحي إليه ويبقى ظاهرا إلى وقت العصر ثم يزيد الماء فيغطيه إلى العام القابل .

(جزيرة الكنيسة) ذكر أبو حامد الأندلسي أن بهذه الجزيرة جبلا على شاطئ البحر الأسود عليه كنيسة منقورة في الصخر في الجبل وعليها قبة عظيمة وعلى تلك القبة طائر غراب يطير ويحط ولا يزال عليها ومقابل القبة مسجد يزوره المسلمون ويقولون إن الدعاء فيه مستجاب وقد شرط على أهل تلك الكنيسة ضيافة من يزور ذلك المسجد من المسلمين فإذا قدم زائر للمسجد أدخل الغراب رأسه إلى داخل الكنيسة وصاح صيحات بعدد الزوار إن كان واحد فواحدة أو اثنين فائنتان أو عشر فعشرة لا يخطئ أبدا فينزل أهل تلك الكنيسة بالضيافة إليهم على عدتهم لا يزيدون ولا ينقصون

وذكر القيسون أنهم ما زالوا يرون ذلك الغراب ولا يدرون من أين ما كله ومشربه وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة الغراب .

ومن عجائب هذا البحر ما ذكره أبو حامد من أنه قال لما غاض بحر الروم انكشف عن مدن وعمارات لا توصف . وبه الشيخ اليهودي وهو حيوان كالإنسان وله لحية بيضاء وبدن كبدين الضفدع وشعره كشعر البقر وهو في قدر البغل يخرج من البحر في كل ليلة سبت فلا يزال في البر حتى تغيب الشمس فيثب وثبة فلا يلحقه أحد وهو يثب كما يثب الضفدع .

وحدث عبد الرحمن بن هرون المغربي قال : ركبنا هذا البحر فوصلنا إلى موضع يقال له الرطون ، وكان معنا غلام صقلي ومعه صنارة فدلاها في البحر فصاد سمكة قدر الشبر فنظرنا فإذا مكتوب خلف أذنها الواحدة لا إله إلا الله وفي قفاها وخلف أذنها الأخرى محمد رسول الله .

(البغل) وهو سمكة كبيرة ، قال أبو حامد الأندلسي رأيت هذه السمكة بمجمع البحرين مثل الجبل العظيم وقد لازمتها سمكة أكبر منها في الظلمات فهربت المسنة بالبغل منها وجدت الأخرى في طلبها ولما عين البغل منها الجدد صاحت صيحة عظيمة ما سمع أهل من قبلها فكادت قلوبنا أن تنشق من الخوف واضطرب البحر وكثرت أمواجه وخفنا الفرق وأتت السمكة الطالبة لتعبر خلف البغل من الظلمات إلى مجمع البحرين فلم تقدر لعظمتها .

(حوت موسى عليه السلام) قال أبو حامد رأيت سمكة تعرف بنسل الحوت في مدينة سبته وهو الحوت المشوي الذي صحبه موسى ويوشع حين صافرا في طلب الخضر عليهم السلام . وهي سمكة طولها ذراع وعرضها شبر وأحد جانبيها شوك وعظام وجلد رقيق على أحشائها ورأسها نصف رأس بعين واحدة فمن رآها من هذا الجانب استقدرها ونصفها الآخر صحيح بهيج والناس يتبركون بها ويهدونها إلى الرؤساء سيما اليهود .

(وسمكة كأنها قلنسوة سوداء) قال أبو حامد رأيت هذه السمكة وفي

جوفها شبه المصارين ولا رأس لها ولا عين ، ولها مرارة كمرارة البقر سوداء .
فاذا صادها أحد تحركت فيسود ما حولها من الماء حتى يبقى كالخبر الدخان
وأظنه من مرارتها فيؤخذ ذلك الماء ويكتب به في الورق وهو أحسن من
الخبر وأعظم سوادا وأثبت وأجود وأبص منه .

(وسمكة) . تال لها الخطاف على ظهرها جناحان تخرج من الماء وتطير
حيث شاءت ثم تعود إلى الماء .

(وسمكة تعرف بالمتارة) وهذه السمكة تخرج يدينها من الماء وتقف على
عجزها كالمتارة ثم ترمي بنفسها على المركب العظيم فتغرقه وتهلك أهلها فاذا
أحسوا بها ضربوا الطبول والبوقات وأضرموا مكاحل النفط فتهرب عنهم .
(وسمكة) كبيرة إذا نقص عنها الماء بقيت على الطين ملقاة ولا تزال

تضطرب إلى مقدار ست ساعات ، ثم تنسلخ من جلدها ويظهر لها جناحان
من تحت لإبطها فتطير مع عظمتها إلى بحر آخر وهذا من أعظم عجائب القدرة .
(ومنها التناين) وهي كثيرة في هذا البحر ولا سيما عند طرابلس واللاذقية .

فصل في بحر الخزر

وهو بحر الأتراك وهو في جهة الشمال شرقيه جرجان وطبرستان وعلى
شماله بلاد الخزر وغريه اللان وجبال القبق وعلى جنوبه الجبل والديلم وهو
بحر واسع ولا اتصال له بشئ من البحار وهو بحر صعب خطر المسلك
سريع الهلاك شديد الاضطراب والأمواج لا جزر فيه ولا مد وليس فيه
شئ من اللآلئ والجواهر .

ذكر السمرقندي في كتابه : أن ذا القرنين أراد أن يعرف ساحل هذا البحر
فبعث قوما في مركب وأمرهم بالمسير فيه سنة كاملة لعل أن يأتوه بخبر ساحل
فساروا بالمركب سنة كاملة فلم يروا شيئا سوى سطح الماء وزرقة السماء
فأرادوا الرجوع ، فقال بعضهم نسير شهرا آخر لعلنا أن نرجع بخبر فساروا

شهرًا آخر فاذا هم بمركب فيه أناس فالتقى المركبان ولم يفهم أحدهم كلام الآخر فدفع قوم ذى القرنين إليهم امرأة وأخذوا منهم رجلا ورجعوا إلى الاسكندر وأخبروه بالأمر ، قال فزوج الاسكندر الرجل بامرأة من عسكره فأنت بولد يفهم كلام الوالدين ، فقال له : سل أباك من أين جئت فسأله ، فقال : جئت من ذلك الجانب ، فقيل له : فهل هناك ملك ؟ قال : نعم أعظم من هذا الملك ، قيل فكم لكم في البحر ؟ قال سنتين وشهرين ، وقيل إن دور هذا البحر ألفان وخمسمائة فرسخ وطوله ثمانمائة فرسخ وعرضه ستمائة فرسخ وهو مدور الشكل إلى الطول أميز . وبهذا البحر عجائب كثيرة

منها ما ذكره أبو حامد عن سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملك الحزر قال : لما توجهت من عند الخليفة إليهم أقمت عندهم مدة فرأيتهم يوما قد اصطادوا سمكة عظيمة فجذبوها بالكلايب والحبال فانفتحت أذن السمكة فخرج منها جارية بيضاء حمراء طويلة الشعر سوداؤه حسنة الصورة طويلة القامة كأنها القمر المبدر وهي تضرب وجهها وتنشف شعرها وتصيح وفي وسطها غشاء لحى كالثوب الضيق من سرتها إلى ركبها كأنه إزار مشدود عليها فما زالت كذلك حتى ماتت .

ومنها التين ذكروا أنه يرتفع من هذا البحر تين عظيم يشبه السحاب الأسود وينظر إليه الناس وزعموا أنها دابة عظيمة في البحر تؤذى دوابه فيبعث الله عليها سحابة من سحب قدرته فيحملها ويخرجها من البحر وهي صفة حية سوداء لا يمر ذنبها على شيء من الأبنية العظام إلا سحقته وهدمت ولا من الأشجار إلا هدمتها وربما تنفست فأحرقت الأشجار والنباتات قال فيلقها السحاب في الجزائر التي بها يأجوج ومأجوج فتكون لهم غداة وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما هذا القول .

وحكى : أن الاسكندر لما أن فرغ من السد وأحكمه سر بذلك سرورا عظيما وأمر بسرير فصب له على السد فرقى عليه وحمد الله تعالى وأتى عليه

ثم قال : يارب الأرباب ومسهل الصعاب أنت ألهمتنى بسد هذا المكان
صونا للبلاد ، وراحة للعباد ، وقما لهذا العدو المطبوع على الفساد ، فأحسن
لى المثوبة فى يوم المعاد ، ورد غربتى وأحسن أوتى ثم سجد سجدة أطال
فيها ، ثم استوى على فراشه واستلقى على ظهره لانتعاشه وقال : الآن قد
استرحت من سطوة الخزر ومقاساة الأتراك ثم أغنى لإغفاءة فطلع طالع من
البحر حتى سد الأفق بطوله وارتفع كالعمامة العظيمة السوداء فسد الضوء
عن الأرض فبادرت الجيوش والمقاتلة إلى قسيهم واشتد الصياح فأتبه
الاسكندر ونادى ما الذى نابكم وما شأنكم فقالوا الذى ترى قال أمسكوا عن
سلاحكم وكفوا عن انزعاجكم لم يكن الله عز وجل ليأمرنى لما أراد ويفربنى
عن أهلى ومسقط رأسى فى البلاد لأصالح الخلق والعباد مدة عشرين سنة وستة
شهور ثم بسط على بهيمة من بهائم البحر المسجور ، فكف الناس عن السلاح
وأقبل الطالع نحو السد حتى علاه وارتفع عليه رمية سهم ثم قال : أيها الملك
أنا ساكن هذا البحر وقد رأيت هذا المكان مسدودا سبع مرات وفى وحى
الله عز وجل أن ملكا عصره عصرك ، وصورته صورتك ، وصوته صوتك ،
واسمه اسمك ، يسد هذا الثغر سدا مؤبدا فأحسن الله معونتك وأجزل مثوبتك
ورد غربتك وأحسن أوتى فانت ذلك الملك الهمام عليك من الله السلام .
ثم غاب عن بصره فلم يعلم كيف ذهب .

ولیکن هذا آخر الكلام على البحار والجزائر والعجائب .

فصل فى ذكر المشاهير من الأنهار وعجائبها

قيل : إن الأمطار والثلوج إذا وقعت على الجبال تنصب إلى مغارات
بها وتبقى مخزونة فيها فى الشتاء فان كان فى أسافل الجبال منافذ ينزل الماء من
تلك المنافذ فيحصل منها الجداول وينضم بعضها إلى بعض فتحدث منها الأنهار
والغدران والأودية فان كانت المغارات التى هى الخزانات لهذه المياه فى أعالي

الجليل استمر جريانه أبداً من غير انقطاع لأن المياه تنصب إلى سفح الجبل ولا تنقطع لاتصال الامتداد من الأمطار والثلوج ، وإن انقطعت لانقطاع المدد بقيت المياه بها واقفة كما ترى في الأودية من الغدران التي تجري في وقت وتنقطع في وقت .

قال بطليموس في كتاب جغرافيا: إن بهذا الربع المسكون مائة نهر طول كل نهر منها من خمسين فرسخاً إلى ألف فرسخ . فمنها ما يجري من المشرق إلى المغرب . ومنها ما يجري بالعكس . ومنها ما يجري من الشمال إلى الجنوب . ومنها ما يجري بالعكس . وكلها تبتدى من الجبال وتنصب في البحار بعد ارتفاع العالم بها وفي ضمن عمرها تتصور بطائح وبحيرات فإذا صبت في البحر المالح وأشرقت الشمس على البحار فنصعد إلى الجوب بخاراً ثم تنعقد غيوماً وأودية كالدولاب الدائر فلا يزال الأمر كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله فسيحان المدبر لمملكته بيدائع حكمته لا إله إلا هو .

فأول ما نبداً بذكره (نهر أثل) وهو نهر عظيم في بلاد الخزر يقارب دجلة وبحيته من أرض الروس وبلغار ومصبه في بحر الخزر وقد ذكر الحكماء أنه يتشعب من هذا النهر خمس وسبعون شعبة كل شعبة منها نهر عظيم وعموده لا يتغير ولا ينقص ذرة لغزارة مائه وقوة امتداده فإذا انتهى إلى البحر يجري فيه يومين ولونه بائن من لون البحر ثم يختلط ويحمد في الشتاء لعذوبته وفي هذا البحر حيوانات عجبية .

حكى أحمد بن فضلان رسول المقتدر من خلفاء بني العباس إلى بلغار قال : لما دخلت بلغار سمعت أن عندهم رجلاً عظيماً في الخلة فسألت الملك عنه فقال نعم : ما كان من بلادنا ولكن قوم خرجوا إلى نهر أثل وكان قد مد وطغى ثم أتوا وقالوا أيها الملك إنه قد طغى على وجه الماء رجل كأنه من أمة بالقرب منا فإن كان ذلك فلا مقام لنا فركبت معهم حتى سرت إلى النهر فإذا برجل طوله اثنا عشر ذراعاً ورأسه كأ كبير ما يكون من القدور وأنفه نصف ذراع وعينه عظيمتان وكل أصبع أطول من شبر فأخذنا نكلمه

وهو لا يزيد على النظر إلينا فحملته إلى مكانى وكتبت إلى راسوا كتابا وبيننا وبينهم ثلاثة أشهر استخبرهم عن أمره فعرفوني أن هذا الرجل من يا جوج وما جوج وقالوا إن البحر يحول بيننا وبينهم فأقام بين أظهرنا مدة ثم اعتل فمات .
(نهر أذربيجان) قال صاحب المسالك والممالك الشرقية إن هذا البحر يجرى ماؤه ويستحجر فيصير صفائح صخر فيستعملونه فى البناء .

(نهر اشعار) قال صاحب تحفة الغرائب إن هذا النهر يخرج من موضع يقال له فج عروس و يفيض تحت الأرض ثم يخرج من مكان بعيد ثم يفيض ثانيا بين أرض منادرة وبطليوس ويخرج وينصب فى البحر

(نهر جيحون) قال الاصطخرى : نهر جيحون يخرج من حدود بدخسان ثم تنضم إليه أنهار كثيرة من حدود الجبل ودخس فيصير نهرا عظيما ويمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم ولا ينتفع به شئ من البلاد فى عمره إلا خوارزم ثم ينصب فى بحيرة خوارزم التى بينها وبين خوارزم ستة أيام . وهذا النهر يجمد فى الشتاء عند قوة البرد فيصير قطاعا ، ثم تصير القطع قطاعا على وجه الماء حتى يلصق بعضها ببعض إلى أن تصير سطحاً واحداً على وجه الماء ويشخن حتى يصير سمك ذراعين أو ثلاثة أذرع ويستحكم حتى تعبر عليه العجلات والقوافل المحملة ، ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق . والماء يجرى تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم بالمعاول آبارا يستقون منها ويبقى كذلك شهرين فإذا انكسر البرد تقطع قطاعا كما بدأ أول مرة ويعود إلى حاله الأول وهو نهر قتال قل أن ينبجو منه غريق .

(نهر حصن المهدي) قال صاحب تحفة الغرائب : هو بين البصرة والاهواز وهو نهر كبير ويرتفع منه فى بعض الاوقات منارة يسمع منها أصوات كالطبل والبوق ثم تغيب ولا يعرف شأن ذلك .
(نهر خزلج) وهو بأرض الترك وفيه حيات إذا وقعت عين ابن آدم عليها يغشى عليه .

(دجلة) هي نهر بغداد مخرجه من أصل جبل بقرب آمد عند حصن ذى القرنين وكلما امتد انضم إليه مياه جبال ديار بكر وآمد يخاض فيه بالدواب ويمتد إلى مياقارقين وإلى حصن كيفا وإلى جزيرة ابن عمر وإلى الموصل وتنصب فيه الزيادات ومنها يعظم أمره ويستمر ممتدا إلى بغداد إلى واسط إلى البصرة وينصب في بحر فارس وماء دجلة أعذب المياه وأكثرها نفعا لأن ماءه من مخرجه إلى مصبه جار في العمارات .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أوحى الله عز وجل إلى دانيال عليه السلام أن أجر لمصالح عبادى نهرأ واحمل مصبه في البحر فقد أمرت الأرض أن تطيعك قال فأخذ خشبة فجرها في الأرض والماء يتبعه وكلما مر بأرض يقيم أو أرملة أو شيخ ناشده الله فيجيد عنهم وهو الدجلة وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه .

وحكى أنهم وجدوا فيه غريقا فأخذوه فاذا فيه رmq فلما رجعت روحه إليه سألوه عن مكانه الذى وقع منه فأخبرهم فكان من موضع وقوعه إلى موضع نجاته خمسة أيام .

(نهر الذهب) وهو بأرض الشام وبلاد حلب زعم أهل حلب أنه وادى بطنان ومعنى قولهم نهر الذهب أن جميعه يباع أولا بالميزان ، وآخره بالكيل . فان أوله تزرع عليه الحبوب والبزور ، وآخره ينصب إلى بطيحة فرسخين في فرسخين فينقذ ملحا .

(نهر الرس) بأذربيجان وهو شديد الجرى وبأرضه حجارة بعضها ظاهرة وبعضها مغطاة بالماء ولهذا السبب لا تجرى فيه السفن وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه .

حكى : ديسم بن ابراهيم صاحب أذربيجان قال كنت بجتازا على قنطرة الرس بعسكرى فلما صرت بوسط القنطرة رأيت امرأة ومعها طفل في قاطه إذ صدمتها دابة فانقلب الطفل من يدها إلى الماء فما وصل إلى الماء إلا بعد زمان لبعد ما بين ظهر القنطرة ووجه الماء ثم غاص الطفل وطفأ على وجه

الماء وسلم من تلك الأحجار والقرايص وجرى مع الماء والام تصيح وللعقبان أوكار على حروف النهر فأرسل الله عز وجل عقاباً منها فانقض على الطفل ورفع به بمقاطه وخرج به إلى الصحراء فصحت بأصحابي إليه فركضوا في أثر العقاب فاذا العقاب قد اشتغل بحمل القماط فلما أدركوه وصاحوا عليه طار العقاب وترك الطفل فوجدوه سالماً موقى فردوه إلى أمه وهو ساكت .

(نهر الزاب) وهونهر بين الموصل وأربل يبتدى من أذربيجان وينصب في دجلة يقال له الزاب المجنون لشدة جريه قال القزويني شربت من مائه في شدة القيظ فاذا هو أبرد من الثلج والبرد وذلك لشدة جريه وعدم تأثير الشمس فيه .

(نهر زمرود) وهو بأصبهان موصوف بالطاقة والعذوبة يغسل فيه الثوب الخشن فيعود أنعم من الخز والحرير وهو يخرج من قرية يقال لها ماكان ويعظم بانضمام الماء إليه عند أصبهان ويسقى بساتينها ورساتيقها ثم يفر في رمل هناك ويظهر بكرمان ويمر وينصب في بحر الهند . ذكروا أنهم أخذوا قصبة وعلبوا وأرسلوها في موضع غوران الماء فخرجت بكرمان (نهر سبحة) وهو نهر بين حصن منصور ويكسوم لا يتبأ خوضه لأن قراره رمل سيال وعلى هذا النهر قنطرة وهي إحدى عجائب الدنيا لأنها عقد واحد من الشط إلى الشط مقدار مائتي خطوة من حجر صلد مهندم طول كل حجر عشرة أذرع .

وحكى : أن عند أهل تلك البلدة بالأرض لوحاً عليه طلسم فاذا انعاب من تلك القنطرة مكان أدلوا ذلك اللوح إلى موضع العيب فينزل الماء عنه ويحيد فيتصلح ذلك الموضع بلا مشقة ويرفع اللوح فيعود الماء إلى مكانه .

(نهر سلق) بأفريقية الغرب وهو نهر كبير يجرى فيه الماء بند كل ستة

أيام يوماً واحداً وهذا دأبه دائماً وقيل هو نهر صقلاب .

(نهر طبرية) هو نهر عظيم والماء الذي يجري فيه نصفه بارد ونصفه حار فلا يختلط أحدهما بالآخر فإذا أخذ من الماء الحار في إناء وضربه الهواء صار بارداً .

(نهر العاصي) هو نهر حماة وحمص مخرجه من قدس ومصبه في البحر بأرض السويدية من أنطاكية وسمى العاصي لأن أكثر الأنهار هناك تتوجه نحو الجنوب وهذا يتوجه نحو الشمال .

(نهر الفرات الأعظم) هو نهر عظيم عذب طيب ذوهية مخرجه من أرمينية ثم يمتد إلى قالى قلا بالقرب من خلاط ، وإلى ملطية ، وإلى شيمصات وإلى الرقة ثم إلى غانة إلى هيت فيسقى هناك المزارع والبساتين والرسائق ثم ينصب بعضه في دجلة وبعضه يسير إلى بحر فارس .

(والفرات فضائل كثيرة) روى وأن أربعة أنهار من أنهار الجنة سيحون وجيحون والنيل والفرات .

وعن علي رضي الله عنه قال : يا أهل الكوفة إن نهركم هذا ينصب إليه ميزابان من الجنة .

وروى عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه شرب من ماء الفرات ثم استزاد وحمد الله تعالى وقال : ما أعظم بركتته لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب ما انغمس فيه ذو عاهة إلا برئ .

وعن السدي أن الفرات مد في زمن عمر رضي الله عنه فألقى رمانة عظيمة فيها كرم من الحب فأمر المسلمين أن يقسموها بينهم وكانوا يرون أنها من الجنة .

(نهر القورج) هو نهر بين القاطول وبغداد وكان سبب حفره أن كسرى أنوشروان ملك الفرس لما حفر القاطول أضرب أهل الأسافل فخرج أهل تلك النواحي للتظلم فرأهم فتنى رجله على دابته ووقف وكان قد خرج

منزها فقال بالفارسية ما شأنكم أيها المساكين قالوا لقد جئناك متظلمين قال
عنهم ؟ قالوا من ملك الزمان كسرى أنوشروان فنزل عن دابته وجلس على
التراب وقال بالفارسية : زنهاري مسكينان فألقى بشيء ليجلس عليه فأبى
وأدناهم منه ونظر إليهم وبكى وقال : قبيح وعار على ملك يظلم المساكين
ما ظلامتكم ؟ قالوا يا ملك الزمان حفرت القاطول فانقطع الماء عنا وقد بارت
أراضينا وخربت . فدعا كسرى بموذيانه وقال له ماجزاء ملك أضرب برعيتي من
غير قصد ؟ قال الموذيان جزاؤه أن يجلس على التراب كما فعل ملك الزمان
ويرجع عن الخطأ إلى الصواب وإلا سخطت عليه النيران فقال : قد رجعت عما
وقعت فيه فهل ترضون بسد ما حفرت قالوا : لا نكلف الملك ذلك . قال : فما
تريدون ؟ قالوا مرنا أن نجري من القاطول نهراً لنحيا أرضنا فقال لا أكلفكم
ذلك ثم أمر أصحابه وجنوده بالإقامة في مجلسه وقال : لا أبرح من مكاني حتى
أرى نهراً يجري دون القاطول يسقي أراضى هؤلاء المساكين والجاني أولى
بالخسارة فما أبرح من مكانه ذلك حتى أجرى لهم نهراً دون القاطول بناحية
القورج وساقوا الماء إلى أراضيتهم وعمرت وسقوا منها أنفسهم ومواشيهم
فهذا كان عدله في رعيتيه وهو كافر يعبد النيران .

(نهر الكر) هو بين أرمينية وأزال وهو نهر مبارك وكثيراً ما ينبجو
غريقه قال بعض فقهاء نقجوان وجدنا غريقاً في الكر يجري به الماء فبادر
القوم إليه فأدركوه على آخر رمق فلما رجعت إليه روحه قال في أي موضع
أنا ؟ قالوا في نقجوان قال إني وقعت في الموضع الفلاني فإذا مسيرة ذلك
المكان ستة أيام فطلب منهم طعاماً فذهبوا ليأتوه به فانقض عليه جدار فمات
(نهر مهران) وهو بالسند عرضه عرض جيحون يجري من المشرق إلى
المغرب ويقع في بحر فارس قيل إنه يخرج من جبل يخرج منه بعض أنهار
جيحون وهو نهر عظيم فيه تماسيح كتيل مصر إلا أنها أضعف وأصغر وهو
يمتد على الأرض ويزرع عليه كما يزرع على النيل وينقص ويزيد كالنيل حذو

النمل بالنمل ولا يوجد التماسح قط إلا بنهر مهران والنيل .
 (نهر مكران) هو نهر عظيم عليه قنطرة قطعة واحدة من عبر عليها
 يتقايأ جميع ما في بطنه ولو كانوا ألوفا وإن وقفوا عليه زمانا هلكوا من القى .
 (نهر اليمن) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض اليمن نهر من طلوع
 الشمس يجرى من المشرق إلى المغرب . ومن غروب الشمس يجرى من
 المغرب إلى المشرق .

(نهر هند مند) وهو بسبجستانه ينصب فيه ألف نهر ولا يتبين فيه
 زيادة ويتشعب منه ألف نهر ولا يظهر فيه نقصان بل هو في الحالين سواء .
 (نهر العمود) وهو بالهند عليه شجرة باسقة من حديد وقيل من نحاس
 وتحتها عمود من جنسها ارتفاعه عشرة أذرع وفي رأس العمود ثلاث شعب
 غلاظ مستوية محددة كالسيوف وعنده رجل يقرأ كتابا ويقول للنهر
 يا عظيم البركة وسيل الجنة أنت الذى خرجت من عين الجنة فطوبى لمن
 صعد على هذه الشجرة وألقى نفسه على هذا العمود فيصعد بمن حوله رجل
 أو رجال فيلقون أنفسهم على ذلك العمود ويقعون في الماء فيدعوا لهم أهلهم
 بالمصير إلى الجنة .

(وفي الهند نهر آخر) ومن أمره أن يحضره رجال بسيوف قاطعة فإذا
 أراد الرجل من عبادهم أن يتقرب إلى الله تعالى بزعمهم أخذوا له الحل والحلل
 وأطواق الذهب والأسورة بالكثرة ويخرجون به إلى هذا النهر فيطرحونه
 على الشط فيأخذ أصحاب السيوف ما عليه من الزينة والأطواق والأسورة
 ويضربونه بالسيوف حتى يصير قطعتين فيلقون نصفه في مكان ونصفه في
 مكان آخر بالبعد عنه ويزعون أن هذا النهر وما قبله خرجا من الجنة .

(نهر النيل المبارك) ليس في الدنيا نهر أطول منه لأنه مسيرة شهرين
 في الاسلام وشهرين في الكفر وشهرين في البرية وأربعة أشهر في الخراب
 ومخرجه من بلاد جبل القمر خلف خط الاستواء ويسمى جبل القمر لأن القمر

لا يطلع عليه أصلا لخروجه عن خط الاستواء وميله عن نوره وضوئه يخرج من بحر الظلمة ويدخل تحت جبال القمر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وإن النيل يخرج من الجنة ولو التستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها .

وكان عبقام وهو هرمس الأول قد حملته الشياطين إلى هذا الجبل المعروف بالقمر ورأى النيل كيف يخرج من البحر الأسود ويدخل تحت القمر وبني في سفح ذلك الجبل قصرا فيه خمسة وثمانون تمثالا من نحاس جعلها جامعة لما يخرج من الماء من هذا الجبل معاهد ومصاب في إحكام مدبرة يجرى الماء منه إلى تلك الصور والتماثيل فيخرج من حلقها على قياس معلوم وأذرع معدودة فتصب إلى أنهار كثيرة فيتصل بالبطيحين ويخرج منها حتى يصل إلى البطيحة الجامعة وعلى هذه البطيحة بلاد السودان . ومدينتها العظمى (طرمي) وبالبطيحة جبل معترض يشقها ويخرج نحو الشمال مغربا ويخرج النيل منه نهرا واحدا ويفترق في أرض النوبة ففرقة إلى أقصى المغرب وعلى هذه الفرقة غالب بلاد السودان والفرقة التي تنصب إلى مصر منحدره من أرض أسوان تنقسم في بحرى البلاد على أربع فرق كل فرقة إلى ناحية ثم تنصب في بحر الاسكندرية ويقال إن ثلاثة منها تنصب في البحر الشامى وفرقة تنصب في البحيرة الملحة التي تنتهى إلى الاسكندرية والأذرع التي صنعها عبقام هي ثمانية عشر ذراعا كل ذراع اثنتان وثلاثون أصبعا وما زاد على ذلك فهو سائر إلى رمال وغيابر لا منفعة فيها ولولا ذلك لفرقت البلاد .

وذكروا أن سيحون وجيحون والنيل والفرات كلها تخرج من قبة من زبرجدة خضراء من جبل عال هناك وتسلك على البحر المظلم وهي أحلى من العسل وأذكى رائحة من المسك ولكنها تتغير بتغير المجارى وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال ويمد في شدة الحر حتى تنقص له الأنهار كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل . وسبب مده أن الله تعالى

يبعث عليه الريح الشمالى فتغلب عليه من البحر المالح فيصير كالسكر له فيزيد حتى يعم البلاد فاذا بلغ حد الرى بعث الله عليه ريح الجنوب فأخرجته إلى البحر ، ولما كان زمن يوسف عليه السلام اتخذ بمصر مقياسا يعرف به مقدار الزيادة والنقصان فاذا زاد على قدر الكفاية يستبشرون بنحسب البلاد وهو عمود قائم في وسط بركة على شاطئ النيل ولها طريق يدخل إليها منها الماء وعلى ذلك العمود خطوط معروفة بالأصابع والأذرع ، وكانت كفايتهم في ذلك الوقت أربعة عشر ذراعا فاذا استوى الماء كما ذكرنا في الخلدجان والوهاد يملأ جميع أرض مصر فاذا استوفت الأرض ربيها انكشفت تربتها وزرع عليها أصناف الزرع وتكتفى بتلك الشربة الواحدة وليس في الدنيا نهر يشبهه إلا نهر الملتان وهو نهر السند . شعر في المعنى :

إن مصرا لأطيب الأرض طرا ليس في حستها البديع التباس
وإذا قستها بأرض سواها كان بيني وبينك المقياس

وحكى : أن رجلا من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام يسمى جايدا ، لما دخل مصر ورأى عجائبتها آلى على نفسه أن لا يفارق ساحل النيل إلى منتهاه أو يموت فسار ثلاثين سنة في العامر وثلاثين سنة في الخراب حتى انتهى إلى بحر أخضر فرأى النيل يشق ذلك البحر ، وأنه ركب دابة هناك سخرها الله له فعدت به زمانا طويلا وأنه وقع في أرض من حديد جبالها وأشجارها حديد ، ثم وقع في أرض من نحاس جبالها وأشجارها نحاس ، ثم وقع في أرض من فضة جبالها وأشجارها فضة ، ثم وقع في أرض من ذهب جبالها وأشجارها ذهب ، وأنه انتهى في مسيره إلى سور مرتفع من ذهب وفيه قبة عالية من ذهب لها أربعة أبواب والماء ينحدر من ذلك السور ويستقر في تلك القبة ، ثم يخرج من الأبواب الأربعة فيها ثلاثة تفيض في الأرض والرابع يجري على وجه الأرض وهو النيل والثلاثة سيحون وجيحون والفرات ، وأنه أتاه ملك حسن الهيئة ، فقال له

السلام عليك يا جايد هذه الجنة ، ثم قال له إنه سيأتيك رزق من الجنة فلا تؤثر عليه شيئا من الدنيا ، فبينما هو كذلك إذ أتاه عنقود من العنب فيه ثلاثة ألوان لون كاللؤلؤ ولون كالزبرجد الأخضر ولون كالياقوت الأحمر ، فقال له الملك : يا جايد هذا من حصرم الجنة فأخذه جايد ورجع ، فرأى شيخا تحت شجرة من تفاح خدته وآنسه ، وقال له يا جايد : ألا تأكل من هذا التفاح ، فقال : إن معي طعاما من الجنة وإني لمستغن عن تفاحك ، فقال له : صدقت يا جايد إني لأعلم أنه من الجنة ، وأعلم من أنك به وهو أخى وهذا التفاح أيضا من الجنة ولم يزل به ذلك الشيخ حتى أكل من التفاح وحين عض على التفاحة رأى ذلك الملك وهو يعض على أصبعه ، ثم قال له أتعرف هذا الشيخ قال لا ، قال هو والله الذى أخرج أباك آدم من الجنة ولو قنعت بالعنقود الذى معك لأكل منه أهل الدنيا ما بقيت الدنيا ولم ينفد وهو الآن بمجهودك إلى مكانك ، قال فبكى جايد وندم وسار حتى دخل مصر وجعل يحدث الناس بما رأى في مسيره من العجائب .

(بحيرة تنيس) قيل إنها كانت جنات عظيمة وبساتين وكانت مقسومة بين ملكين أخوين من ولد إتريب بن مصر ، وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافرا فأنفق المؤمن ماله في وجوه البر والخير حتى إنه باع حصته في الجنات والبساتين إلى أخيه الكافر فزاد فيها ألفا من الجنات والبساتين وأجرى خلالها أنهارا عذبة فاحتاج أخوه المؤمن إلى ما في يده فمنعه وسبه وجعل يفتخر عليه بماله ويقول له أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، فقال له أخوه المؤمن إني ما أراك شاكرًا لله تعالى ويوشك أن ينتزعها منك ، فقال هذا كلام لا أسمعه ومن ينتزع مني ذلك فعدا المؤمن عليه بغاء البحر وأغرق ذلك كله في ليلة واحدة حتى صارت كأن لم تكن . وقد ورد في الكتاب العزيز ذكر قصتها في سورة الكهف في قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زراعاً ﴾ إلى قوله

(خير ثوابا وخير عقبا) وكان لتيس مائة باب ويقال إن هذه البحيرة تصير عذبة ستة أشهر، ثم تصير ملحا أجاجا ستة أشهر وهذا دأبها أبدا بإذن الملك القادر .
(وبمدينة قلوب بحيرة) ظهر بها في ستة من السنين نوع من السمك كانت عظامها ودهنها تضيء في الليل المظلم كالسراج من أخذ من عظامها عظمة في يده أضاءت معه كالشمعة الرائقة إلى منزله وحيث شاء وأغنت الناس عن إيقاد السرج في بيوتهم وإذا دهن بدهنها أصبعا من أصابعه فكذلك تضيء أصبعه كالسراج الوهاج حتى حكى أن بعض الناس تلوثت أصابعه من ذلك الدهن فمسح بها في حائط بيته فبقي أثر الدهن في الحائط فكان ذلك الأثر يضيء في الحائط كأربع شمعات ثم انقطع بجيء ذلك النوع من السمك فلم يوجد بها شيء منها إلى يومنا هذا .

(نهر الرمل) هو نهر في أقصى بلاد المغرب جار كالأنهار لا ينقطع جريانه ومن نزل فيه هلك ، ويقال إن ذا القرنين وصل إليه ورآه ونظر إلى الرمل وجريانه فبينما هو ناظر إليه إذ انكشف الرمل وانقطع الجريان فأمر أناسا من أصحابه أن يعبروا فيه فعبروا ولم يعودوا إليه وهلكوا فنصب ذو القرنين هناك شخصا قائما كالمنارة من النحاس الأصفر وأحكمه وكتب عليه ليس وراء هذا شيء فلا يتجاوزوه أحد . وليكن هذا آخر الكلام على ذكر الأنهار وعجائبها :

فصل في عجائب العيون والآبار

(منها عين أذربيجان) قال في كتاب تحفة الغرائب: قيل يأخذون قالب لبن فيمكن في الأرض ويصب فيه ماء هذه العين ويصبرون عليه مقدار ساعة فيصير الماء لبنا من حجر صلد ويبنون به ما شاءوا وأرادوا .

(وعين بقرية من قرى قزوين) تسمى ادرند بهسند إذا شرب الإنسان

منها حصل له إسهال مفرط ويمكن الانسان أن يشرب من ذلك الماء عشرة أرتال لحفته وعذوبته وإذا حل ذلك الماء إلى خارج حد تلك القرية بطلت الخاصية .

(عين باذخاني) قال صاحب تحفة الغرائب بدامغان قرية تسمى كبرا بها عين تسمى باذخاني إذا أراد أهل هذه القرية هبوب الريح أخذوا خرقة حيض ووضعوها في العين فتتحرك الرياح ، ومن شرب من مائها ولو جرعة انتفخ بطنه كالطبل ، ومن حل ذلك إلى مكان آخر انعقد حجرا .

(عين ابلانستان) قال صاحب تحفة الغرائب : ابلانستان قرية بين جرجان واسفرين فيها عين تسمى بها ينبع منها ماء كثير فينتفع بمائها خلق كثير وتقطع في بعض الأوقات شهرا فيخرج أهل تلك الأرض رجالها ونساؤها في أحسن زينة وأجل هيئة بالدفوف والصنوج والشبابات وأنواع الملاهي وبرقصون عند تلك العين ويلعبون : ويضحكون فلا يرجعون إلا وقد مدت العين بالماء الكثير مقدار ما يدير رحلين .

(عين باميان) قال في كتاب تحفة الغرائب : بأرض باميان عين ينبع منها ماء كثير بصوت عظيم وجلبة ويشم منها رائحة الكبريت من اغتسل من مائها زال عنه الحكة والجرب والدمامل ، وإذا جعل في إناء من مائها وسد الاناء سدا محكما وترك يوما صار كالطين وإن قرب من النار اشتعل والتهب .

(عين جاج) قال صاحب تحفة الغرائب : بقرب جاج عقبة على رأسها عين ماء إذا كانت السماء صاحية لا يرى فيها قطرة ماء وإذا كانت السماء مغيمة تراها مملوءة طالفة . وبناحية باميان جبال فيها عيون لا تقبل أبدا شيئا من النجاسات وإذا ألقي فيها أحد شيئا من النجاسات هاج الماء وعلا وفار فان لحق الذي ألقيها أغرقه .

(عين زغر) وهي طرف البحيرة المنتنة بالشام بينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام ، وزغر اسم ابنة لوط عليه السلام وهي العين التي أوردنا ذكرها

في حديث الجساسة والدجال وغورانها من علامات الساعة .

(عين سياه سنك) قال في تحفة الغرائب : بجرجان موضع يسمى سياه سنك به عين على تل يأخذ الناس منها الماء للشرب وهو عذب طيب وفي الطريق إلى العين دودة معروفة بين أهلها فمن أخذ من ذلك الماء وأصاب رجله تلك الدودة وهو ذاهب بالماء صار الماء مرا علقما فيرقه ويمضي إلى الماء ثانيا .
(عين الأوقات) وهي بالمغرب لا تجرى إلا في أوقات الصلوات الخمس في أولها ثم تنقطع ولبثه بقدر ما يتوضأ الناس .

(عين شيرم) وهي بين أصفهان وشيراز ، بها مياه مشهورة وهي من عجائب الدنيا وذلك أن الجراد إذا نزلت ووقعت بأرض يحمل إليها من تلك العين ماء في ظرف أو غيره فيتبع ذلك الماء طيور سود تسمى السمرم ويقال لها السودانية بحيث أن حامل الماء لا يضعه إلى الأرض ولا يلتفت وراءه فتبقى تلك الطيور على رأس حامل الماء في الجوكالسحابة السوداء إلى أن يصل إلى الأرض التي بها الجراد فتصبح الطيور عليها وتقتلها فلا ترى من الجراد متحركاً بل يموتون من أصوات تلك الطيور إذا سمعوها .

(عين شيركيران) وهي من قرى مراغة فيها عينان تغوران ماء إحداهما بارد عذب والآخر حار مالح وبينهما مقدار ذراع .

(عين العقاب) قال صاحب تحفة الغرائب : بأرض الهند عين برأس جبل إذا هرم العقاب وضعف تأتي به أفراخه وتحمله إلى تلك العين وتفصله فيها ثم تضعه في شعاع الشمس فيسقط ريشه وينبت له ريش جديد ويذهب مره وضعفه وترجع إليه قوته وشبابه .

(عين غرناطة) قال الأندلسي : بقرب غرناطة كنيسة عندها عين ماء وشجر زيتون يقصدها الناس في يوم معلوم من السنة فإذا طلعت الشمس في ذلك اليوم فاضت تلك العين ثم يظهر على تلك الشجرة زهر الزيتون ثم ينعد الزيتون في الحال والوقت ويكبر ويسود في يومه ذلك ويأخذه الناس

وبأخذون من ماء تلك العين كل أحد بمقدرته ثم يدخرون ذلك الزيتون والماء للتداوى ولذلك فيما بينهم منافع عظيمة .

(عين غزنة) وبقرّب مدينة غزنة عين إذا ألقى فيها شيء من القاذورات والنجاسات يتغير الهواء في الحال ويظهر البرد والريح العاصف والمطر والثلج فيبقى ذلك الحال حتى تزول عنها تلك القاذورات . وزعموا أن السلطان محمود ابن سبكتكين السلجوقي تغمدّه الله برحمته لما أراد فتح غزنة كان كلما قصدّها ألقى أنّها في العين شيئاً من القاذورات فتقوم القيامة لشدة الريح والبرد والمطر فيرجع بعسكره بغير قصد كالمكسور فصلى ليلة من الليالي ودعا ، فقال إلهي إن كان قصدي في فتح هذه البلاد حصول الدنيا فإني أعزى عن ذلك وخذ بناصيتي إلى الخير ، وإن كان قصدي الثواب والأجر والآخرة وتقوية شوكة الاسلام فاجعل لي إلى فتح هذه المدينة سيلاً وأرح عبادك المسلمين المجاهدين في سبيلك ، ثم سجد سجدة ونام في سجوده ووجهه على الثرى فأتاه آت وغاطبه بكلام مبين قائلاً : يا ابن سبكتكين إن رمت الخلاص من هذه المحنة فأرسل جنوداً لحفظ العين ، وقد افتتحت غزنة فسعيك مشكور وفعلك مبرور ، فانتبه وأرسل مقدماً لحراسة تلك العين ، ثم زحف على غزنة فافتتحها كطرفة عين .

(عين الفرات) بقرب أردن الروم من اغتسل من مائها أيام الربيع أمن من أمراض تلك السنة .

(عين نهاوند) قال صاحب تحفة الغرائب : بالقرب من نهاوند عين في شعب جبل وتحت الشعب وطأة فكل من احتاج إلى الماء ليسقي أرضه مشى إلى العين ودخل الشعب وهو يقول بصوت عال أنا محتاج إلى الماء ثم يغمس رجله في العين ويمشي نحو زرعه والماء يمشي خلفه حتى يسقي أرضه فإذا انقضت حاجته يرجع إلى الشعب وهو يقول قد اكتفت أرضي ورجعت أجري ، ثم يضرب برجله الأرض فينقطع الماء عنه وهذا دأب الماء ودأب

أهل تلك الأرض . وهذه من أعجب العجائب . وليكن هذا آخر الكلام على عجائب العيون .

فصل في الآبار وعجائبها

(بئر أبي كود) بقرب طرابلس من شرب من مائها تحمق وهو مثل يقال بينهم للأحق : شرب من بئر أبي كود .

(بئر بابل) قال الأعمش كان مجاهد يحب أن يسمع الأعرابي ويقصدها وكان لا يسمع بشيء من ذلك إلا توجه إليه وعائنه فأتى بابل فلقبه الحجاج فقال له : ما تصنع ههنا ؟ قال أريد أن تسيرني إلى رأس الجالوت وأن تريني موضع هاروت وماروت فأمر به فأرسل إلى رجل من أعيان اليهود وقال اذهب بهذا فأدخله على هاروت وماروت ولينظر إليهما فانطلق به حتى أتى موضعاً فرفع صخرة فإذا هو شبه سرداب فقال له اليهودي : انزل معي وانظر إليهما ولا تذكر اسم الله تعالى قال مجاهد : فنزل اليهودي ونزلت معه ولم نزل نمشي حتى نظرت إليهما وهما كالجليلين العظيمين منكوسين على رؤوسهما والحديد في أعناقهما إلى ركبتيهما فلما رأهما مجاهد لم يملك نفسه أن ذكر اسم الله تعالى قال فاضطربا اضطراباً شديداً حتى كادا يقطعان ما عليهما من الحديد فهرب مجاهد واليهودي حتى خرجا فقال اليهودي لمجاهد أما قلت لك لا تفعل كدنا والله نهلك .

قال المفسرون : إن رجلاً أراد أن يتعلم السحر فأتى أرض بابل ودخل عليهما فقال لا إله إلا الله فاضطربا اضطراباً شديداً وقالوا له ممن أنت ؟ قال من بنى آدم ، قالوا من أى الأمم ؟ قال أمة محمد ، قالوا أو بعث محمد ؟ قال نعم ، فاستبشرا بذلك وفرحا ، فقال الرجل لم تفرحان ؟ قالوا قد قرب فرجنا فإن محمداً نبي الساعة وقد قربت . قال لهما أريد أن أتعلم السحر ؟ قالوا له اتق الله ولا تكفر قال لا بد من ذلك فعاوداه ثلاثاً فلم يرجع فقالا له امض إلى ذلك

التور قبل فيه . قال ففعل فخرج منه نور حتى صعد إلى السماء ونزل دخان أسود فدخل في فيه فقال له فعلت ؟ قال نعم : قال فما رأيت ؟ فأخبرهما فقال أحدهما النور الذي خرج منك هو نور الايمان . وقال الآخر الدخان الذي دخل فيك هو ظلمة الكفر اذهب فقد علمت .

وحكى : أن امرأة جاءت إلى عائشة رضى الله عنها بأكية تطلب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجده فقالت لها عائشة مم تبكين ، وما الذى تريد مني منه ؟ قالت : أريد أن أسأله عن شيء في السحر . فقالت وما هو ؟ قالت إن زوجي سافر عني وغاب مدة طويلة فجاءت امرأة إلى وقالت : أتريد مني بكمشين . قلت نعم ، قالت فاعمل بما أقول لك . قلت نعم : فغابت وأتتني بكشين عند العشاء أسودين فركبت واحداً وأركبتني الآخر فلم نلبث إلا قليلاً حتى دخلنا على هاروت وماروت . فقالت لهما إن هذه المرأة تريد أن تتعلم السحر فقالا لها انتقي الله ولا تكفري وارجمي ، فأبيت وقلت لا بد من ذلك فأعاد علي ثلاثاً فأبيت وقلت لا بد من ذلك . فقالا اذهبي فبولي في ذلك التور قالت : فذهبت ووقفت على التور فأدركني خوف الله تعالى فلم أفعل ورجعت إليهما فقالا فعلت ؟ قلت نعم . قالا فما الذى رأيت ؟ قلت لم أر شيئاً قالوا لم تفعل شيئاً اذهبي فبولي في التور فذهبت فقالا ما رأيت ؟ قلت لم أر شيئاً قال اذهبي فافعلي . قالت فذهبت وأنا أرتعد ففعلت فخرج مني فارس مقنع بحديد فصعد إلى السماء فرجعت إليهما وأخبرتهما قالوا فذلك الايمان خرج من قلبك اذهبي فقد تعلمت فخرجت أنا والمرأة وقلت لها والله ما قالوا لي شيئاً قالت بلى تعلمت خذى هذه الحنطة فابشريها فبذرتها فنبتت قالت افركي وفركت قالت اطحنى فطحنى قالت اخبزي فخبزت ووالله لم أفعل بعد ذلك شيئاً أبداً .

(بئر بدر) وهى بين مكة والمدينة في الموضع الذى كانت فيه وقعة بدر بين النبي صلى الله عليه وسلم وكفار قريش ورمى منهم جماعة في القليب وهو هذا البئر .

حكى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أنه رأى في اجتيازه هناك شخصا مشوها خرج من البئر هاربا وخرج في أثره آخر ومعه سوط يلتهب نارا فصاح به وضربه ورده إلى البئر وأنا أنظر إليهما .

(بئر برهوت) وهى بقرب حضرموت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فيها أرواح الكفار والمنافقين وهى بئر عادية فى فلاة مقفرة وواد مظلم . وعن على رضى الله عنه أنه قال : أبغض البقاع إلى الله برهوت فيه بئر ماؤها أسود منتن تأوى إليه أرواح الكفار .

حكى الأصمعى عن رجل من أهل الخير : أن رجلا من عظماء الكفار هلك فلما كان فى تلك الليلة مررت بوادى برهوت فشمنا ريحا لا يوصف تنه على خلاف العادة فعلنا أن روح ذلك الكافر الهالك قد نقلت إلى البئر .

وروى بعضهم قال : بت بوادى برهوت فكنت أسمع طول الليل قائلا يتادى يادومة يادومة إلى الصباح فذكرت ذلك لرجل من أهل العلم فقال دومة هو اسم الملك الموكل بتلك البئر لتعذيب أرواح الكفار .

(بئر قضاة) وهى بالمدينة الشريفة ، روى : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بئر قضاة فتوضأ من الدلو ورد ما بقى إلى البئر وبصق فيها وشرب من مائها وكان ملحا فعاد عذبا طيبا . وكان إذا أصاب الإنسان مرض فى أيامه صلى الله عليه وسلم يقول اغسلوه من بئر قضاة فاذا غسل فكأنما نشط من عقال وقالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما : كنا نغسل المريض من بئر قضاة ثلاثة أيام فيعافى .

(بئر ذروان) بالمدينة المشرفة ، روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فبينما هو بين النائم واليقظان إذ نزل ملكان فقعده أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله فقال الذى عند رأسه ما وجعه ؟ قال الذى عند رجله طب قال ومن طبه ؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودى قال فأين طبه ؟ قال

كرية تحت صخرة في بئر ذروان . فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حفظ كلامهما فوجه عليا وعمارا مع جماعة من الصحابة فأتوا البئر فزحوا ما بها من الماء وانتهوا إلى الصخرة فقبلوها فوجدوا الكرية تحتها وفيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة فأخرجوها وحلوا العقد فزال وجع النبي صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله عليه المعوذتين إحدى عشرة آية فحل بقرانها العقد المعقود في الوتر .

(بئر زمزم) لما ترك إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم إسماعيل وهاجر بموضع الكعبة وانصرف والقصة مشهورة قالت له هاجر يا إبراهيم الله أمرك أن تتركنا في هذه البرية الحارة وتصرف عنا ؟ قال نعم ، قالت حسبنا الله إذا فلا نضيع فأقامت عند ولدها حتى نفذ ماء الركوة فبقى إسماعيل يتلظى من العطش فتركته وارتفعت إلى الصفا تلمس غوثا أو ماء فلم تر شيئا فبكت ودعت هناك واستسقت ثم نزلت حتى أتت المروة وتشوفت ودعت مثل ما دعت بالصفا ثم سمعت أصوات السباع تخافت على ولدها فسمعت إليه بسرعة فوجدته يفحص برجليه الأرض وقد انفجر من تحت عقبه الماء ، فلما رأت هاجر الماء حوطت عليه بالتراب من خوفها أن يسيل فلو لم تفعل ذلك لكان الماء جاريا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكانت عينا جارية ، وقال صلى الله عليه وسلم : ماء زمزم لما شرب له ، ولكم أبرأ الله به من مرض عجزت عنه حذاق الأطباء . قال محمد بن أحمد الحمداني : كان ذرع زمزم من أعلاه إلى أسفله أربعين ذراعا وفي قعرها عيون غير واحدة ، عين حذاء الركن الأسود ، وعين حذاء أبي قبيس والصفا ، وعين حذاء المروة ثم قل ماؤها في ستة أربع وعشرين ومائتين فخر فيها محمد بن الضحاك تسعة أذرع فزاد ماؤها . وأول من فرش أرضها بالرخام المنصور ثاني الخلفاء العباسيين .

حكى المسعودي : أن ملوك الفرس يزعمون أن جدم الخليل عليه الصلاة

والسلام وأنهم كانوا يحجون البيت ويطوفون به تعظيماً لخدم وآخر من حج منهم أزدشير بن بابك طاف بالبيت فرموه بالزمزمة على زمزم وهي قرااتهم عند صلاتهم .

(بئر أريس) وهي بالمدينة الشريفة ، وروى أن فيها عينا من الجنة ، وكان صلى الله عليه وسلم يستطيب ماءها ويبرك فيها ، وروى أنه بصق فيها .
(بئر المطرية) هي بئر قرية من قرى مصر ، وبها شجر البلسان وسقيها من البئر والخاصية في البئر لا في الأرض .

ذكر أن عيسى عليه السلام اغتسل فيها والأرض التي ينبت فيها هذا الشجر نحو ميل في ميل محوطة عليها وليس في الدنيا موضع ينبت فيه البلسان إلا هذه القرية .

(البئر المعظمة) وتسمى بئر العظام وهي بالقاهرة عند الركن المخلق ، يقال إنها من آبار موسى عليه السلام .

وحكى : أن طاسة لفقير وقعت في بئر زمزم وعليها منقوش اسم ذلك الفقير فرجع الفقير مع الركب المصرى إلى القاهرة فجاء إلى البئر المعظمة ليتوضأ منها للتبرك فطلعت الطاسة بعينها في المستقى وشهد له جماعة من الحجاج أنهم شاهدوا وقوعها في بئر زمزم . وليكن هذا آخر الكلام على عجائب الآبار .

فصل في عجائب الجبال وما بها من الآثار

قال الله تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ فلو قال قائل ما وجه النسبة بين الأبل والسماء والجبال والأرض والنسبة بينهم غير ظاهرة ، فالجواب أن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بين ظهراني العرب ونزل بلغاتهم ومن المعلوم أن أجل أموال العرب وأعظمها الأبل فبدأ بذكر الأبل لاستمالة قلوبهم إذ مدحت عظامهم أموالهم ، ثم ذكر

السما إذ الأبل لا بلأغ لها إلا بالنبات ولا يكون النبات فى الغالب إلا بالمطر والمطر لا ينزل إلى الأرض إلا من السماء ، ثم ذكر الجبال لأن العرب وأهل البادية ليس لهم حصون ولا قلاع يتحصنون فيها من أعدائهم إذا راموم فكانت الجبال حصونا لهم وقلاعا وبها لهم الماء والمرعى ، ثم ذكر الأرض وتسطيحها لأن العرب فى أكثر الدهر يرحلون وينزلون فى الأراضى السهلة الوطيفة لإراحة الأبل التى هى سفن البر ومنها معاشهم وبلأغهم وهذه حكمة إلهية ومن بعض معانى هذه الآية الشريفة هذا الوجه وهو وجه حسن .

(فأعظم جبال الدنيا قاف) وهو محبط بها كإحاطة بياض العين بسوادها وما وراء جبل قاف فهو من حكم الآخرة لا من حكم الدنيا ، وقال بعض المفسرين : إن الله سبحانه وتعالى خلق من وراء جبل قاف أرضا بيضاء كالفضة الجلية طولها مسيرة أربعين يوما للشمس ، وبها ملائكة شاخصون إلى العرش لا يعرف الملك منهم من إلى جانبه من هبة الله جل جلاله ولا يعرفون ما آدم وما إبليس وهكذا إلى يوم القيامة . وقيل إن يوم القيامة تبدل أرضنا هذه بتلك الأرض والله سبحانه وتعالى أعلم .

(جبل سرنديب) هو جبل بأعلى الصين فى بحر الهند وهو الجبل الذى أهبط عليه آدم عليه السلام وعليه أثر قدمه غائضا فى الصخرة طوله سبعون شبرا وعلى هذا الجبل ضوء كالبرق ولا يتمكن أحد أن ينظر إليه ولا بد كل يوم فيه من المطر فيغسل قدم آدم وحوله من أنواع البواقيت والأحجار النفيسة وأصناف العطر والأفاوية ما لا يوصف وأن آدم خطا من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة وهى مسيرة يومين .

(جبل أوليان) هو بأرض الروم وفى وسط هذا الجبل درب من دحه وهو يأكل الخبز من أول الدرب إلى آخره لا تضره عضة الكلب الكلب ومن عضة الكلب الكلب وعبر بين رجلى هذا الرجل برى . وأمن من الغائلة

(جبل أبي قبيس) هو جبل مطل على مكة زعموا أن من أكل عليه رأسا مشويا أمن من وجع الرأس .

(جبل راوند) بالقرب من همدان وفيه ماء إذا شربه المريض عوفي .
حكى : أنه دخل على جعفر الصادق رضي الله عنه رجل من همدان ، فقال له جعفر : من أين أنت ؟ قال من همدان ، فقال : أتعرف جبلها ؟ فقال له الرجل : جعلت فداك أراوند ، قال نعم ، قال : إن فيه عينا من عيون الجنة .
(جبل سبستان) فيه ماء ينبت فيه قصب كثير فما كان في الماء من القصب فهو قصب من حجر وما كان خارجا عن الماء فهو قصب على حقيقته ومارى في الماء من ورق القصب الخارجى صار حجرا في الحال .

(جبل أسبرة) وهو بناحية الشاس مما وراء النهر ، قال الاصطخرى : هناك جبال فيها منافع كثيرة من الذهب والفضة والفيروزج والحديد والنحاس والصفرة والآلك والنفط والزئبق وفيه حجر أسود يحرق ويبيض به الثياب ولا يقوم شيء مقامه .

(جبل التر) على ثلاث مراحل من قزوين وهو جبل شامخ لا تخلو قلته من الثلج لاصيفا ولا شتاء وعليه مسجد تأويه الأبدال ويتولد من ثلجه دود أبيض إذ غرز فيه أدنى شيء يخرج منه ماء أبيض صاف يرى دابة وليس هو حيوانا .

(وبالاندلس جبل) فيه عينان بينهما مقدار شبر واحد إحداها في غاية البرودة والعذوبة والأخرى غاية الحرارة والملوحة ولهما رائحة عطرة طيبة ، وبه جبل البرنس وفيه معدن الكبريت الأحمر والكبريت الأصفر والزئبق ومنه يحمل إلى سائر البلاد وفيه معدن الزنجفر وليس في جميع الأرض معدن الزنجفر إلا هناك .

(جبل القدس) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض القدس جبل فيه غار كالبيت تزوره الناس فإذا أظلم الليل أضاء البيت وليس فيه ضوء ولا سراج ولا كوة ولا طاقة .

(جبل ثبير) وهو بمكة بقرب منى وهو جبل مبارك يقصده الزوار وعليه أهبط الكعبش الذى فدى به إسماعيل عليه السلام .

(جبل ثور) وهو بقرب مكة وفيه الغار الذى كان فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لما خرجا مهاجرين .

(جبل الجودى) بقرب جزيرة ابن عمر من الجانب الشرقى الذى استوت عليه سفينة نوح عليه السلام وبنى به نوح مسجداً وهو إلى الآن باق تزوره الناس .

(جبل جوشن) غربى حلب وفيه معدن النحاس قيل إنه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن على رضى الله عنهما ، وكانت زوجة الحسين مثقلة بالحمل فطرحته هناك وبه مشهد مبارك يعرف بمشهد الطرح وطلبت من صناع الناس ماء للشرب فنعوها وسبوها فدعت عليهم فامتنع الريح من ذلك الحين .

(جبلا حارث وحويرث) هما بأرض أرمينية لا يقدر أحد على ارتقاها أصلاً قال ابن الفقيه السيرافى كان على نهر الرأس بأرمينية ألف مدينة عامرة أهله فبعث الله عز وجل اليهم نبياً دعاهم إلى الله فكذبوه وآذوه فدعا عليهم فحول الله الحارث والحويرث من الطائف وأرسلهما على المدن وأهلها فهم تحت هذين الجبلين حتى الساعة .

(جبل حراء) هو على ثلاثة أميال من مكة المشرقة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه للخلوة ويعبد الله فيه قبل نزول الوحي وأتاه جبريل هناك (جبل جود قور) وهو بين حضرموت وعمان .

حكى أحمد بن يحيى البني : أن فى ناحية قورشق جبلاً يقال له جود قور غوره مقدار خمسة أرماع وعرضه قليل فمن أراد أن يتعلم السحر فليأخذ ماعزاً أسود ليس فيه شعرة بيضاء ويذبحه ويسلخه ويقسمه سبعة أجزاء يعطى منها جزءاً واحداً للمقيم بذلك الجبل وستة أجزاء ينزل بها إلى الغار ثم يأخذ الكرش يشقها وينطلى بما فيها ويلبس الجلد مقلوباً ويدخل الغار ليلاً وشرطه أن لا يكون له أب ولا أم فينام فى الغار تلك الليلة فإن أصبح جسمه

تقيا من حشو الكرش مغسولا فقد قبل وحصل له السحر وإن وجده بحاله لم يقبل ولا يحصل له القصد فاذا خرج من الغار بعد القبول لا يحدث أحدا ثلاثة أيام يصير ساحراً ماهراً .

(جبل الحيات) بأرض تركستان فيه حيات من نظر إليها مات الناظر لوقته إلا أنها لا تتجاوز هذا الجبل أبداً .

(جبل نهاوند) بقرب الري يناطح النجوم ارتفاعاً . قال مسعود بن مهلهل هذا الجبل لا يفارق أعلاه الثلج لاليل ولا نهاراً ولا صيفاً ولا شتاء البتة ، ولا يقدر أحد أن يعاينه .

زعموا أن سليمان بن داود عليهما السلام حبس فيه صخر المارد وزعموا أن أفريدون الملك حبس فيه يوراسف الذي يقال له الضحاك ومن صعد إلى هذا الجبل لا يصل إليه إلا بمشقة شديدة ومخاطرة بالنفس قال مسعود بن مهلهل صعدت إلى نصفه بمشقة شديدة وما أظن أحدا وصل إلى ما وصلت إليه فرأيت هناك عين كبريت وحولها كبريت مستحجر إذا طلعت الشمس اشتعل ناراً وسمعت من أهل تلك الناحية أن الفمل إذا أكثر من جمع الحب على هذا الجبل استشعر الناس بعده بجذب وقحط وأنه متى دامت عليهم الأمطار والأنواء وتضرروا بذلك صوبوا إلى الماعز على النار فتقطع الأمطار والأنواء في الحال والحين وجربته مراراً فوجدته صحيحاً كما قيل . وأما ذروة هذا الجبل فتى انكشف من الثلج وقعت في تلك الأرض فتنة عظيمة على عمر الأيام لا تنخرم أبداً بل تكون الفتنة في الجهة المنكشفة دون غيرها .

قال محمد بن ابراهيم الضراب عرف والدي معدن الكبريت الأحمر فاتخذ مغارفا طوالاً من حديد فأدخلها فيه فذابت ولم يحصل على قصده وقال له أهل تلك الناحية هذا المكان لا يدخل فيه حديد إلا ذاب في وقته .

وذكروا : أن رجلاً جاءهم من خراسان ومعه مغارف طوال من حديد ولها سواعد قد طلاها بأدوية حكيمية فأخرج بها من الكبريت الأحمر

شيئا كثيراً لبعض ملوك خراسان

وذكر محمد بن إبراهيم أن الأمير موسى بن خضر كان والياً على الروى
إذ ورد عليه كتاب من المأمون بن الرشيد يأمره بالشخص إلى هذا الجبل
وتعرف حال المحبوس به قال فوافينا حضيض الجبل وأقمنا أياماً لا نرى
الاهتداء لصعوده حتى أتانا شيخ مسن طاعن وهو ذو همة عالية فسألنا عرفناه
أمر الخليفة فقال : أما هذا فلا سبيل إليه أصلاً وإن أردتم صحة ذلك أريتكم
عيانا فاستحسن الأمير موسى كلامه وقال هو القصد فعند ذلك صعد الشيخ
بين أيدينا ونحن في الأثر فأوقفنا على موضع فبالغنا في حفره حتى انكشف
لنا عن بيت منقور من الحجارة وفيه تمثال شخص على صورة عجبية يضرب
بمطرقة على أعلاه ساعة بعد ساعة من غير فتور فاستخبرنا الشيخ عن شأنه
فقال : هذا طلسم موضوع على يوراسف الضحاك المحبوس ههنا ثلاثاً ينحل
من وثاقه ثم أمرنا أن لا نتعرض للطلسم وأن نرده إلى ما كان عليه ففعلنا
ثم دعا بسلاسل وسلاسل طوال فربط بعضها إلى بعض بالجبال وكلها من
أسافلها وأوسطها وأوثقها بالسلاسل فارتفعت مقدار مائة ذراع ونقب
موضعا على رأس السلام فظهر باب من حديد عليه مسامير كبار جداً مذهبة
الرموس فوصلنا إلى عتبة فوجدنا على الأسكفة كتابة بالفارسية كأنما
كتبت الآن بالذهب مدهونة بأدهان التأيد تنطق الكتابة عن كلام معناه
إن على هذه القلة سبعة أبواب من حديد على كل مصراع منها أربعة أقفال
من حديد وعلى العضادة مكتوب هذا سجن لهذا الحيوان المفسد وله أمد
يتهى إلى غاية فلا يتعرض أحد إلى هذه الأقفال بمكره فانه متى فتح من
أقفالها ولو قفلاً واحداً هجم على هذه البلاد آفة لا تندفع أبداً ، فقال الأمير
موسى لا أتعرض لشيء حتى أستاذن أمير المؤمنين فجاء الجواب برد البيت
إلى ما كان وترك ذلك على حاله .

(جبل الربوة) وهى على فرسخ من دمشق . ذكر بعض المفسرين أنها

المراد بقوله تعالى ﴿وَأَوْبَيْنَاهَا إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ وهو جبل عال على قلته مسجد حسن بين بساتين وأشجار ورياض ورياحين من جميع جوانبه وله شبايك تطل على ذلك كله ولما أرادوا إخراج نهر ثور وقع هذا الجبل في طريقه معترضا فتقبوه من تحته وأجروا الماء من النقب وعلى رأسه نهر يزيد وهو ينزل من أعلاه الماء إلى أسفله وفي هذا الجبل كهف صغير زعموا أن عيسى بن مريم عليهما السلام ولد فيه . قال القزويني : رأيت في هذا المسجد في بيت صغير حجراً كبيراً حجمه كحجم الصندوق ذا ألوان مختلفة عجبية وقد انشق نصفين كالرمانة المنشقة وبين الشقين من أعلاه فتح ذراع وأسفله ملتئم لم ينفصل شق عن الآخر ولأهل دمشق في هذا الجبل أقاويل كثيرة أضربنا عنها .

(جبل رضوى) قال عرامة بن الأصبح هو من المدينة على نحو سبع مراحل وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية وهو أخضر يرى من البعد وبه أشجار وثمار ومياه كثيرة تزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية رضى الله عنه حى وأنه مقيم به بين أسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان ماء وعسلا وأنه سيعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وكان السيد الحيرى على هذا المذهب وهو القائل :

ألا قل للرضى فدتك نفسى أطلت بذلك الجبل المقاما

ومن رضوى يقطع حجر السن ويحمل إلى جميع البلاد .

(جبل الرقيم) وهو المذكور في القرآن ، قيل هو اسم القرية التي كان فيها أصحاب الكهف ، وقيل اسم الجبل وهو بالروم بين أرقية ونبقية حكى عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : أرسلنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى ملك الروم رسولا لأدعوه إلى الاسلام فسرت حتى دخلت بلاد الروم فلاح لنا جبل يعرف بأهل الكهف فوصلنا إلى دير فيه وسألنا أهل الدير عنهم فأوقفونا على سرب في الجبل فوهبنا لهم شيئاً وقلنا نريد أن

تنظر إليهم فدخلوا ودخلنا معهم وكان عليه باب من حديد فأتيناه إلى بيت
عظيم محفور في الجبل فيه ثلاثة عشر رجلا مضطجعين على ظهورهم كأنهم
رقود وعلى كل واحد منهم جبة غبراء وكساء أغبر قد غطوا بهما من رؤوسهم
إلى أقدامهم فلم ندر ما ثيابهم أمن صوف أم من وبر إلا أنها كانت أصلب
من الديباج فلمسناها فإذا هي تنققع من الصفاقة وعلى أرجلهم الخفاف إلى
أنصاف سوقهم متعلين بنعال مخصوفة وفي خفافهم ونعالهم من جودة الخرز
ولين الجلود ما لم ير مثله قال : فكشفنا عن وجوههم رجلا رجلا فإذا هم في
وضاءة الوجوه وصفاء الألوان وحسن التخطيط وهم كالأحياء وبعضهم في
نضارة الشباب وبعضهم أشيب وبعضهم قد خطه الشيب وبعضهم شعورهم
مضفورة وبعضهم شعورهم مضمومة وهم على زى المسلمين فأتيناه إلى آخرهم
فإذا فيهم واحد مضروب على وجهه بسيف كأنما ضرب في يومه فسالنا عن
حالهم وما يعلمون من أمرهم فذكروا أنهم يدخلون عليهم في كل عام يوما
وتجتمع أهل تلك الناحية على الباب فيدخل عليهم من ينفض التراب عن
وجوههم وأكسيتهم ويقلم أظفارهم ويقص شواربهم ويتركهم على هيئتهم
هذه ، قلنا لهم هل تعرفون من هم وكم مدة لهم ههنا ؟ فذكروا أنهم يجدون
في كتبهم وتواريخهم أنهم كانوا أنبياء بعثوا إلى هذه البلاد في زمان واحد
قبل المسيح بأربعمائة سنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أصحاب
الكهف سبعة وهم مكسلينا كليلخام طونس يمينونس نارينونس ذوانوانس
كسيطيونس وكلهم قطمير .

(جبل تانك) قال صاحب تحفة الغرائب جبل بأرض تانك وهم طائفة
من الترك يولد تركستان ليس لهم زرع ولا ضرع وفي جبالهم ذهب كثير
وفضة كثيرة وربما يقع لهم كل قطعة كراس الشاة من الذهب والفضة فن
أخذ القطع الكبار مات في الحال واليوم ، ومن أخذ من القطع الصغار انتفع
بها من غير ضرر يمسه ومن ذهب بقطعة كبيرة إلى بيته مات هو وأهل بيته

إلا أن يرجع بها من أثناء الطريق وإذا أخذ الغريب من القطع الكبار فلا بأس عليه ولا سوء .

(جبل ساوة) وهو على مرحلة منها وهو شاخ جدا فيه غار شبه إيوان يسع سبعة آلاف نفس وفي آخر الغار قد برز في صدر حائطه أربعة أحجار متفرقة شبه ثدى المرأة يتقاطر الماء من ثلاثة منها والرابع يابس لا يقطر منه شيء ، يزعم أهل تلك الأرض أن كافراً مصه فيبس وتحت حوض يجتمع الماء فيه وهو ماء طيب لا يتغير بطول مكثه وعلى باب الغار نقب ذو بابين يدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر يزعمون أنه من لم يكن ولداً حلالاً لا يقدر على الخروج منه قال القزويني رأيت رجلاً دخله وما خرج حتى عابن الهلاك .

(جبل سيلان) بقرب مدينة أردبيل من أذربيجان وهو من أعلى جبال الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ فسيحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى وكذلك تخرجون كتب الله له من الحسنات بعدد كل ورقة ثلج تقع على جبل سيلان قيل وما سيلان يا رسول الله ؟ قال جبل بأرمينية وأذربيجان عليه عين من عيون الجنة وفيه قبر من قبور الأنبياء ، قال أبو حامد الأندلسي على رأس هذا الجبل عين عظيمة مع غاية ارتفاعه ماؤها أبرد من الثلج وكأما شيب بالعسل لشدة عذوبته وبجوف الجبل ماء يخرج من عين يهلق البيض لحرارته يقصدها الناس لمصالحهم وبمضيض هذا الجبل شجر كثير ومراع وشيء من حشيش لا يتناوله إنسان ولا حيوان إلا مات لساعته ، قال القزويني : ولقد رأيت الجبل والدواب ترعى في هذا المكان فإذا قربت من هذا الحشيش نفرت وولت منهزمة كالطريدة ، قال : وفي سفح هذا الجبل بلدة اجتمعت بقاضيا واسمه أبو الفرج عبد الرحمن الأردبيلي وسألته عن حال تلك الحشيشة فقال الجن تحميمها وذكر أيضاً أنه بنى في قرية

مسجداً فاحتاج إلى قواعد كبار حجرية لأجل العمد فأصبح فوجد على باب المسجد قواعد منحوتة من الصخر بحكمة الصنعة كأحسن ما يكون (جبل السباق) وهو بأعمال حلب يشتمل على مدن وقرى وقلاع وحصون وأكثرها للاسماعيلية والدرزية وهو منبت السباق، وهو مكان طيب كثير الخيرات.

(جبل السم) قال الجيهاني إن أهل الصين نصبوا قنطرة من رأس جبل إلى جبل آخر في طريق آخذة إلى تبث من جاز على تلك القنطرة يؤخذ بأنفاسه ويلتهب قلبه وينقل لسانه ويموت في الغالب من المارين جماعة مستكثرة وأهل التبث يسمونه جبل السم.

(جبل الشب) بأرض اليمن على قلته ماء يجرى من جانب إلى جانب وينعقد شبا والشب اليماني من ذلك.

(جبل الصور) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض كرمان جبل من أخذ منه حجراً وكسره يرى في وسطه صورة إنسان قائم أو قاعد أو مضطجع، وإن سحقته الحجر ناعما وحلته في الماء وتركته حتى يرسب ترى في الراسب منه ما رأيته في الحجر من الصورة وهيئتها وهذا من أعجب العجب.

(جبل الصفا) هو بيطحاء مكة والواقف على الصفا يرى الحجر الأسود قبالة، والمروة تقابله، يقال إن الصفا اسم رجل والمروة اسم امرأة زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرتين فوضع كل واحد على الجبل المسمى باسمه لاعتبار الناس وجاء في الحديث: إن الدابة التي هي من أشراط الساعة تخرج من الصفا وكان ابن عباس رضي الله عنهما يضرب بعصاه حجر الصفا ويقول إن الدابة لتسمع قرع عصا هذه.

(جبل صقلية) هو في وسط بحر الروم وهو ببحر المغرب أعلاه مسيرة ثلاثة أيام فيه أشجار كثيرة من البندق والصنوبر والأرز وفي أعلاه منافس

كثيرة يخرج منها الدخان والنار وربما سالت النار فأحرقت جميع ما مرت عليه وتجعله مثل خبث الحديد وعلى قمة هذا الجبل السحاب والثلوج صيفا وشتاء لا تفارقه، وزعم أهل الروم أن الحكماء كانوا يدخلون إلى هذه الجزيرة ليروا عجائبها وكيف اجتماع الضدين الثلج والنار وفيها معدن الذهب وتسميه أهل الروم جزيرة الذهب.

(جبل الطاهرة) هو بأرض مصر قال صاحب تحفة الغرائب بهذا الجبل كنيسة فيها حوض يجرى فيه من الجبل ماء عذب يجتمع في ذلك الحوض فاذا امتلأ من جميع جوانبه ترده الناس فاذا ورد الحوض جنب أو امرأة حائض وقف الماء وانقطع جريانه ولا يجرى حتى ينزح جميع ما فيه من الماء ويفسل الحوض غسلا بالغاً فيجرى بعد ذلك.

(جبل طبرستان) قال صاحب تحفة الغرائب بهذا الجبل ضرب من الحشيش يسمى جوز مائل من قطعه وهو ضاحك غلب عليه الضحك في عمره ومن قطعه با كيا غلب عليه البكاء، ومن قطعه راقصا غلب عليه الرقص وكذلك على أى صفة كان فمن قطعه استمر على تلك الصفة

(جبل طور سيناء) هو بين الشام ومدين قيل إنه بالقرب من أيلة وهو المكلم عليه موسى عليه السلام كان إذا جاء موسى عليه السلام للمناجاة ينزل غمام فيدخل في الغمام ويكلم ذا الجلال والاكرام، وهو الجبل الذى ذكره عند التجلى وهناك خر موسى صعقا وهذا الجبل اذا كسرت حجارتة يخرج من وسطها صورة شجرة العوسج على الدوام وتعظم اليهود شجرة العوسج لهذه المعنى ويقال لشجرة العوسج شجرة اليهود

(جبل طور هرون) هو جبل مشرف على بيت المقدس وإنما سمي جبل طور هرون لأن موسى عليه السلام بعد أن عبت بنو إسرائيل العجل أراد المضي إلى مناجاة الرب العلى، فقال له هارون: احلنى معك فاني لست بأمن أن تحدث بنو إسرائيل أمرا بعدك، فغضب موسى وحمله، فلما كان

بعض الطريق إذ هما برجلين يحفران قبراً فوقاً عليهما ، وقال لمن القبر ؟
قالا لرجل في طول هذا وهيئته وأشار إلى هارون ، ثم قال له بحق إلهك إلا
ما نزلت لتعرف القياس فتزع هرون أثوابه ونزل القبر واضطجع فيه
فقبضه الله في الحال وانطبق القبر على هرون فانصرف موسى بثيابه حزينا
باكيا ، فلما صار إلى بني إسرائيل اتهموه بقتل أخيه فدعا موسى ربه حتى
أراهم هرون في تابوت في الجو على رأس ذلك الجبل .

(جبل فرغانة) قال صاحب تحفة الغرائب ينبت بهذا الجبل ضرب من
النبات على صور الآدميين منها ما هو على صورة الرجل ومنها ما هو على
صورة المرأة وتوجد هذه الصور مع بعض الطريقين يتكلمون عليها ويقولون
إنها تزيد في المحبة والقبول وأكلها يزيد في الباء ولا تقلع حتى يربط فيها جبل
طويل ويربط طرفه في رقبة كلب ، ثم ينفر الكلب فيقطع الصورة من
أصلها وتقع صيحة على الكلب فيموت في الحال .

(جبل قاسيون) هو جبل مشرف على دمشق فيه آثار الأنبياء وهو معظم
من الجبال وفيه مغارات وكهوف ومعابد للصالحين وفيه مغارة يعرف بمغارة
الدم ، يقال إن قابيل قتل هابيل ، وهناك حجر يزعمون أنه الحجر الذي فلق
به هامته وفيه مغارة أخرى يسمونها مغارة الجوع ، يقال إن أربعين نبيا ماتوا
بها من الجوع .

(جبل الهند) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض الهند جبل عليه صورة
أسدين والماء يجري من أفواههما فيروى قريتين فوق بين أهل القريتين
خصومة على الماء ، فقال أهل إحدى القريتين نوسع فم الأسد الذي يصب إلى
أرضنا حتى يكثر الماء على أرضنا فكسروا فم الأسد فانقطع الماء أصلا من
ذلك الأسد وخربت تلك القرية وارتحل أهلها والأسد الآخر على حاله والقرية
الآخرى عامرة .

(جبل تلاسيم) قرية من قرى قزوين ، قال القزويني : حدثني من صعد

على هذا الجبل ، قال عليه صور كل حيوان من الحيوانات على اختلاف
أجناسها وصور الادميين على أنواع أشكالها عدد لا يحصى وقد مستخوا
حجارة وفيها الراعى متكئ على عصاه والماشية حوله كلها حجارة والمرأة تحلب
بقرة وقد تحجرتا والرجل يجامع امرأته وقد تحجرا والمرأة ترضع وهلم جرا
وهكذا . وهذا آخر الكلام على الجبال وعجائنها .

فصل في ذكر الأحجار وخواصها ومعرفه منافعها

الحجر الأبيض إذا حككته على حجر صلب وخرج محكه أبيض فلا
يبأ به وإذا كان محكه أصفر فمن حمله وتكلم بما شاء وأخبر بما شاء وقع
الأمركا تكلم وأخبر، وإن خرج محكه أحمر فحمله فكل شيء يقوم فيه يصعد
معه وإن خرج المحك أغبر فكل من استعان بحامله أعين به وإن خرج أخضر
وعلق في بستان أو زرع أو كرم أو نخل أمن من الآفات وإن خرج مسودا
ينفع من السموم القاتلة حكا وشربا .

(الحجر الأحمر) إذا حك وخرج محكه مبيضا نجحت أمور حامله وإن
خرج مسودا فأى شيء حدث حامله به نفسه قدر عليه وإن خرج محكه مغبرا
أو مصفرا فمن حمله أحبه الناس وإن خرج المحك مخضرا فكل من حمله لم
يؤثر فيه السلاح .

(الحجر البنفسجى) إذا حك فخرج محكه مبيضا فكل من حمله زال عنه
الهم والغم والحزن وإن خرج مسودا فكل من حمله لم تنجح مقاصده وإن
خرج مصفرا فكل من حمله أنه كل شيء وصعد معه وإن رمى في بئر أو عين
قل ماؤها فإن خرج ممحرا يرى حامله كل خير وإن خرج مخضرا يزكو زرع
حامله وتنمو غنمه وإن خرج مغبرا فكل من اكتحل به على اسم أحد أحبه
رجلا كان أو امرأة .

(الحجر الأخضر) إذا حك وخرج محكه مبيضا فمن حمله درت عليه

الخيرات والبركات وإن خرج مسودا فكذلك وإن خرج مصفرا فكل دواء يصفه لعليل أو مريض ينفعه ويشفي وإن خرج محمرا فحامله لا يزال ترد عليه الصلات والعطايا من الأكابر وإن خرج مغبرا فحامله متى وضع يده على رأس مريض وذكّر شيئا من أسماء الله تعالى شفاه الله وقام من مرضه باذن الله تعالى .

(الحجر الأسود) إذا حك وخرج محكة مبيضا نفع من جميع السموم القاتلة حكا وشربا وإن خرج المحك مسودا فكل من حمله زاد عقله وحسن رأيه وقضيت حوائجه عند الملوك والسلاطين وإن خرج مخضرا لم يؤثر في حامله سم أصلا . .

(الحجر الأخضر) إذا حك فخرج محكة مبيضا فسحق كالكمحل واكتحل به إنسان على اسم رجل أو امرأة وقعت محبة المكتحل في قلب من سمياه وأحبه حبا زائدا وإن خرج مخضرا أو مسودا واكتحل به أكرمه كل من رآه وإن اكتحل به النساء أحبن أزواجهن وإن خرج مصفرا أو محمرا وحمله إنسان أفلح حيث توجه .

(الحجر الأصفر) إذا خرج محكة مبيضا حصل لحامله من الخلق كل ما يروم وإن خرج مخضرا فإن حامله لا يغلب في الكلام والخصومة وإن خرج مسودا فمن حمله وذكّر اسم شخص يراه ولا يزال يتبعه حيث شاء حتى لا يكاد ينقطع عنه .

(حجر السامور) هو الذي يقطع به جميع الأحجار بالسهولة . قيل إن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، لما شرع في بناء بيت المقدس استعمل الجن في قطع الصخر فشكا الناس إليه من صداد سماع قطع الصخور وشدة حيلتها . فقال سليمان للجن : أتعرفون شيئا يقطع الصخر من غير صوت ولا جلبة ؟ فقال بعضهم نعم يا نبي الله : أنا أعرفه وهو حجر يسمى السامور ولكن لا أعرف مكانه ، فقال احتالوا في تعرفه فاستدعى آصف بن برخيا وزيره

باحضار عرش عقاب ويضه على حاله من غير أن يخربوا منه شيئا فجئ به
لجعله في جام كبير غليظ من زجاج وأمر برده إلى مكانه من غير تغيير فأعيد
لجاء العقاب ورأى ذلك ف ضرب الجلام برجله ليرفعه فلم يقدر فاجتهد فما أفاد
فعاد وجاء في اليوم الثاني بحجر في رجله وألقاه عليه فقسم الجلام الزجاج
نصفين فأمر سليمان باحضاره فحضر ، فقال له من أين لك هذا الحجر الذي
ألقيته في عرشك ؟ فقال : يا نبي الله من جبل بالمغرب يقال له السامور فبعث
بالجن مع العقاب إلى ذلك الجبل فاحضروا له من حجر السامور كالجبال فكانوا
يقطعون به الحجارة من غير صوت ولا صداد وأسكت الناس .

(حجر حامى) هو حجر شديد الحمرة منقط بنقط سود صفار يوجد
ببلاد الهند من أزال عنه تلك النقط وسحقه وألقاه على الفضة صارت
ذهباً خالصاً .

(حجر الخطاف) يوجد في عرش الخطاف حبران أحدهما أحمر والآخر
أبيض فالأبيض يرى حامله من الصرع والأحمر يقوى القلب ويذهب
الجزع والخوف والفرع عن حامله .

(حجر الرخى) يؤخذ من حجر الرخى السفلى قطعة وتعلق على المرأة
التي تسقط الأولاد فلا تسقط بعد ذلك .

(حجر الصنونو) هو حجر يوجد في عرش الصنونو تنفع حكاكته من
اليرقان والحيلة في تحصيله أن يعمد الانسان إلى فراخ الصنونو فيلطنها
بالزعفران المذاب بالماء ويدعها فإذا رأتهم الأم تظن أن بهم يرقانا فتغيب
وتأتى بهذا الحجر وتضعه عندهم فيأخذه الطالب له .

(حجر القى) وهو حجر بأرض مصر إذا أمسكه الانسان غلب عليه
الغشيان حتى يلتقى ما يبطنه فان لم يرمه هلك من القى .

(حجر المطر) هو حجر يوجد ببلاد الترك إذا وضع في الماء غيمت الدنيا
ووقع المطر والثلج والبرد إلى أن يرفع من الماء ، قال القزويني : رأيت من

شاهد هذا وأخبرني به .

(حجر الحية) وهو حجر يوجد في رأسها في حجم بندقة صغيرة وحجرها ينفع الملدوغ تعليقا ويقطع نزف الدم وعسر البول ويقوى الفكر وإن علق في رقبة المصروع زال عنه الصرع .

(حجر السبع) وهو حجر أسود شديد الرخاوة يجلب من الهند شديد البريق ينكسر سريعا إذا ضعف بصر الانسان يديم النظر إليه فينفعه وإن حمله منع عنه العين سوء ويجلو البصر اكتحالا وإذا جعل على الرأس أزال الصداع .

(حجر السبادج) يجلو الأسنان ويدمل القروح .

(حجر الماس) هو حجر في لون النوشادر الصافي لا يلصق بشئ من الأحجار وإذا وضع على السندان وضرب عليه بالمطرقة غاص فيهما أو في أحدهما ولم يتكسر وإذا ضرب بالأسرب تكسر ولو تكسر ألف قطعة لا تكون مقطعاته إلا مثلثة يضعون منها قطعة في طرف المثقب ويثقبون به الأحجار الصلبة والجواهر وإن ألقي في دم تيس وقرب من النار ذاب لوقته وهو سم قاتل .

(حجر الجزع) هو حجر صلب له ألوان كثيرة فمن حمله أورثه الهم والغم والحزن وأراه أحلاما رديئة ويعسر عليه قضاء الحوائج وإن علق على صبي كثر بكأؤه وفزعه وسال لعابه وعظم نكده ومن سقى منه مسحوقا قلّ نومه وثقل لسانه وإن وضع بين جماعة حصلت بينهم فتنة وخصومة وعداوة وليس فيه منفعة إلا أنه يسهل الولادة على الحامل .

(حجر البحر) هو حجر أسود خفيف خشن من استصحبه في ركوب البحر أمن من الفرق وإن وضع في قدر لم تغل أبدا .

(حجر الدجاجة) وهو يوجد في قوائص الدجاج إذا وضع على مصروع أبرأه وإن حمله إنسان فانه يزيد في قوة باهه ويدفع عن حامله عين سوء .

ويوضع تحت رأس الصبي فلا يفزع في نومه .

(حجر البهت) وهو أبيض شفاف يتلألأ حسنا وهو مغناطيس الانسان إذا رآه الانسان غلب عليه الضحك والسرور وتقضى حوائج حامله عند كل أحد .

(حجر المغناطيس) أجوده ما كان أسود مشربا بحمرة ويوجد بساحل بحر الهند والترك وأى مركب دخل هذين البحرين فهما كان فيه من الحديد طار منه مثل الطير حتى يلصق بالجبل ولهذا لا يستعمل فى مراكب هذين البحرين شئ من الحديد أصلا وإذا أصاب هذا الحجر رائحة الثوم بطل فعله فاذا غسل بالخل عاد إلى فعله فاذا علق هذا الحجر على أحد به وجع نفعه خصوصا من به وجع المفاصل ووجع النقرس ويزيد فى الذهن ويلتصق على الحامل فتضع فى الحال وقد قيل فيه :

قلبي العليل وأنت جالينوسه فعسى بوصل أن يزول رسيه
يشتاقك القلب العليل كأنه لبر الحديد وأنت مغناطيسه
وقد قيل فى المعنى دوييت :

من آدم فى الكون ومن إبليس ما عرش سليمان وما بلقيس
الكل إشارة وأنت المعنى يا من هو للقلوب مغناطيس

الاحجار الصلبة ذوات الجواهر

(الباقوت) هو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف منه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وهو حجر لا تعمل فيه النار لقلة دهنيته ولا يثقب لغلظ رطوبته ولا تعمل فيه المبارد لصلابته بل يزداد حسنا على عمر الليالى والايام وهو عزيز قليل الوجود سيما الاحمر وبعده الاصفر على أن الاصفر أصبر على النار من سائر أصنافه وأما الاخضر منه فلا صبر له أصلا ومن تحتم بهذه الاصناف أمن من الطاعون وإن عم الناس ومن حمل شيئا منها أو تحتم به

كان معظماً عند الناس وجيهاً عند الملوك .

(الدر واللؤلؤ) يتكون في بحر الهند وفارس وزعم البحريون أن الصدفة الدرّى لا يكون إلا في بحر تصب فيه الأنهار العذبة فإذا أتى الريح كثير هبوب الريح في البحر وارتفعت الأمواج واضطرب البحر فإذا كان الثامن عشر من نيسان خرجت الأصداف من قعور هذه البحار ولها أصوات وقعقة وبوسط كل صدفة دويرة صغيرة وصفحتا الصدفة لها كالجنّاحين وكالسور تتحصن به من عدو مسلط عليها وهو سرطان البحر فربما تفتح أجنحتها لشم الهواء فيدخل السرطان مقصه بينهما ويأكلها وربما يتحيل السرطان في أكلها بحيلة دقيقة وهو أنه يحمل في مقصه حجراً مدوراً كبندقة الطين ويراقب دابة الصدفة حتى تشق عن جناحيها فيلقى السرطان الحجر بين صفحتي الصدفة فلا تنطبق فيأكلها ففي اليوم الثامن عشر من نيسان لا تبقى صدفة في قعور البحر المعروفة بالدر واللؤلؤ إلا صارت على وجه الماء وتفتحت حتى يصير وجه البحر أبيض كاللؤلؤ وتأتي سحابة بمطر عظيم ثم تنشق السحابة وقد وقع في جوف كل صدفة ما قدر الله من القطر إما قطرة واحدة وإما اثنتان وإما ثلاثة وهلم جرا إلى المائة والمائتين وفوق ذلك ثم تنطبق الأصداف وتلتحم وتموت الدابة التي كانت في جوف الصدفة في الحال وترسب الأصداف إلى قرار البحر وتلتصق به وينبت لها عروق كالشجرة في قرار البحر حتى لا يجرها الماء فيفسد ما في بطنها وتلتحم صفحتا الصدفة التحاماً بالغاً حتى لا يدخل إلى الدر ماء البحر فيصفره وأفضل الدر المتكون في هذه الأصداف القطرة الواحدة ثم الاثنتان ثم الثلاثة وكلما كثر العدد كان أصغر جسماً وأخس قيمة وكلما قل العدد كان أكبر جسماً وأعظم قيمة والمتكون من قطرة واحدة هي الدرة البتيمة التي لا قيمة لها والآخران بعدها فالصدفة تنقلب إلى ثلاثة أطوار في الأول طور الحيوانية فإذا وقع القطر فيها وماتت الدويبة صار في طور الحجرية ولذلك غاصت

إلى القرار وهذا طبع الحجر وهو الطور الثاني وفي الطور الثالث وهو الطور
النباتي تشرش في قرار البحر وتمد عروفا كالشجرة ذلك تقدير العزيز العليم
ولمدة حمله وانعقاده وقت معلوم وموسم يجتمع فيه الغواصون لاستخراج
ذلك ، هذا في البحر . وأما في البر في الثامن عشر من نيسان في كل عام تخرج
فراخ الحيات التي ولدت في تلك السنة وتسير من بطن الأرض إلى وجهها
وتفتح أفواهها كالإصداف في البحر نحو السماء كما فتحت الإصداف جوفها
فانزل من قطر السماء في فمها أطبقت فمها عليها ودخلت في جوف الأرض
فاذا تم حمل الصدف في البحر لؤلؤا ودرا صار ما دخل في فم فراخ الحيات
داه وسما فالما واحد والأوعية مختلفة والقدرة صالحة لكل شيء ، وقد قيل
في هذا المعنى :

أرى الاحسان عند الحر دينا وعند النذل منقصة وذما
كقطر الماء في الإصداف در وفي جوف الأفاعي صار سما
(البخش) هو حجر صلب شفاف كالياقوت في جميع أحواله ومنافعه
(الدهنج) هو أخضر كالزبرجد لين المجس يتكون في معدن النحاس وهو
أنواع كثيرة . ومن عجيب أمره أنه يصفو بصفاء الجو ويتكدر بكدورته
ومن عجيب أمره أيضا أنه إذا سقى الإنسان من محكه فعل فعل السم ، وإذا سقى
منه شارب السم نفعه وإذا مسح به موضع اللدغة برأ وبطل بجكا كته البرص
فيزيله وينفع من خفقان القلب ويهيج على حامله شهوة الجماع
(الزبرجد) هو حجر أخضر شفاف يشبه الياقوت الأخضر وليس
كقوته ولا فعله ولا قيمته .

(الزمرذ) هو حجر أخضر شفاف يدخل في معالجة أدوية من سقى
السم وفي أحوال يياض العين وحمله يقطع نزف الدم ووضعه في القم يقطع
عطش الماء ، ويبرد - ترارة القلب (ومنه) جنس يقال له الذبابي خاصيته

أن حامله لا يقع عليه الذباب (ومنه) جنس إذا نظرت إليه الأفاعي سالت
أحداها على خدودها

(حجر الباهت) هو حجر أبيض شفاف يتلألا حسنا، وهو مغناطيس
الإنسان إذا أبصره الإنسان غلب عليه الضحك والسرور، ومن أمسكه
معه قضيت حوائجه وعقدت عنه الألسن، ويسمى حجر البهت.

(حجر الفيروزج) هو أخضر مشوب بزرقة يوجد بخراسان وهو
كالدهنج يصفو بصفاء الجو ويتكدر بكدورته. ينفع العين اكتحالا
والتختم به ينقص الهيبة إلا أنه يورث الفنى والمال.

وعن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه أنه قال: ما افتقرت يد تختمت
بالفيروزج.

(والمرجان) ينبت في البحر، كالشجر وإذا كلس تكليس أهل الصنعة
عقد الزئبق فنه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود وهو يقوى البصر كحلا وينشف
رطوبته بخاصية ذلك فيه.

(العقيق) وهو معروف من تختم به سكن غضبه عند الخصومة وسكن
ضحكه عند التعجب والسواك بنحاته يجلو وسخ الأسنان ورائحتها الكريهة
وينفع من خروج الدم من اللثة ومحرقه يقوى السن وينفع من الحفقان
وقال صلى الله عليه وسلم ومن تختم بالعقيق لم يزل في خير وبركة وسرور.

(الكهرباء) هو حجر أصفر مائل إلى الحمرة، ويقال إنه صمغ شجر
الجوز الرومي ينفع حامله من البرقان والحفقان والأورام ونزف الدم ويمنع
النقى. ويعلق على الحامل فيحفظ جنينها.

(البلور) وهو حجر أبيض شفاف أشف من الزجاج وأصلب، وهو
متجمع الجسم في موضع بخلاف الزجاج وهو يصبغ بألوان كثيرة كالياقوت
واستعمال آنيته ينفع لالتهاب في القلب، والأغبر إذا علق على من يشكى
وجع الضرس أبراه في الحال.

(الزجاج) معروف وهو يقبل الألوان ويجلو الأسنان ويجلو يياض العين وينبت الشعر إذا طلى بدهن الزنبق .

(اللازورد) وهو حجر أزرق ينفع العين اكتحالاً إذا خلط في الأحال ومن تختم به نبل في عيون الناس ، وهو يسقط النآليل حملاً وحكاً ، وينفع أصحاب المآليخوليا .

(وأما غير ذلك من المعادن فهو حجر اليشم) وهو حجر الغلبة من حملة لا يغلبه أحد في الحروب ولا الخصومات ولا المحاججة ومن وضعه في فمه سكن عطشه ولهذا اتخذهُ الملوك في حوائصهم ومناطقهم وأسلحتهم .

(التوتياء) هو حجر منه أخضر ومنه أصفر ومنه أبيض يجلب من سواحل الهند وأجوده الأبيض الخفيف الطيار ثم الأصفر ثم الفستقي الرقيق وهو بارد يابس يمنع الفضلات من النفوذ إلى عروق العين وطبقاتها وينفع من الرطوبة وينشف الدمة ويزيل الصنان من الجسد .

(الآثمد) هو الكحل الأسود أجوده الأصفهانى وهو بارد يابس ينفع العين اكتحالاً ويقوى أعصابها ويمنع عنها كثيراً من الآفات والأوجاع سيما الشيوخ والعجائز وإن جعل معه شيء من المسك كان غاية في النفع وينفع من حرق النار طلاء مع الشحم ويقطع النزف ويمنع الرعاف إذا كان من أغشية الدماغ ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير أحوالكم الآثمد ينبت الشعر ويجلو البصر .

(الملح) هو حار يابس وهو يدفع العفونات كلها ويجلو كآبة اللون طلاء ويذيب الأخلاط الغليظة والبلغم والعفن والحام والسوداء ويأكل اللحم الزائد ويحسن اللون أكلاً ويضمد به مع بذر الكتان للسع العقرب ومع العسل والخل لنهش أم أربعة وأربعين وينفع من الجرب والحكة البلغمية والنقرس ويمنع من أوجاع المعدة الباردة ويحد الذهن ويشد اللثة المسترخية ويسهل خروج الثفل إلا أنه يضر بالدماغ والبصر والرتة . قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه : يا على ابدأ بالملح واختم
بالمح فانه شفاء من سبعين داء ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل فى النباتات والفواكه وخواصها

اعلم وفقنا الله تعالى جميعا إلى التفكير فى عجائب صنعته وغرائب
قدرته أن عقول العقلاء وأفهام الأذكياء قاصرة متحيرة فى أمر النباتات
وعجائبها وخواصها وفوائدها ومضارها ومنافعها وكيف لا وأنت تشاهد
اختلاف أشكالها وتباين ألوانها وعجائب صورة أوراقها وروائح أزهارها
وكل لون من ألوانها ينقسم إلى أقسام كالحمرة مثلا وردى وأرجوانى وسوسنى
وشقائقى وخمى وعنابى وعقيقى ودموى والكى وغير ذلك مع اشتراك
الكل فى الحمرة ثم عجائب روائحها ومخالفة بعضها بعضا واشتراك الكل فى
طيب الرائحة وعجائب أشكال ثمارها وجوبها وأوراقها دليل على وحدانية
الله سبحانه وتعالى ولكل لون وريح وطعم وورق وثمر وزهر وحب خاصية
لاتشبه الأخرى ولا يعلم حقيقة الحكمة فيها إلا الله تعالى والذى يعرفه
الإنسان من ذلك بالنسبة إلى ما لا يعرفه كقطرة من بحر

حكى المسعودى : أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة خرج ومعه
ثلاثون قضيبا مودعة أصناف الثمار . (منها) عشرة لها قشر وهى الجوز
واللوز والفسق والبندق والشاهبلوط والصنوبر والرمال والنارنج واللوز
والخشخاش . (ومنها) عشرة لا قشر لها وثمارها نوى وهى رطب
والزيتون والمشمش والخوخ والابجاص والعناب والنبيراء والدراقن
والزعرور والتبق (ومنها) عشرة ليس لها قشر ولا نوى وهى التفاح
والكمثرى والسفرجل والتين والعنب والأترج والخرنوب والبطيخ والقثاء
والخيار .

(النخل) هو أول شجرة استقرت على وجه الأرض وهى شجرة

مباركة لا توجد في كل مكان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كرموا
عما تكم النخل، وإنما سميت عمتنا لأنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام
ولأنها تشبه الانسان من حيث استقامة قدما وطولها وامتياز ذكرها من
بين الاناث واختصاصها باللقاح ورائحة طلعها كرائحة المني وطلعها غلاف
كالشيمة التي يكون الولد فيها ولو قطع رأسها ماتت ولو أصاب جمارها آفة
هلكت والجار من النخلة كالخ من الانسان وعليها الليف كشعر الانسان
وإذا تقاربت ذكورها وإناتها حملت حملا كثيراً لأنها تستأنس بالجاورة
وإذا كانت ذكورها بين إناتها ألقتها بالريح وربما قطع إلفها من الذكور
فلا تحمل لفراقه وإذا دام شربها للماء العذب تغيرت وإذا سقيت الماء المالح
أو طرح المالح في أصولها حسن ثمرها ويعرض لها أمراض مثل أمراض
الانسان.

(منها) الغم وعلاجه أن يقطع من أسفلها قدر ذراعين ثم تخلل بالحديد.
والعشق: وهو أن تميل شجرة إلى أخرى ويخف حملها وتهزل، وعلاجها أن
يشد بينها وبين معشوقها الذي مالت إليه بحبل أو يعلق عليها سعة منه أو يجعل
فيها من طلعه، ومن أمراضها منع الحمل وعلاجه أن تأخذ فأساً وتدنو منها
وتقول لرجل معك أنا أريد أن أقطع هذه النخلة لأنها منعت الحمل فيقول
ذلك الرجل لا تفعل فإنها تحمل في هذه السنة فتقول لا بد من قطعها وتضربها
ثلاث ضربات بظهر الفأس فيمسكها الآخر ويقول بالله لا تفعل فإنها تثر في
هذه السنة فاصبر عليها، ولا تعجل وإن لم تثر فاقطعها فثمر في تلك السنة
وتحمل حملاً طائلاً.

ومن أمراضها سقوط الثمرة بعد الحمل وعلاجه أن يتخذ لها منطقة من
الأسرب فتطوق به فلا تسقط بعدها أو يتخذ لها أوتاداً من خشب البلوط
ويدفن حولها في الأرض، ومن عجيب أمرها أنك إذا أخذت نوى تمر من
نخلة واحدة وزرعت منها ألف نخلة جاءت كل نخلة منها لا تشبه الأخرى

قال صاحب كتاب الفلاحة : إذا نعت النوى في بول البغل وزرعت منها مازرعت جاءت نخله كلها ذكورا وإن نعت النوى في الماء ثمانية أيام وزرعت جاء بسره كله محمراً وإن نعت النوى في بول البقر أياماً وجففته ثلاث مرات وزرعت جاءت كل نخلة تحمل حملاً قدر نخلتين وإذا أخذت نوى البسر الأحمر وحشوته في ثمر الأصفر وزرعت جاء بسره أصفر وكذلك بالعكس وكذلك فلاحه النوى المتناول والنوى المدور .

(وكيفية) غرسه أن يجعل طرف النوى الغليظ بما يلي الأرض وموضع النقيير إلى جهة القبلة .

وحكى أن بعض الرؤساء أهدى له عذق واحد فيه بسرة حمراء وبسرة صفراء . وحكى أن قرية بنهر معقل كانت نخلها كلها تخرج الطلع في السنة مرتين . وحكى أن بالسكن من أعمال بغداد نخلة تخرج كل شهر طلعة واحدة على عمر السنين ، وكان في بستان ابن الخشاب بمصر نخلة تحمل أعذاقها في كل عذق بسرة نصفها أحمر ونصفها أصفر والأعلى أحمر والأسفل أصفر والعذق الآخر بالعكس فوقاني أصفر والتحتاني أحمر .

وعن بعض ملوك الروم أنه كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد بلغني أن بيلدك شجرة تخرج ثمرة كأنها أذان الحرم تنشق عن أحسن من اللؤلؤ المنظوم ثم تنحصر فتكون كالزمرذ ، ثم تحمر وتصفر فتكون كشذور الذهب وقطع الياقوت ثم تينع فتكون كأطيب الفالوج ثم تيبس فتكون قوتا وتدخر مؤنة الله درها شجرة وإن صدق الخبر فهذه من شجر الجنة فكتب إليه عمر رضي الله عنه صدقت رسلك وأنها الشجرة التي ولد تحتها المسيح وقال إني عبد الله فلا تدع مع الله إلها آخر

ووصف خالد بن صفوان النخل فقال : هي الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحل الملقحات بالفحل المينعات كشهد النحل تخرج أسفاطاً غلاظاً وأوساطاً كأنما ملئت حلاً ورياطاً ثم تنشق عن قضبان لجين وعسجد

كالشذر المنضد ثم تصير ذهاباً آخر بعد أن كانت في لون الزبرجد ومن خواص النخلة أن مضغ خوصها يقطع رائحة الثوم وكذلك رائحة الخمر، شعر: كأن النخيل الباسقات وقد بدت لناظرها حسناً قباب زبرجد وقد علقت من قلبها زينة لها قناديل ياقوت بأمراس عسجد (النارجيل) وهو الجوز الهندي زعم أهل اليمن والحجاز أن شجر النارجيل هو شجر المقل لكنها أثمرت نارجيلاً لطيب طبايع التربة والآهوية وأجوده الطرى ثم جديد عامه الأبيض وهو حار يابس يزيد في الباء وقوة الجماع وينفع من تقطير البول ودهن العتيق منه ينفع البواسير والريح ويقتل الدود شرباً ولبن الطرى منه كثير الحلاوة وليفه يتخذ منه حبال للسفن (الاجاص والقراصيا) هما أخوان كالشمش والخوخ الزهري. والاجاص نوعان: أحدهما يستعمل في الأدوية وأصغر منه، وهو الذي يقال له الخوخ التلباشري وهو أحلى من الأول. والقراصيا أيضاً نوعان: أحدهما البرقوق وهو حلو أغبر، والآخر أسود حامض. قال صاحب كتاب الفلاحة، من أراد أن يكونا بلا نوى فليشق أسافل قضبانها شقاً متوسطاً وقت غرسهما وليخرج من أجوافهما مخهما وهو صوفة وسط القضيبي إخراجاً بلطف ويضم بعضها إلى بعض ويربطها بشيء من الخشيش أو البردي ويغرسهما مع بصل العنصل فانهما يشمران ثمراً بلا نوى وكذلك يفعل بالرمان فيخرج حبه بلا نوى.

(العناب) منه برى ومنه بستانى وهو كثير الحمل ولشجره شوك ومتى أحرق في أصله شيء من شجر الجوز حمل حملاً كثيراً، وكذلك إن أحرق في أصل الجوز شجر العناب وهو معتدل بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليوسة ينفع من حدة الدم لتغليظه له وينفع الصدر والرئة ويحبس الدم والماء المطبوخ فيه العناب نافع فانه يبرد ويرطب ويسكن الحدة والذعة

والذي في المعدة والأمعاء والسعال عن حرارة ويلين خشونة الصدر والحنجرة
إلا أنه يولد بلغمًا وهو عسر الهضم قليل الغذاء .

(الزيتون) نوعان : منه بستاني وبري ، والبري هو الأسود وشجرته شبيهة
بمباركة لا تثبت إلا في البقاع الشريفة الطاهرة المباركة . قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : إن آدم وجد ضربانا في جسمه ولم يعهده فشكا إلى
عز وجل فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يفرسها يأخذ
ثمرها ويعصره ويستخرج دهنه وقال له إن في دهنه شفاء من كل
إلا السم . ويقال إنها تعمر ثلاثة آلاف سنة .

ومن خواصها أنها تصبر عن الماء طويلا كالنخل ، ولا دخان لحشبها
ولا لدهنها وإذا لقط ثمرتها جنب فسدت وقل حملها وانثرت ورقها ، وينبغي
أن تفرس في المدن لكثرة الغبار فإن الغبار كلما علا على زيتونها زاد
ونضجه ، وإذا دهقت حولها أو تادأ من شجر البلوط قويت وكثرت ثمرتها
وإذا علق على من لسهه شيء من ذوات السموم من عروق شجر الزيتون بر
لوقته وإذا أخذ ورقه ودق وعصر ماؤه على اللدغة منع سريان السم وكذلك
من سقى السم وبادر شرب عصارة ورقها لم يؤثر فيه السم وإذا طبخ ورقها
الأخضر طبخاً جيداً ورش في البيت هرب منه الذباب والهام وإذا طبخ
بالخل وتمضمض به نفع من وجع الأسنان وإذا طبخ بالعسل حتى يصير
كالعسل وجعل منه على الأسنان المتأكلة قلعتها بلا وجع ، ورماد ورقها
ينفع العين كحلا ويقوم مقام التوتيا ، وصمغها ينفع من البواسير إذا ضم
به وإذا نقع ورقها في الماء وجعل فيه الحبز فاذا أكله الفأر مات لوقته وصمغ
الزيتون البري ينفع من الجرب والقوباء ووجع الأسنان المتأكلة إذا حشيت
به وهو من الأدوية القتالة .

(والزيتون) المملوح يقوى المعدة ويضر بالرة والأسود منه يورث
سهرًا وصداً وخطأ سوداويًا والخل يكسر نصف شره . قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : عليكم بالزيت فانه يسهل المرة ويذهب البلغم ، ويشد العصب ، ويمنع الغثى ، ويحسن الحلق ، ويطيب النفس ، ويذهب الهم .
وقال صلى الله عليه وسلم : « كلوا الزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة » ، وهو حار رطب موافق لوجع المفاصل ، وعرق الانسى ، ويسهل مع ماء الشعير شرباً ، ويتقايأ به مع الماء الحار فيكسر عادية السموم لدغا وشرباً (وزيت الزيتون البرى) ينفع من الصداع واللثة الدامية مضمضة ويشد الاسنان المتحركة ونواه ييخر به لأوجاع الضرس وأمراض الرئة .
وقد قيل فى الزيتون :

أنظر إلى زيتونا فهو شفاء المهج
بدا لنا كأعين قد كحلت بالدعج
مخضره زبرجد مسوده من سبج

(التمر هندى) هو ألطف من الاجاص وأقل رطوبة وأجوده الجديد الطرى وهو بارد يابس يسهل المرة الصفراء ، ويمنع حدتها ويطفئها وينفع من القى والعطش ومن الحيات والغثى والكرب إلا أنه يضر بالصدر وأصحاب السعال .

(الغبيراء) خشبها أصبر من كل خشب على الماء كاللوز والتوت وزهرتها إذا شمتها المرأة حاجت بها شهوة الجماع حتى تطرح الحياء ، والتنقل بثمرها يطفىء السكر ويحبس القى . وينفع من إكثار البول

(الخوخ) هو أخو المشمش ومشاكل له فى كل أموره إلا فى البقاء فان المشمش أطول عمراً منه لأن الخوخ أكثر ما يحمل أربع سنين والحر والبرد يهلكه وهو نوعان : شعرى وزهرى . قال صاحب كتاب الفلاحة : « إذا أخذ القضيب من شجر الخوخ ونقع فى بول إنسان سبعة أيام ثم تثقب شجرة الصفصاف ثقباً نافذاً متسعاً بحيث يدخل فيه قضيب القصب وتدخل القضيب فى ذلك الثقب حتى يخرج من الجانب الآخر ثم تطين الموضع

المشعوب وتقطع ما فضل من القضيبي من الجانبين بعد ذلك بسبعة أيام فان
يثمر ثمراً بلا عجم وإذا أردت تلوين ثمرتها فشق النواة فان أردت لونها أحمر
فضع في النواة زنجفراً مسحوقاً ناعماً ، وإن شئت أصفر فزعفراناً ، وإن
شئت أخضر فزنجاراً ، وإن أردت أزرق فلازورد ونبيلة ، وإن شئت
أبيض فاسفيداجاً ثم ترد قشرة النواة على القلب رداً موافقاً وتعصها وتزرعها
فان ثمرتها نجى. على اللون الذي وضعت في النواة بلا مغايرة وإذا حفرت
أصل الشجرة في أول كانون وثقبته وجعلت فيه قصبه من قصب السكر ثم
تتركها خمسة أيام ثم تسقيها فانها تحمل حملاً حلواً وكذلك طعم نواه. وخاصة
ورق الخوخ أنه يقطع رائحة النورة من الجسد إذا سحق ناعماً ووضع في
الدلوك مع ماء الليمون والشيرج ، ويقتل الدود الذي في باطن الانسان إذا
طلبت به السرة ، ويقتل دود الأذن إذا قطر فيه من عصارتها ، والخبوخ بارد
رطب وهو يزيد في الباه ويضر بالمبرودين ويشهى الطعام ، ولا يحمض في
المعدة بخلاف المشمش.

(المشمش) هو شجر يسرع إليه الفساد عند النشوء إلا أنه إذا نبت
طال مكثه . قال صاحب كتاب الفلاحة : من أراد أن تعظم هذه الشجرة
عنده فلينزع أكثر ثمرتها عند أول نشئها وحملها ولا يترك عليها من الحمل إلا
شيئاً قليلاً في أغصان قوية منها وهي تشبه الخوخ في جميع أحواله وإن
فعلت بها جميع ما ذكرته في الخوخ من الألوان والأصباغ قبلت ذلك وإن
أردت المشمش بلا نوى فاقطع وسط ساق شجرتها حتى تبلغ قلبها ثم اضرب
في ذلك الموضع وتدأ من خشب بلوط فان تلك الشجرة تحمل مشمشاً بلا نوى
ومتى ركب اللوز في المشمش اكتسب من طعمه وحلاوته . وأما خاصيته
فعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن نبياً
من الأنبياء بعثه الله إلى قومه وكان لهم عيد يجتمعون فيه في كل سنة فأتاهم
النبي في ذلك اليوم ودعاهم إلى الله تعالى فقالوا له : إن كنت صادقاً فادع لنا

ربك يخرج لنا من هذا الخشب اليابس ثمرة على لون ثيابنا وكانت ألوانها مزعفرة ونحن نؤمن لك فدعا ذلك النبي ربه عز وجل فاحضر الخشب وأورق وأثمر بالشمس الأصفر فمن أكل منه ناويا للإيمان وجد نواه حلوا ومن أكل على نية أن لا يؤمن وجد نواه مرأ . وورقها إذا مضغ أزال وجع الضرس والشمس بارد رطب ورطبه سريع العقوة يولد الحيات بسرعة ويبرد المعدة ويفسد الطعام الذي في المعدة وقديده إذا نقع أزال الحيات ونواه إذا نقع وأكل أحدث غشيا وكربا وغثيانا ودهن لب المر منه له منافع حكى أن طبيا مر برجل يغرس في شجر الشمس فقال له : ما تصنع ؟ قال : أعمل لي ولك . قال الطبيب كيف ذلك ؟ قال أتفنع أنا بالثمرة ونمنها وتنتفع أنت بمرض من يأكلها .

(التفاح) هو أصناف حلو وحامض وعفص ومز ومنه مالا طعم له وهذه الأصناف في التفاح البستاني وذكر أن بأرض اصطخر تفاحا نصف التفاحه حامض ونصفها حلو ومتى ركب التفاح في الرمان يحمر ويحلو ومتى صب في أصله أو في أصل الدراق بول الناس احمر ومتى غرس في أصلها ورد أحمر يحمر ومتى طرحت زهرتها تسقى الخمر ٧ ومتى صب في أصل الشجرة من التفاح بول امرأة برأت من سائر أمراض الشجر ومتى غرس في أصلها العصفر أو حولها لم تدود ثمرتها ، ومتى أردت أن تكتب على التفاح الاحمر بالابيض فاكتب عليها وهي خضراء بالمداد لا إله إلا الله أو ماشئت وتركته إلى أن يحمر ثم مسحت المداد فتخرج الكتابة وما تحتها أبيض ليس به حمرة وكذلك إذا قصبت ورقة ورسمت فيها ماشئت من النقوش وألصقتها على التفاح قبل احمراره تجد النقش بعد الاحمرار أبيض وإذا قل ثمرها وانتثرت زهرتها أو ورقها فعلق عليها صفيحة من رصاص وأرخها حتى يبقى بينها وبين الأرض شبر وإذا خرجت الثمرة وصلحت فارفع عنها الصفيحة خاصة هذه الشجرة : عصارة ورقها تسقى لمن سقى السم أو نهشته

حية أو لدغته عقرب مع حليب ما عزالا يؤثر فيه السم ولا النهشة ولا اللدغة
وشم زهر التفاح يقوى الدماغ ، وأجوده الشامي ثم الأصقها في والتفاح
الحامض بارد غليظ مضر بالمعدة ومنسى الانسان ليس فيه نفع ظاهر والحلو
منه معتدل الحرارة والبرودة وشمه وأكله يقوى القلب ويقوى ضعف المعدة
وهو نافع من السموم وقشره ردىء الجوهر مضر بالمعدة ولا يؤكل بقشره
وكثرة أكله بقشره تحدث وجعاً في العصب وإذا أردت أن التفاح يبقى مدة
طويلة فلفه في ورق الجوز واجعله تحت الأرض أو في الطين

(الكثرى) هو أنواع كثيرة وسائرهما يبلغ عروقها الماء تحت الأرض
قال صاحب كتاب الفلاحة من أحرق شيئاً من شجر الدلب وشجر اللوز
بالسوية في أصول شجر الكثرى أخرج حملاً في غير أوانه ، ومن ركب
الكثرى على التين أخرج كثرى حلوا لطيفا دقيق البشرة سريع النضج ، ومن
أراد أن لا يقرب ثمرتها دود فليطل ساقها بمرارة البقر وزهره يؤثر تقوية
الدماغ وأجوده الذكي الرائحة الكثير الماء الرقيق البشرة الصادق الحلاوة
الشديد الاستدارة وهو بارد يابس وأكثر الفاكهة غذاء سيما الحلومنه
وحلوه ملين وحامضه قابض جداً وهو يقوى المعدة ويقطع العطش ويسكن
الصفراء إلا أنه يحدث القولنج ويضر بالمشايخ وإذا أدخل الغذاء منع بخار
المعدة أن يترقى إلى الرأس وهكذا الموز وجهه يقتل دود البطن .

(السفرجل) هو أصناف حلوة وحامض ومن وعفص وهو حياة للنفس
قال صاحب كتاب الفلاحة إذا أردت أن تتخذ تماثيل من السفرجل فخذ
عوداً وانحته على أى تمثال أردت ثم خذ من طين الفخار فلبسه لذلك القالب
الذى عملته ثم اتركه حتى يجف بعض الجفاف ويكون القالب الذى وضعه
في الفخار قطعتين ثم تنزع العود المنحوت من القالب الفخار وتطبقه على
السفرجلة وهي كالجوزة أو دونها وتعصبه بخرق من قطن عصباً وثيقاً وتشد
خيطة من العصابة إلى غصن آخر من فوق السفرجلة المذكورة بحيث لا تثقل

فتسقط فاذا بدا صلاح السفرجل فاقطع الخيط وحل العصاة وفك القالب
تجد السفرجلة قد تكونت على الهيئة التي وضعتها من الصور والأشكال
وهو مما يخرق العقل ، ورماد ورق السفرجل يفعل في العين فعل التوتياء
وكذلك رماد خشبه ولزهره خاصية عظيمة عجبية في تقوية الدماغ وتفريح
القلب والسفرجل منافع كثيرة غير أن في ثقله قبضا فينبغي أن يؤكل
بلا ثقل .

روى يحيى بن طلحة عن أبيه قال : دخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويده سفرجلة فألقاها إلى وقال : دونكها فانها تحي
الفؤاد وتنقيه .

وروى الفضل بن العباس أنه صلى الله عليه وسلم كسر سفرجلة
وناول منها جعفر بن أبي طالب وقال له : كل فانه يصفى اللون ويحسن الولد
ومن عجيب أمره أنه إذا قطع بسكين نشف ماؤه وإذا كسر كان رطبا
مائيا ، وهو بارد يابس يزهر اللون ويسر النفس ويدر البول ويمنع من
القيء والحى ويسكن العطش ويقوى المعدة ويحبس نزف الدم والحامل إذا
دامت على أكله سيما في شهرها الثالث كان ولدها حسن الوجه ذكي الفهم
ورائحته تقوى الدماغ والقلب وإذا طبخ بالعسل نفع من عسر البول
الكثرة من أكله تولد القولنج والمغص ووجع العصب ، وفي أكله بعد
الطعام إطلاق للبطن وإذا وضعت السفرجلة في موضع فيه أنواع الفواكه
أفسدت الكل وإذا أردت السفرجل أن يقيم زمانا فضعه على نشارة الخشب
أو على التبن .

(التين) هو أصناف ، قال صاحب كتاب الفلاحة : إذا أردت غرسه
فاجعل قضبان القصب في الماء المالح يوما ثم اجعله تحت خثي البقر واغرسه
فان شجرته تطيب جدا وثمرته تنبل وتزكو حلاوتها وإذا سقيتها ماء الزيتون
لا يسقط من ثمرتها شيء ومن عجيب أمر التين أن الطيور إذا أكلته وذرقته

على الجدار التدي والاما كن التدية تنبت أيضا وتشجر وشمر ، ومن أخذ
 من السقمونيا غصنا وعمد إلى شجرة التين وسلخ منها موضعا وركب فيه
 غصنا من السقمونيا كتركيب سائر الأشجار وليكن ذلك إذا بلغت الشمس
 من الجددي ست درجات أو سبعا أو ثمانيا ودار حول شجرة التين سبع دورات
 ثم وضع الغصن عند فراغ سابع دورة في شجرة التين وعصب التركيب فانها
 تنبت تينا كاللدواء المسهل من أكل منها تينتين كان كشرب شربة وإذا غسلت
 شجرة التين بالماء الحار هلكت وخشبها ينفع من لسع الرتيلا نقعا بالماء
 وشربا ومسحا وتعليقا ولبن عيدانه إن قطر على موضع اللسعة لم يسر السم
 في الجسد وقضبانها تهري اللحم في القدر إذا طبخت معه وإذا نثر رماد
 خشب التين في البساتين هلك منها الدود وإذا دق ورق التين مع الفج منه
 على عضه الكلب الكلب نفعه وعصارة ورقها تخلص آثار الوشم ، قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، وقد وضع بين يديه التين : لو قلت إن ثمرة نزلت من الجنة
 لقلت هذه كلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ، وعن ابن عباس
 رضى الله عنهما ، أقسم الله بهذه الشجرة لأنها تشبه ثمار الجنة لا قشر لها
 ولا نوى وهي على قدر اللقمة وأجوده المائل إلى البياض ثم الأصفر ثم الأسود
 وأجود أصنافه الوزيري والتين حار رطب وهو أغذى من سائر الفواكه
 وأسرع نفوذا وهو يصاح اللون الفاسد ويوافق الصدر ويسكن العطش الذي
 من البلغم المالح ويمنع الاستسقاء وينفع من لسع العقرب والرتيلا وأكله
 أمان من السموم وإذا استعمل منه على الريق عشرة مع قلب الجوز كان له
 نفع عظيم ومع اللوز فكذلك والفرغرة بمائه مطبوخة تحلل الخواثيق ولبنه
 يذيب الجامد من الدماء والألبان ويلطخ بلبه الدمامل فتتضج ويقطر على
 التأليل فيقطعها وعلى الجراحات التي عليها اللحم الفاسد فينقيها والاكثر
 من أكله بالخبز يورث القمل في البدن ودخان التين يهرب منه البق والبعوض .
 (الغب) الكرمة أكرم الشجر وثمارها أشرف الثمر للناس بفلاحها

عناية عظيمة لما في العنب من الخاصة وقد صنفوا كتباً فيها يتعلق بفلاحة
 الكرم الدوالي لأنها أقل عملاً وأخف مؤنة وأكثر حملاً وأجود عصيراً .
 ومن عجيب أمرها أنك إذا أخذت من قضبانها التي فيها قوة الحمل وغرسها
 تأتي في أول سقتها بالعناقيد ويكون بينها وبين الغرس شهران وهذا الأمر
 لا يتفق في شيء من الشجر أصلاً ، قال صاحب كتاب الفلاحة : إذا أردت
 أن ترى من الكرمة عجبا من كثرة النفع وقوة الأصل وزيادة الحمل وسرعة
 الإدراك فخذ قضبان غرسها من شجرة قرية العهد ثم اغرسها في النصف
 الأول من الشهر والطح رأس القضيب بنخى البقر وابذر في جورة غرسها
 شيئا من البلوط والتانخواه والباقلان فان شجرتها تكون في غاية العجب ومخالفة
 لسائر الكروم وإذا أخذت قضيا من العنب الأبيض وقضيا من الأسود
 وقضيا من الأحمر وشققتهما بحيث لا يقع شيء من قشورها ولففت بعضها
 ببعض وغرسها فان القضبان كلها تخرج ساقا واحدا وتحمل الألوان الثلاثة
 شجرة واحدة وإذا أردت أن تسود العنب الأبيض فاحفر عن أصل الكرمة
 واسقها شيئا من النفط الأسود فان أردت أن لا يقع في الكرم دود فاقطع
 طاقاتها بمنجل قد لطح بدم ضفدع أو دم دب وإذا أردت أن يسلم من البرد
 فدخلن الكرم بزرل بحيث يصل الدخان إليها جميعا وانثر عليها ثمرة الطرفاء
 وإذا حملت الكرمة فأخذت من نوى الزبيب أو العنب وطمر في أصلها أسرع
 إدراك ثمرها وعصير كل عنب على لون أرضه لا لون حبه وماء الكرم الذي
 يتقاطر من قضبانها بعد كسحها يجمع ويسقى للشغوف بالخمر بعد شرب
 الخمر من غير علمه فانه يبعث الخمر قطعاً وينفع للجرب شرباً ويدق ورقها
 ناعماً ويضمده به الصداع فيسكنه وأصناف ثمرها كثيرة وأعجبها عيون البقر
 وهي كالجوز وأصابع العذارى وهي كالأصبع المنضوبة وربما بلغ العنقود
 منه طول ذراع والعنب أوقية بالمصرى ويقال إن في بعض الكتب المنزلة
 أن تكفرون في وأنا خالق العنب . وقشر العنب بارد يابس والعنب جيد الغذاء

مقوى للبدن يسمن بسرعة ويولد دما جيدا وينفع الصدر والرئة والمقطوف لوقته ينفع ويحرك البطن ويقوى شهوة الجماع ويقوى مادة المنى وجهه ينفع من لسع الهوام والافاعي دقا وضمادا .

(الحصرم) أجود ماء الحصرم المعتصر باليد وهو بارد يابس ينفع من الصفراء ومن الحرارة الملتبة ويولد رياحا ومفصا ويضر بالعصب والصدر (الزيب) أجوده الكثير اللحم الصادق الحلاوة ، وقيل إنه اهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزيب ، فقال : بسم الله كلوا ندم الطعام الزيب يشد العصب ويذهب الوصب ويطفي الغضب ويرضى الرب ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفي اللون ، والزيب حار رطب وجهه بارد يابس والزيب تحبه المعدة والكبد وهو جيد لوجع الأمعاء وينفع الكلى والمثانة ويعين الادوية على الاسهال إذا أخذ منه عشرة دراهم ونزع عجمها أطلق البطن والقليل اللحم منه يقوى المعدة ويحبس الدم ويضر الكلى .

(القشمش) هو زيب صغير حلو أحمر وأخضر وأصفر ، ويحكى عن أصحابه أنهم قالوا ما زيب من قشمشنا في الشمس جاء أحمر وما زيب معلقا جاء أصفر وما زيب في البيوت جاء أخضر وهو كالزيب غير أنه لا عجم له . (الخر) أول من استخرج الخر جمشيد الملك فانه توجه مرة إلى الصيد فرأى في بعض الجبال كرمه وعليها غنب فظنها من السموم فأمر بحملها حتى يجربها ويطعم الغنب لمن يستحق القتل فحملوها فتكسرت حباتها فعصرها وجعلوا ماءها في ظرف فإعاد الملك إلى قصره إلا وقد تخمر العصير فأحضر رجلا وجب عليه القتل فسقاه من ذلك فشربه بكره ومشقة فنام نومة ثقيلة ثم انتبه ، فقال اسقوني منه فسقوه أيضا مرارا ولم يحدث فيه إلا السرور والطرب فسقوا غيره وغيره فذكروا أنهم انبسطوا بعد ما شربوه ووجدوا سرورا وطربا فشرب الملك فأعجبه ثم أمر بفرسه في سائر البلاد وقيل إن ملك السريان وهو أحد الأخوين اللذين اشتركا في الملك رأى يوما طائرا

وقد قصدت حية فراخه فرمى الملك الحية بسهم فقتلها فغاب الطائر وآتى بثلاث حبات عنب في منقاره ورجليه ورماها بين يدي الملك فعلم الملك أنها مكافأة له على فعله فزرعها فعلمت وأينعت وأثمرت فلم يجسر الملك على استعماله خوفاً من أن يكون قاتلاً أو مضرًا فعصره وأودعه في الآنية فغلي وقذف بالزبد وفاحت رائحته فتعجب الملك لذلك فسقى منه شخصاً وجب عليه القتل فطرب ورقص وأظهر سرورا ثم انتبه وذكر ما حدث له من السرور والطرب فصر به الملك وأمر بغرسه في البلاد. والأسود من الخربطى الانحدار ردى الكيموس قوى الحرارة والايض قليل الحرارة سريع الانحدار ومن لازم شربها حصل له خلل في جوهر العقل ووجع في الكبد والطحال وقلة شهوة الغذاء وضعف في الباه وفساد في الدماغ ويحدث النسيان والبخر في الفم والرعدة والربيع وضعف البصر والعصب والحمايات والسكتة والصرع وموت الفجأة وشربها على الريق بعد التعب يحدث خفقانا في القلب وقساوة والتهابا وأوجاعا. وما يمنع السكر بزر الكرنب وبزر الحصرم وأكل الفالودج وشم اللينوفر وأعظم ذمها كونها مفتاحا لكل شر وجالبة لكل سوء وضرر وميمية للقلب ومسحطة للرب، نسأل الله تعالى أن يتوب علينا وعلى كل وأن يلهمنا رشدنا ويأخذ بناصيتنا إلى الخير بمحمد وآله.

(الخل) المتخذ من الخمر بارد يابس يمنع انصباب المواد إلى داخل البدن ويلطف ويعين على الهضم وخصوصا مع وجود الشيب والتغرغره يمنع سيلان الخلط إلى الحلق ويمنع نزف الدم وينفع من الجرب والقواحي وحرق النار ووضعه على الرأس يمنع الصداع الحار وهو صالح للعدة الحارة ويفتق الشهوة ويبرد الرحم وينفع المنهوش وشربه مسخنا ينفع لمقاومة السموم والأدوية القتالة.

(التوت) وهو القرصاد وهو أعز الأشجار لأن دود القز لا يأكل إلا منه، قال المعتصم لعمال البلاد استكثروا من غرس التوت فإن شعثا

حطب وثمرها رطب وورقها ذهب ، وهو أنواع والأسود منه بارد يابس وإذا وضع الأسود منه على لسع العقرب سكنه في الحال والابيض منه حار رطب رديء الغذاء مفسد للمعدة لكن يدر البول .

(الرومان) هي من الأشجار التي لا تقوى إلا بالبلاد الباردة المعتدلة . روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ما ألقت رمانة قط إلا بحبة من الجنة . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إذا أكلتم الرومان فكلوها ببعض شحمها فإنه دباغ للمعدة وما من حبة منه تقيم في جوف مؤمن إلا أنارت قلبه وأخرجت شيطان الوسوسة عنه أربعين يوما ، وأجوده الكبار الحلو والمليسي . وهو حار رطب يلين الصدر والخلق ويجلو المعدة وينفع من الخفقان ويزيد في الباه وقشره تهرب منه الهوام .

(الأترج) هي شجرة حارة ولا تنبت إلا في البلاد الحارة وتقيم نحو عشرين سنة ومتى مستها حائض أو أخذ من ورقها جنب فسدت شجرته . وقشر الأترج حار يابس ولحمه حار رطب وحماضه بارد يابس وجهه حار رطب وأجوده الكبار وهو يصلح لفساد الهواء والوباء ولحمه رديء للمعدة ويشهى الطعام وينفع من الخفقان ويسهل الصفراء .

(النارنج) شجرة لا يسقط ورقها كالنخلة ، قال صاحب كتاب الفلاحة إذا زرعت النرجس تحت شجرة النارنج تبدلت حموضتها بالحلاوة ودواء مرض شجرة النارنج أن تسقى دم إنسان من فصد وغيره مخلوطا بالماء . خاصية ورقها إذا مضغ طيب النكهة ويذهب رائحة الثوم والبصل والخمر ورائحة زهرها تنفع الدماغ وتقوى القلب وتحلل مواد الرياح الباردة .

(الليمون) هو نبات هندي ولا يصح ويقوى إلا بالبلاد الحارة وورقه وقشره حار يابس وحماضه بارد يابس وماؤه كذلك ينفع من الصفراء ويسكن العطش ويقوى المعدة والشهوة ويضر بالصدر والعصب وهو مشا كل للأترج في أفعاله وله خاصية عظيمة في دفع السموم ونهش الحيات والأفاعي .

ومن عجيب أمره ما حكى عنه أبو جعفر بن عبد الله الصيني ، قال : كانت لي ضيعة على نهر الدير بالبصرة وكنت أقيم بها وبحوارى بستان ظهرت فيه حية أطول من عشرة أشبار في عرض جراب ودوره وكثرت جنباياتها وأذاها فطلبت حواء لصيدها أو يقتلها فجاء رجل فدللته نحو وكرها فبخر بدخنة كانت معه فلم يشعر إلا والحية قد خرجت إليه ، فلما رآها الرجل وهاله أمرها ولي قهشته فمات في الحال واشتهر أمرها وهابها الناس وامتنع الحوامون من الحضور إليها فجاء لي رجل بعد مدة ، وقال قد بلغني أمر الحية وفسادها وتعاضم إذاها فداني عليها ، فقلت قد قتلت حواء ، فقال هو أخي وقد جئت لآخذ بثاره أو أموت كما مات فأرنيها ، فقلت له اعبّر البستان و اجلس في طبقة تطل على البستان أنظر ما يكون منه فأخرج دهنًا كان معه فادهن به وصلى ودعا ودخن كما دخن أخوه فخرجت إليه هائشة فما تزعزع عن مكانه ، فلما قربت منه هجم عليها وطلبها فهربت منه فقبض عليها فالتفت إليه ونهشته فمات من وقته فترك الناس الضيعة ورحلوا من أجلها وقالوا لا مقام لنا في جيرة هذه السخطة فجاءني بعد أيام رجل آخر فسألني عنهما وعن الحية فأخبرته بما كان ، فقال والله هما أخوأي وجئت لآخذ بثارهما أو أموت كما ماتا ولا بد لي منها فأريته البستان وجلست في الطاقة لأنظر ماذا يصنع فأخرج دهنًا وادهن به ودخن كأخويه فخرجت إليه فطلبها فوقفت له تحاربه ثم تمكن من قفاها وقبض عليها فالتفت وعضت إبهامه فغزمها وجعلها في سلة كبيرة أحضرها معه وبادر إلى إبهامه فقطعها وأشعل نارا وكواها فحملناه إلى الضيعة فرأى ليمونة بكف صبي فقال أعندكم من هذا شيء قلنا نعم ، قال اتوني بما تقدرون عليه فأتيناه بكثير منه فجعل يقضم ويأكل ويدهن به موضع السعة وبات فأصبح سالما ، فقال ما خلصني الله سبحانه إلا بهذا الليمون وقطع رأس الحية وذنبا ورمى بهما وغلى على بدنهما وطبخه وأخذ دهنه ومضى .

(اللوز) أجوده الطرى الكثير الدهن وهو معتدل الحرارة والرطوبة يغذى غذاء حسنا ويسمن وينفع الصدر والسعال ونفث الدم ويلين البطن خصوصا إذا كان مع التين وينفع من عضه الكلب الكلب . والمر منه حار يابس وهو جيد للشرى مع الشراب ودهنه ينفع من وجع الأذن ويمنع صداع الرأس وأكله قبل السكر يمنع السكر وهو يقوى البصر ويفتح سدد الكبد والطحال والكلى .

(الجوز) ينبت بنفسه ولا يصح إلا فى البلاد الباردة وهو حار يابس بطىء . الهضم إلا أنه ينصلح مع التين ودهنه ينفع من الحمرة وقشره يحبس نزف الدم ويضمد به لعضه الكلب الكلب وكثرة أكله تورث ثقلا فى اللسان .

(البندق) حار مع يوسة وإذا خط على العقرب حلقة يعود البندق لا يقدر أن يخرج منها وهو يزيد فى الباه وشهوة الجماع مع السكر مدقوقا وينفع من نهش الهوام خصوصا مع التين أكلا وضادا وإذا طلى مدقوقا على يافوخ الطفل الأزرق العينين ردهما سوداوين .

(الشاهلوط) ينفع لادرار البول وينفع من السموم ونزف الدم .
(الفستق) حار يابس أشد حرارة من الجوز يفتح سدد الكبد ويقوى فم المعدة ويمنع من الغثيان ومن نهش الهوام والسعال البلغمى ولدغ العقارب ويزيد فى الباه .

(الصنوبر) حار يابس يمنع الرطوبات من البدن ويزيد فى الباه مع عقيد العنب .

(الفلفل) حار يابس فيه جذب وتحليل وهو عدو البلغم اللزج ويلطف الأغذية ويشهى الطعام ويدر البول وينفع ظلمة البصر .

(القرنفل) حار يابس يطيب النكهة ويحد البصر وينفع من الغشاوة ويمنع القيء والغثيان ويقوى الكبد وقدر ما يؤخذ منه نصف مثقال مع مثليه سكر نبات مسحوقين منخولين .

(الخولنجان) حار يابس يحلل الرياح وينفع من القولنج ووجع الكلى ويهيج الباه ويطيب النكهة ويهضم الطعام ويصلح المعدة ويطرد البلغم والرطوبة المتولدة في المعدة وينفع من عرق النساء ولين لا يضبط البول .
(الزنجبيل) هو كالفلفل في منافعه .

(المصطكا) حار يابس ملين وهو ينجز العظام المكسورة ومضغه يجلب البلغم من الرأس وينقيه ويطيب النكهة وينفع من السعال البلغمي ومن أورام الكبد ونزف الدم وفساد الرحم تحملا .

(خيار الشبر) معتدل في الحرارة والبرودة غسله يسهل المرة المحترقة ويطفي حدة الدم ويسكن وجعه وينذهب الورم العارض منه وينفع من الأورام الحارة في الأحشاء خصوصا في الحلق إذا تغرغ به بمرسا في ماء صلب الثعلب وإذا سقى مع التبريد أخرج رطوبات عجيبة وإذا سقى مع التمر هندي أخرج الإخلاط الصفراوية ونفع المحمومين وإذا سقى مع الهندباء نفع من القولنج ووجع المفاصل واليرقان وهو يسهل من غير أذى حتى الحوامل وهو يضر بالسفل وبدله نصف وزنه من ترنجبيل وثلاثة أمثاله من شحم الزبيب مع تبريد

(السرو) شجرة حسنة الهيئة قوية الساق يضرب بها المثل في استقامة هدها ومشق قامتها وخضرة ورقها وهو أخضر صيفا وشتاء والتدخين بأغصانها في البيت يطرد البق ويطيبه بالخل يسكن وجع الأسنان ويجعل من نشارته بنادق وتطرح في الدقيق الدرمك يبقى زمانا طويلا لا يفسد وورقه مع الشراب ينفع من عسر البول وإذا دق ورقها وطبا وجعل على الجراحة ألحها ورمادها ينفع من حرق النار وسائر القروح ذرورا وجوزها يطرد البق إذا دخن به .

(البطيخ) منه بستاني ومنه برى ، والبرى هو الخنظل ، والبستاني ثلاثة أصناف هندي وهو الأخضر وخراساني وهو العبدل وصيني وهو الأصفر

ثم الأصفر ثلاثة أصناف صيني وحلي وسمرقندي ، وفلاحتها كلها واحدة والطعوم والأشكال مختلفة وإذا نقع بزر البطيخ في العسل واللبن جاء في غاية الحلاوة ، وإذا نقع في ماء الورد شمت من بطيخه رائحة الورد ومتى دخلت المرأة الحائضة في المقناة فسدت وتغير طعمه وإذا أصاب بزر البطيخ أو القثاء رائحة الدهن جله كله مرأ ، وإذا وضع رأس حمار في وسط البطيخة دفع عنها جميع الآفات وأسرع نباتها وحملها وإدراكها . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن البطيخ كان أحب الفاكهة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تفكروا بالبطيخ وعصوا منه فإن ماءه رحمة وحلاوته من حلاوة الجنة ، ومن أكل لقمة من البطيخ كتب الله له ألف حسنة ومحاه عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة لأنه خرج من الجنة . وعن وهب بن منبه أنه وجد في بعض الكتب أن البطيخ طعام وشراب وفاكهة وجلاء وأشنان وريحان وحلاوة ونقل ينقي المعدة ويشهي الطعام ويصفي اللون ويزيد في ماء الصلب ويدر البول ويسهل الخام (الصيني) وهو الأصفر وهو ثلاثة أصناف وأطيه وأحلاه السمرقندي وأجوده العبدلي وهو بارد رطب يدر البول ويقلع الكلف والبهق الرقيق والوسخ وبزره أقوى جلاء من جرمه وقشره يلصق على الجبهة فيمنع النوازل من العين ولحمه ينفع من حصاة الكلى والمثانة وهو يستحيل إلى خلط ويرخي الجسد ويحدث هبضة وإذا فسد في الجوف فهو كالسم .

(القرع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا طبختم فأكثرُوا القرع فإنه يسكن قلب الحزين ، . ومن خواصه أن الذباب لا يقع عليه . ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت خرج كالطفل حين يخرج من بطن أمه فأثبت الله سبحانه وتعالى عليه في الحال شجرة من يقطين ثلاثين ليلة يقع عليه الذباب فيؤذيه فكشفت الشجرة حتى تصلبت بشرته وقويت أعضاؤه فأبسها والقرع بارد رطب ويسمى الدباء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتبع الدباء وهو يتنقى

غذاء يسيراً ، وينحدر سريعاً ، وهو جيد للصفراء وعصارتها تسكن وجع الأذن مع دهن ورد ، وينفع من أورام الدماغ وسليقه ينفع من السعال ووجع الصدر من حرارة ويقطع العطش إلا أنه يفسد في المعدة ويضر بأصحاب السوداء والبلغم ويضر بالأمعاء .

(القثاء والفقوس والعجور) فالقثاء بارد رطب يسكن الحرارة والصفراء ويدبر البول ويسكن العطش ويوافق المثانة وشبهه ينعش المغشى عليه وأكله ينفع من عضة الكلب الكلب وبزره يدبر البول ويحسن اللون طلاءً ويطلق الحرارة لكنه رديء الكيموس يهيج الحيات ويؤلم المعدة وكذلك الفقوس والعجور .

(الخيار) بارد رطب ينفع من الحيات المحترقة ويدبر البول إلا أنه يحدث العطش وشبهه ينفع المغشى عليه من حرارة ويحدث وجعاً في المعدة والخواصر .

(الباذنجان) حار يابس ينفع من نزف الدم ويورث أخلاطاً رديئة وخيالات فاسدة ويولد السوداء والسدد ويسود البشرة ويفسد اللون ويصفره ويولد الكلف والصداع .

(الأرز) بارد يابس يحبس البطن حبساً ليس بالقوى وإن لم تغسل عنه الحرارة التي عليه وإلا عقل البطن وأنفع ما أكل بالابن الحليب وأكله يزيد في النضارة بوجه الآكل ويخصب البدن ويرى أحلاماً صالحة .

(السمسم) حار رطب مغذ ملين محلل ينفع للسوداويين ولوجع الصدر والخشونة في الحلق ويزيد في المنى .

(الحمص) حار رطب ملين يدبر البول ويهيجه وينفع وينقى أكثر من الباقلا ويجلو النمش ويحسن اللون أكلاً وطلاءً وينفع من الأورام الحارة الصلبة ومن وجع الظهر ويصقن اللون .

(الكون) حار يابس يقتل الدود ويطرد الريح ويحمله ، وإذا غسل الوجه بمائه صفاه وكذلك أكله بقدر يسير ويدمل الجراحات ويقطع الرعاف مسحوقا مع خل وإذا مضغ وقطر ريقه في العين نفع الطرفة والدم السائل من العين .

(الكون الكرمانى) وهو الشونيز الأسود حار يابس يقطع البلغم جلاء ويحلل الرياح والنفخ ويقطع انثأليل وينفع الزكام البارد ويحمل مدقوقا في خرقه كتان ويطلّى به جهة من به صداع بارد .

(كراويا) حار يابس يطرد الريح ويخففه وينفع الخفقان ويقتل الديدان ويدر البول وقد يؤخذ منه درهم .

فصل في البقول الكبار

(القلقاس) حار يابس رطب يزيد في الباه ويولد الرياح .
(القنيط) حار يابس يفتح السدد ويشقى من الخثار وينفع من ضربة السكر ويولد رياحا .

(اللقت) حار رطب يغذى غذاء كثيراً ، ويولد المنى ، ويدر البول ويشهى الطعام إذا طبخ مرتين وطيب بالخل والخردل وماؤه ينفع البصر وهو يحرك شهوة الجماع .

(الفجل) حار رطب يقطع رائحة الثوم ويقوى الباه وينقى المعدة وماؤه إذا قطر في العين جلاها ، وبالشرب ينفع من نهش الأفاعى وإذا طرح ماؤه على العقرب ماتت لساعتها ومن أكل فجلا وسعته عقرب فلا يضره .

(الجزر) حار رطب ينفع من ذات الجنب والسعال المزمن ويهيج الباه
(البصل) حار يابس ملطف يحمر للبشرة يجذب الدم إلى خارج الجسد

كالخردل ويزيد في الباه وينفع من تغير المياه ويفتق الشهوة ويلين الصنع ويحسن اللون ويحد البصر .

(الثوم) حار يابس يسخن المعدة إسخانا ظاهراً ، ويضر بالمحرورين وينفع أصحاب الأمزجة الباردة الرطبة ، وينفع الأبدان المشرقة على الوقوع في الفالج ويخفف المني ويفتح السدد ويحلل الرياح ويطلق البطن ويقوم في جميع الأوجاع الباردة مقام الترياق الأكبر وله منافع كثيرة .
(الهليون) حار رطب يفتح السدد وينفع القولنج البلغمي والريحي وينفع عسر البول .

فصل في البقول الصغار

(الهندبا) قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : في كل ورقة من الهندبا وزن حبة من ماء الجنة وهو بارد رطب ، وهو يفتح السدد ويروق الدم وينفع الكبد والعروق .

(النعنع) حار يابس وفيه قوة مسخنة وهو أطف البقول الماء كولة جوهرها وعصارته تنفع من سيلان الدم من الباطن ويقوى المعدة ويسخنها ويسكن الفواق الكائن عن امتلاء ويهضم إذا أخذ منه اليسير .

(الزعتر البرى) سريع النبات بعيد من الآفات ، وهو حار يابس محلل ملطف يسكن وجع الضرس مضفاً ، وينفع من أوجاع الوركين والكبد والمعدة ويخرج الدود وحب القرع وينفع المغص وعضة الكلب الكلب (الكرفس) حار يابس يحلل النفخ ويفتح السدد ، ويسكن الأوجاع ويطيب النكهة وينفع من ضيق النفس ويبرد البول ويهيج شهوة الجماع من الرجال والنساء وطيبخه مع العدس يتقيأ به من سقى السم ينفعه .

(اسفناخ) بارد رطب ملين ينفع السعال والصدر والصفراء وينفع أوجاع الظهر الدموية وهو سريع الانحدار مضر بأصحاب الأمزجة الباردة

(الشومر) وهو الرازيانج حار يابس يستعمل لإسخاناً قوياً ويحلل الرياح ويفتح السدد ويحد البصر ويفتت الحصى من المثانة .
(الشبث) حار رطب مسخن مجفف منضج للأخلاق الباردة ويسكن الأوجاع ويفش الأورام وينفع الفواق .

فصل في حشائش مختلفة

(حب الرشاد) حار يابس وأكله يزيد في الذهن والذكاء ويهيج الباه وعصارته تنفع من نهش الهوام شرباً ومع العسل ضماداً ودخانها يطرد الهوام (حرمل) صالح لأوجاع المفاصل وفيه قوة مسكرة كاسكار الخمر وينفع من القولنج شرباً وطلاء وبزره ينقع في الخل ويرش في البيت فيطرد الذباب .

(سنا) أجوده الحجازي وهو حار يابس يسهل الصفراء والسوداء وينقي الفضول وقد يؤخذ منه خمسة دراهم .

(بسفنج) أجوده الغليظ الأخضر الأملس وهو حار يابس محلل للنفخ والريح والرطوبة ويسهل بلا مقص ولا كرب وينفع من نزف الدم (شير خشك) هو حار باعتدال وهو أقوى فعلاً من الزنجبيل (مر بطارخ) حار يابس مفتوح للسدد محلل للرياح وينفع مع الشراب شرباً للسهل العقارب والمعدة المسترخية .

(أشنان) هو حار يابس مفتوح محلل ووزن نصف درهم منه يحل عسر البول ، ودرهم يدر الحيض ، وثلاثة دراهم تسهل مائة الاستسقاء وهو يحلو الأسنان ودخان الأخضر يهرب منه الهوام .

فصل في البزور

(بزر قطونا) بارد رطب يصنع الحرارة والعطش ويسكن الصفراء (بزر مرو) حار رطب يسهل البلغم وقد يؤخذ منه زنة درهمين .

- (بزر البصل) حار يابس يحرك الباه من الامزجة الباردة .
 (بزر اللقت) حار رطب يزيد في قوة الجماع وقد ر ما يؤخذ منه وزن درهمين .
 (بزر الجزر) حار يابس يهيج الباه ويدبر البول والحيض وينفع من لسع الهوام شربا وضادا
 (بزر السذاب) حار يابس يقاوم السموم إذا استعمل مع التين والجوز
 (بزر الرازيانج) حار يابس قابض مفتح مسكن للأوجاع محلل للرياح يدبر البول والحيض .
 (بزر الفجل) حار يابس ينفع من نهش ذوات السموم وينفع من وجع المفاصل ويحلل ورم الطحال ويسهل خروج الطعام .
 (بزر الهندبا) معتدل بين الحر والبرد ينفع من الحيات الصفراوية ومن سدد الكبد واليرقان وقد ر ما يؤخذ منه نحو مثقال .
 (بزر قنار) بارد رطب يجلو ويدبر البول وقد ر ما يؤخذ منه عشرة دراهم وإذا دق ودهن به البدن حسنه .
 (حب الرمان الحامض) بارد يابس يمنع القيء والغثيان وينفع من المواد الصفراوية .
 (بزر هليون) حار رطب يدبر المنى ويحرك شهوة الجماع وقد ر ما يؤخذ منه درهمان .

فصل في خواص الحيوانات

خواص البغل وأعضاؤه وأجزاؤه : (شحم أذنه) إذا سقيت منه المرأة لا تحبل أبداً (مخه) إذا طعم منه الانسان تناقص عقله وفهمه وحصل له التوهم والنسيان والسهو (قلبه) تأكله المرأة فلا تحبل (حافره) إذا أحرق أوديب بدهن الآس وطلّى به رأس الأفرع أنبت الشعر (خصيته) تجفف

بملح وتوضع في جلد أو حرير وتعلق في رقبة فرس أو جمل فانه لا يصيبه سوء ما دامت معلقة عليه (بوله) إذا شربته المرأة طرحت جنينها الميت وإن شمه المزكوم وبصق عليه وكبه في طريق فن داس عليه انتقل الزكام إليه ويبرأ المزكوم الذي كبه (الزنور) الذي يوجد في دبر البغل يحفف ويخمر به صاحب البواسير يبرأ (جلد جبهته) إذا أحرق في مكان لا يحصل فيه اتفاق ولا صلح ولا يتم فيه شيء من الأمور

خواص الحمار وأجزاؤه : (مخه) يسقى لمن غلب عليه النسيان (سنه) إذا وضع تحت رأس من قل نومه نام (كبده) يحفف ويلقى على من به حمى الربع تزول عنه (طحاله) يحفف ويدخر فان قل لبن ثدى المرأة سحق بماء وطلى به الثدي يكثر اللبن فيه (حافره) يسحق بعد حرقه ويطلى به جبهة من به صرع أياما يزول عنه ويخلط بالزيت ويطلى به الخنازير يحففها .

قال بلياس يشق حافر الحمار ويحشى قطرانا وكلسا ويحرق بشيرج زنخ ويطلى به البرص يقلعه ولو كان غثيقا فاذا تدخت المرأة المطلقة بحافر الحمار أسرع خروج ولدها حيا سالما بسهولة وكذلك إذا كان الجنين ميتا أخرجه ، ويؤخذ من ذنبه ثلاث طاقات شعر حين ينزو على الاتان ويشد على ساق الرجل ينشر ذكره ويستوى على سوقه وينعظ في الحال

لحمه من أكل منه أمن من آفات السموم فلا يؤثر فيه سم أبدا وينفع صاحب الجذام نفعا جيدا (دمه) يطلى به البواسير مرارا تسقط (لبن الحمار) يسقى للصبى الذى يكثر بكاؤه يزول عنه ذلك ومن ضرب بالسياط ضرب الموت يسلخ له جلد حمار في الحال ويلبس به جسمه وينام فيه ليلة فانه يزول عنه ألم الضرب ويأمن عاقبه (جلد جبهته) يعلق على المصروع يزول عنه ويلقى شيء من شعر ذنبه في نبيذ قوم يسكرون فيقع بينهم الشر والخصومة والعريضة (عصارة روثه) تسقى لمن في مناته حصة تفتتها .

خواص أجزاء حمار الوحش : (مخه) يسحق بدهن الزنبق ويطلى به البهق يزول (مرارته) قال ابن سينا إنها تفتح القوباء من الجسم (لحمه) مدقوقا ينفع النقرس طلاء مع دهن الورد (شحمه) جيد للكلف طلاء (حافره) يتخذ خاتما ويعلق على أصحاب الجنون والصرع في رأس الشهر يزول عنهم ذلك ويكتحل به محرقا ينفع من ظلمة العين والغشاوة (روثة) يرمى في تنور الخباز يسقط جميع أقراصه وإذا سحق وخطط بياض البيض وانتشفه المعروف انقطع عنه الرعاف والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل في حيوانات النعم

(خواص أجزاء الابل) ليس للبعير مرارة وإنما على كبده شيء يشبهها وهي جلدة فيها لعاب يكتحل به فينفع من الغشاء العتيق ويطلى به الرقبة فينفع الخوانيق (كبده) إذا داوم أكله نفع من نزول الماء في العين (شحمه) متى وضع في موضع هربت منه الحيات (سنامه) يذاب ويطلى به البواسير يسكن وجهه (كرشه) فيه غدة إذا أخرجت منه استجرت وإذا سحقته بالخل ابيضت وهي من أنفع الأشياء للسموم القاتلة (عظمه) يسحق ويذاب بالزيت ويطلى به رأس المصروع يزول صرعه (شعره) يشد على الفخذ الأيسر يمنع سلس البول ويشد على فخذ الصبي الذي يبول في الفراش يزول عنه (وبره) يذر على الأنف محرقا يحبس الرعاف والدم السائل من الجراحات كذلك إذا ذر عليها (لبنها) نافع من السموم كلها والمضمضة به تنفع الأسنان المتأكلة ويزيل صفرة الوجه أكلا وطلاء (بعره) قال ابن سينا يقطع الرعاف ويزيل أثر الجدري ويقطع الثآليل .

(خواص البقر) قرنه يحرق ويجعل في طعام صاحب حمى الربع تزول عنه ويشرب في شيء من الأثرية يزيد في الباه ويقوى القضيب ويشده ويورث الانعاط وينفع به في منخر الرعاف ينقطع دمه (قرناه) يحرقان

حتى يصيرا رماداً وينذاب بالخل ويطلى به موضع البرص مستقبلاً به الشمس فانه يزول (مخه) طريا يذاب بدهن ويقطر في الأذن الوجعة يسكن وجعها (لسان الثور الأسود) يحفف ويسحق ويمزج به حمض الاترج ويستف منه مقدار مثقال فلا يخاصم أحداً إلا غلبه وألزمه (مرارته) يزر الجرجير ويزر الفجل ومائه يعرض للنار ليقوى ويشد ويطلى به الكلف فانه يزول إذا لزم ذلك ويخلط بمرارته ورق الغبيراء مدقوقاً وتحمل منه المرأة فانها تحمل وفي مرارته خجر قدر سدسة تجعل في ماء الشهدانج وماء القرفخ ويستعط به صاحب الصرع يزول صرعه وتطلى الشجرة بمرارة البقر لا يتولد فيها الدود وتخلط مرارة البقر بعر الفأر وتحمل بها صاحب القولنج يزول في الحال (مرارة البقرة السوداء) يكتحل بها من به ظلمة العين يحمد بصره وإذا أردت أن ترى عجبا فخذ جرة من نثار وادقها في الأرض إلى عنقها واطل باطنها بشحم البقر فانه لا يبقى في ذلك الموضع شيء من البراغيث حتى يدخل فيها (خصية العجل) تحفف وتشرب مسحوقه بشراب تبيع الباه وتعين على الجماع إغانة عظيمة (قضييه) يحفف ويسحق ويرمى على البيض النيمبرشت ويحشى فانه يزيد في الباه (كعبه) يحرق ويدلك به السن يبيضها ويذهب وسخها (لبنه) يزيل صفرة الوجه وإذا شرب منه مخيضاً نفع البواسير (سمنه) يطلى به لسع العقرب يبرأ لوقته والعتيق منه نافع للجراحات (دمه) يطلى به الورم يسكن وجعه قال بلنياس بول الثور يخلط مع بول الانسان ويوضع على أصابع اليدين والرجلين يذهب بحمى الربع وقلها يحتاج إلى ثلاث مرات وهذا من العجائب (أخاء البقر) يضمدها بسعة الزنبور تسكنها.

(خواص أجزاء بقر الوحش): (مخه) يطعم منه صاحب الفالج ينفعه نفعا يئنا (قرنه) من استصعبه معه نفرت عنه السباع ويدخن به في البيت قهر ب من ريحه الحيات (رماده) يذر منه على السن المتأكلة يسكن الوجع (دمه) ترياق السموم كلها (شعره) يبخر به البيت يهرب منه الفأر.

خواص أجزاء الجاموس : (الدودة) التي في دماغه إذا علقته على أحد لا ينام مادامت معه (لحمه) يولد القمل (شحمه) يذاب بالملح الاندواني ويطلى به على الكلف والتمش والجرب والبرص يزيله

خواص أجزاء الضأن (قرن الكبش) إذا دفن تحت شجرة باكرت بثمرتها قبل كل الاشجار وكثر حملها (مرارة الضأن) يكتحل بها مع العسل ينفع من نزول الماء في العين ومن إزالة البياض ينفع نفعا عجيبا (مخه) يورث البله وأحباب الصرع إذا أكلوا منه يشتد صرعهم (عظمه) يحرق بنار حطب الطرفاء ويخلط رماده بدهن الشمع المتخذ من دهن الورد ويطلى به موضع الشج والهشم يصلحه وقال بلنياس : إذا تحملت المرأة بصوف النعجة قطع الحمل .

خواص أجزاء المعز ، قال بلنياس : قرن ماغز أبيض يسحق ويشد في خرقه ويجعل تحت رأس النائم فانه لا ينتبه مادام تحت رأسه (مرارة التيس) بعد تنف الشعر من الجفن كحلا تمنعه من النبات ومرارة تيس مع مرارة بقرة مخلوطان يبلطح بهما فتيلة من قطن عتيق وتجعل في الاذن يزيل الطرش الحادث (طحاله) يقطعه صاحب الطحال بيده ويلقه في بيت هو فيه فاذا جف الطحال زال ألم المطحول (لحمه) يورث النسيان ويحرك السوداء قال بلنياس دم التيس يفتت حجر المغاطيس وتسقى إبرة بدم تيس ويثقب بها الاذن فلا تلتئم أبدا (جلده) إذا ساخ وهو حار ووضع على جلد الملسوع أو المنهوش من الحيات والأفاعي أو المضروب بالسياط دفع عنهم الآفة والألم (لبن الماعز) ينفع من التوازل ويحسن اللون شربا سيما مع السكر ويطلى ببيعره الجرب مع السكر في الحمام ثلاث مرات فانه يذهب به (لبنه) علاج للنسيان مع السكر ودواء للبلغم والوسواس والخيالات الفاسدة والأحلام الرديئة ويهيج الباه (أنفحة الجدى والخرفان) تجلب الفضول من أعماق البدن (بول الجدى) يغلى حتى يشخن ويخلط بمثله من

سكر ويطل به الجرب في الحمام ثلاث مرات يزول قال ابن سينا : بعر الماعز يحلل الخنازير بقوة وإذا حملته المرأة بصوفة منع سيلان الدم من الرحم وبعر المعز والضأن مع الخل يوضع على حرق النار بدهن ورد وشمع ينفعه خواص أجزاء الغزال : (قرنه) ينحت ويدخن به لطرد الهوام (لسانه) يحفف في الظل ، يطعم للمرأة السلطة الملسنة على زوجها تزول سلاطتها (مرارته) تقطر في الأذن الوجعة يزول وجعها (بعر الظبي وجلده) يحرقان ويحعلان في طعام الصبي ينشأ ذكيا فهما سافظا فصيحان .

خواص أجزاء السباع الوحوش

(الأسد) خواص أجزائه : (سنه) من استصحبه يأمن وجع السن وألمه ويلقى على الصبي تنبت أسنانه بسهولة (مرارته) تسقى للانسان يصير جريئا جسورا مقداما في الأمور وهي تزيل الصرع حملا وتنفع داء الثعلب والا كتجال بها يمنع سيلان الدم من العين (شحمه) يطل به البواسير والأورام الحارة ينفعها ويطل به الوجه والبدن فلا يقربه شيء من السباع وتهايه وإن جعل في بيت هرب منه العقارب والفأر وإن ألقى في ماء لا يشربه شيء من الدواب (شحمه الذي بين عينيه) يذاب ويمسح به الرجل وجهه يهايه كل من يراه وينقاد إليه (لحمه) ينفع من الفالج والاسترخاء (دمه) إذا طلى به السرطان أزاله وكذلك جميع السلع والأورام التي تحدث في الانسان وإذا مزج به الحليب وطل به البرص أزاله (خصيته) تولد العقر في الرجال فمن أكل منها لا تجل منه امرأة أصلا (برثته) يحمله الانسان معه فلا يقربه شيء من السباع ويهايه كل من رآه وإذا طرح في الماء وشربت منه الغنم أصابها هزال ولم تسمن بعدها أبدا (جلده) ينام عليه صاحب حمى الربع يوم نوبته ويغطي بالثياب حتى يعرق تزول عنه ودوام الجلوس عليه يذهب البواسير ويذهب أيضا الخوف من قلب الخائف ولو اتخذ من جلده

طبل دهل لا يقف لسماعه فرس أبدا وإذا حمل جلد جهته إنسان تحت
عمامة كان مهايا موقرا معظما عند الملوك والسلاطين معاملا بالاكرام
والتبجيل .

(النمر) فمن خواص أجزائه إذا دفن رأسه في مكان اجتمع فيه كل فأر
في تلك الأرض (مرارته) من اكتحل بها نور بصره ومنع نزول الماء في
العين (شحمه) يذاب ويحعل على الجراحات العتيقة ينظفها ويبرئها (لحمه) من
أكله ولو خمسة دراهم منه لا تضره السمومات الحيوانية والنباتية (قضيه)
يطبخ ويشرب من مرقه ينفع الحصى في المثانة ومن تقطير البول (جلده)
يتخذ منه مقعد يجلس عليه صاحب البواسير والشقاق تزول عنهما ومن
حمل شيئا من جلده هابه كل من رآه .

(الفهد) من خواص أجزائه : (لحمه) يورث حدة في الذهن وذكاة
وفهما وقوة في البدن والاعتناء (دمه) من شرب منه غلبت عليه الفصاحة
والبلاغة (برثته) إذا وضع في مكان لم يبق فيه فأر أصلا .

(الكلب) من خواص أجزائه : (عينا الكلب الأسود الميت) متى
دفتا تحت جدار انهدم سريعا وإن حملما إنسان معه لا ينبع عليه كلب أصلا
(ناب) يشد على الكلب العقور لا يعود يعقر أحدا ما دام عليه ويشد على
الصبي يثبت سنه بلا وجع ولا ألم ومن كان كثير الهترة والهذيان والكلام
في نومه وحمله لا يعود لما ذكر (وناب) الكلب الكلب الذي قد عض إنسانا
يشد في قطعة جلد ويربط في عضد الانسان يأمن من عضه الكلب الكلب
ما دام حاملا لذلك (لسان الكلب الأسود) يملح ويخرز ويحمل فلا تنبع
على حامله الكلاب وهذه الخاصية تعملها اللصوص (مرارته) تنفع من ظلة
العين اكتحال (كبده) يطعم مشويا لمن عضه الكلب الكلب (شحم
الكلب) يطلى به الخنازير يحللها سيما ما كانت في الحلق (مخه) أيضا يفعل
ذلك (قضيه) يحفف ويستصحه الانسان يتلى بانتصاب الذكر ما دام

حامله (شعره) يشد على المصروع يخفف صرعه وشعر الأسود البهيم من الكلاب أشد نفعا للمصروع (بوله) يقطع التآليل إذا طلى به ، قال ابن سينا قراد الكلب ينقع في النبيذ ويسقى صاحب القولنج يزيله في الحال إذا كان القراد أبيض اللون (زبل) الكلب الأسود تحمله المرأة تأمن من إسقاط الجنين .

(الذئب) من خواص أجزائه : (رأسه) يعلق في برج الحمام لا يقربه سنور ولا حية ويدفن رأس الذئب في زريبة الغنم يمرض كل غنم في الزريبة ويموت غالبا (نابه) من استصعبه لا يسكر أبدا ولو شرب دنا من الخمر وإذا علق نابه على الفرس سبق الخيل (عينه اليمنى) من حملها لا يفزع بالليل (عينه اليسرى) من حملها لا يغلبه النوم (مرارته) يطلى بها بين الحاجبين يبقى مكرما بين الخلق وتشد على الفخذ الأيمن في أول الشهر تزيل الصرع عن المصروعين وإذا تحملت منها المرأة التي لا تحمل حملت والا كتحال بها ينفع من نزول الماء في العين ومن الغشاوة (دمه) يخلط بدهن الجوز ويقطر في الأذن يزيل الطرش وإذا سقيت منه المرأة لا تحبل أبدا (خاصيته) تؤكل مشوية لتقوية الباه وتيسيج الجماع (عظمه) يحرق ويدق ويدفن حول الزريبة لا يقرب غنمها ذئب أصلا .

(الضبع) وخواص أجزائه : (رأسه) يجعل في برج يكثر فيه الحمام جدا (لسانه) من حمله معه لا ينبج عليه كلب ولم يغلب عند المخاضة والمحاجة وإذا علق على باب دار فيها عرس أو دعوة لا يقع فيها شر ولا مكروه ولا خلف ويزداد فرحهم واتفاقهم (نابه) من استصعبه لم ينس شيئا أبدا مرارة الضبعة العرجاء تمنع من نزول الماء في العين اكتحالا ونجلو البصر من الظلمة ، قال بلنياس تخلط مرارة الضبع بدم المصافير ويطلى به الانسان عينه يأمن من نزول الماء فيها مدة حياته (قلبه) يعلق على صبي يبقى فهيماذ كيا (شحمه) تطللى به الحواجب يكون فاعله محبوبا

عند الناس (يده اليمنى) من استصحبها قضيت حوائجهم عند الملوك وتشد على عضد المرأة وساقها يسهل عليها الولادة (برثته) يعلق على شجرة لا يقربها أذى (قضيه) يحفف ويسحق ويستف منه الرجل قدر دانقين يهيج به شهوة الجماع بحيث لا يمل ولا يفتر ولو أتی عشرين امرأة، وإن سقيت المرأة الفاجرة من ذلك تاب وتركت الفجور. قال بلنيس فرجها وجلدة سرتها إن شدا على رجل لم تنظر إليه امرأة إلا أحبه وإن شد على امرأة فلا ينظرها أحد إلا أحبها وإن شد فرجها على المحموم زالت عنه الحمى (جلده) يتخذ منه غربالاً يغربل به القمح ثم يزرعه يأمن الفساد والجراد، قال ابن سينا من عضه الكلب الكلب فاذا فرع من الماء يسقى في إداوة من جلد ضبع وقيل إذا أخذت شيئاً من جلد ضبع وشددت فيه شيئاً من ورق الشبغ وربطته في خرقة وعلفته على الإنسان فإن النساء تتبعه ويرى من ذلك أمراً عجيباً (الشعر الذي حول فمحه) يتنف ويمحرق ويسحق بزيت ويدهن به صاحب الأبنه يزول مرضه.

(الدب) قرن خواص أجزائه: (نابه) يلقى في لبن المرضعة ويسقى للصبي تنبت أسنانه بسهولة من غير ألم (عيناه) تعلقان على صاحب حمى الربع في خرقة حرير أو كتان تزول عنه (مرارته) تنفع من ظلمة العين اكتحالاً (شحمه) يزيل البرص طلاء (دمه) يخلط بدهن البيض ويطل به الموضع الذي ليس به شعر ينبت.

(خواص الثعلب) رأسه إذا وضع في برج حمام هربت كلها (نابه) يشد على الصغير الذي به ريح الصبيان يذهب فرع النوم وتحسن أخلاقه ويعلق على من يشكو ألماً بأسنانه يزول عنه (مرارته) تنفع في أنف المصروع فلا يصرع في ذلك الشهر والاكتحال بها يمنع نزول الماء في العين (لحمه) ينفع اللقوة والفالج والجذام إذا داوم عليه (شحمه) يذاب ويطل به النقرس ينفع في الحال يزول وجهه.

فصل في خواص أجزاء سباع الطيور

(العقاب) مرارته تنفع من ظلمة العين اكتحالا ويطلى بها ثدى المرأة إذا انعقد اللبن فيه يسكن ألم ذلك ويكثر لبنها (دمه) يحفف ويخاط بالاهليج الأصفر مسحوقا ويكتحل به فانه ينفع من جرب العين ولو طلى به من خارج نفعه أيضا (مخه) يذاب بالزيت ويطلى به رجل المنقرس يزول ألمه وكذلك وجع المفاصل .

(الباز) مرارته من اكتحل بها يأمن من نزول الماء في العين . وقال ابن سينا مرائر الجوارح كلها تنفع من ظلمة البصر اكتحالا (عظمه) يدق بعد الحرق ويذر على الموضع المحروق من البدن ينفعه .

(خواص أجزاء النسر) مرارته تقطر في الأذن تذهب بالطرش الحادث والعنق والاكتهال بها يجلو البصر (لحمه) يطبخ ويخاط بالورس والملح والكمون والعسل ويسقى للسهل الهوام المسمومة (شحمه) يذاب ويقطر في الأذن مرارا يذهب بالطرش (الشوكة) وهي الحداة مرارتها إذا جففت ومسحت وذرت في سلال الحيات ماتت الحيات وتنفع من النهوش والدوغ طلاء .

(خواص أجزاء الجباري) (داخل قانصتها) تجفف وتسحق مع الملح الأندرانى والخبز المحرق أجزاء سواء ويكتحل به فانه يزيل البياض الذى في العين اكتحالا . وقال ابن سينا بيض الجباري نافع للقوابى وحرق النار . (خواص أجزاء الطاووس) مخه مع السذاب والعسل ينفع من القولنج وأوجاع المعدة (مرارته) يسقى منها وزن دائق للبطون (دمه) من سقى منه اعتراه جنون (لحمه) يزيد في الباه وينفع من وجع الركبتين (شحمه) يطلى به العضو المبرود يصلحه (عظمه) من صحبه يأمن من عين السوء (مخله) يشد على المطلقة تضع في الحال يشد على فخذه وكذلك إذا بخر به

تحت ذيلها وضعت سريعا .

(خواص أجزاء الدجاج) تطبخ الدجاجة البيضاء بعشر بصلات وكف
سمسم مقشر حتى تهوى ويؤكل لحمها ويشرب مرقها فإنه يزيد في الباه زيادة
لا ينكرها أحد ويقوى الشهوة ويلتذ الجماع للرجل والمرأة ومداومة أكل
الدجاج تولد البواسير والقرص (شحمه) يطلى به الكلف الأحمر في الوجه
ينفعه ويزيله وينفع من الشقاق العارض في القدم من البرد (مرارتها) تمنع
من نزول الماء في العين اكتحالا (قانصتها) قال بليناس تشوى وتطعم لمن
يبول في الفراش يذهب عنه ذلك (بيضا) ينفع في الخل ثلاثة أيام ثم يترك
في الشمس ليحف ويطل به للبهق يذهب به (والبيض التمبرشت) ينفع في
تكثير مادة المتى وإسخانه وزيادة الشهوة عجيبا (دهن البيض) يطلى به القرص
يسكن وجعه وآله (ذرقها) ينفع القولنج إذا شرب بخل أو نبيذ وينفع
صاحب الحصاة ، قال بليناس ذرق الدجاجة يلصق على باب قوم يقع بينهم
شر وخصومة .

(خواص أجزاء الكركي) (ذرقه) يسحق بالماء وتبل به فتيلة وتجعل في
الأنف ينفع كل قرحة في الخيشوم (عينه) تسحق ويكتحل بها الإنسان
فلا ينام (مرارته) تنفع من نزول الماء في العين اكتحالا (لحمه وشحمه)
يطبخان ويقطر مرقهما في الأذن يزيل الطرش (مخه) يذاب بخل العنصل
ويسقى لوجع الطحال في الحمام ينفعه (قانصته) تجفف وتسحق ويسقى منها
زنة درهمين لمن به وجع الكليتين والمثانة بماء الحنص ينفعه .

(خواص أجزاء الهدد) قزعه تعاق على من به وجع الرأس يزول
قال بليناس : من أخذ عينه وجففها وجعلها في دهن ودهن به وجهه فلا يراه
أحد إلا أحبه حبا ما عليه مزيد وتجعل عينه تحت رأس إنسان فلا ينام
ويقلب عليه السهر ما دامت تحت رأسه وإذا شددتها على أحد تذكر جميع
ما كان نسيه وتعلق على صاحب الجذام تنفعه نفعا بينا (لسانه) يحمله الإنسان

معه لا يظفر به عدو مادام معه ، وإذا علقت عينه مع لسانه على إنسان يدفع عنه غلبة السهر والنسيان ويزيد في فهمه وذكاؤه وحذقه (قلبه) إذا علق على إنسان زاد في قوة الباء وشهوة الجماع وإذا شوى ودق مع السكر وجعل فوق رغيغف وأكله شخصان انعقد بينهما محبة لا انصرام لها بحيث لا يصبر أحدهما عن الآخر لحظة واحدة (مرارته) يسعط بها صاحب اللقوة ثلاثة أيام في مكان مظلم ينفضه نفعا مسرعا (جناحه الأيمن) يحمل تحت رأس النائم يثقل في نومه ولو دخن بجناح هدهد في برج حمام هربت منه الحمام ومن وضع على أذنه ريشة من الهدهد وخاصم أو حاكم كان هو الغالب في خصومته وحكومته (لحمه) يقدد في الظل ويسحق ويخلط في الدقيق ويتخذ منه خبيص ويطعمه لمن أراد فانه يحبه محبة عظيمة (عظمه) يدخن به في البيت تموت من دخانه الهوام الأرضية والنمل والعقرب وأشباهاها (أظفاره) تحرق وتدق وتسقى للبراة التي لا تحمل فاتها تحمل إذا باشرها الرجل عقيب الشرب .

(خواص أجزاء العقق) دماغه يخالط بالغالية ويسعط به صاحب اللقوة والفالج يذهب مابه (دمه) يجفف ويخالط بماء الورد ويسقى للصبى الذى لا يتكلم ينطلق لسانه بالكلام (دمه) طريا يطل به الموضع الذى فيه نصل أو شوكة يخرجها بسهولة (مخه) يطعم للصبى بالسكر يبقى فصيحاً ذكياً فيهما حافظاً (ريشه) يحرق ويدق ويذر في عش النمل لا يبقى في الموضع شئ منه (مخ بيضا) يكتحل به بعد الحمام مرتين أو ثلاثة فانه يزيل يياض العين بالكلية .

(خواص أجزاء الخفاش) وهو المسمى بطوير الليل (رأسه) يترك في برج الحمام يألف الحمام ذلك البرج وينمو فيه وإذا ترك تحت رأس إنسان فانه لا ينام (دماغه) قال ابن سينا يكتحل به يزيل الماء من العين (قلبه) يعلق على من هاجت به شهوة الجماع يسكنها (دمه) يزيل الغشاء من العين اكتحالا وبطلى به الابط والمائة بعد التف فانه لا يتب بعد ذاك بهما شعر

(ذرقه) يزيل الظفر من العين وكذلك البياض اكتحالا ويلقى في عشب النمل فيهرب منه ويطل به العضو الذي ينبت عليه الشعر وهو لا يختار نباته بالزرنينخ والنورة مرارا فانه لا ينبت على ذلك شعر وتعمى منابت الشعر .
 (خواص أجزاء البوم) : (مرارته) يكتجل بها تنفع من ظلمة العين اكتحالا وزعموا أن إحدى عينيه تنوم والآخرى تمنع النوم عن حاملها والطريق إلى معرفة حالهما أنك ترميهما في إناء فيه ماء فالغائصة في الماء هي المنومة والطافية هي المسهرة وتخلط عيناه بالمسك وتحمل فن شم رائحة ذلك المسك أحب الحامل محبة أكيدة وهيجت بالشم روحانية المحبة (قلبه) يطعم لصاحب الفالج مشويا ينفعه (مرارته) تخلط برماد من خشب بلوط وتطعم لمن في مثانته حصى تفتته وتخلط برماد خشب الطرفاء ويأكله من يبول في الفراش يزول عنه (كبده) سم قاتل (لحمه) يورث الغثيان والقيء (عظمه) يبخر به بين ندمان الخمر يقع بينهم خصومات وفرقة وتشتت في الحال (خواص أجزاء الخطاف) ريش رأسه يجعل تحت رأس إنسان فانه لا ينام (قلبه) يحفف ويسحق ويسقى للإنسان فانه يعين على الجماع بما لا يمكن وصفه ، وهذا آخر الكلام في الخواص .

فصل في خصائص البلدان

لم تذكر في ترجمة العنوان لأبي منصور الثعالبي رحمة الله عليه (فنها الشام) جعلها الله دار الاسلام على التأيد والدوام . ومن خصائصها أنها كانت موطن الانبياء عليهم السلام ومعدن الزهاد وعش العباد . ومن خصائصها التفاح الذي يضرب به المثل في الحسن والطيب والرائحة . ومنها الزجاج الذي يشبه به كل شيء رقيق فيقال على السنة الأنام أرق من زجاج الشام . ومن خصائصها غوطة دمشق ، وأطيب نزه الدنيا أربع : غوطة دمشق ونهر الابل وشعب بوان وصغد سمرقند .

(مصر) خلد الله ملك سلطانها . ومن خصائصها كثرة الذهب والدنانير
وكان يقال في المثل السائر مامعناه : من دخل مصر ولم يستغن فلا أغناه الله .
ومنها الكتان الذي يبلغ قيمة الحمل منه مائة ألف دينار . ويقال له دق مصر
وهو من الكتان المحض لا غير . ومثل هذا لا يوجد في الدنيا وحير مصر
موصوفة بحسن المنظر وكرم المخبر حتى لا يخرج من بلد أمثالها ولا أفهم منها
ومن خصائصها الهرمان ووصفهما يعجز عنه اللسان . ومنها ثعابين لا تكون
إلا بمصر وهي عجيبة الشأن في إهلاك بني آدم والحيوان وليس لها عدو إلا
النفس وهي إحدى العجائب لأنها دويبة متحركة إذ رأت الثعبان دنت منه
من غير خوف ولا جزع فينطوى الثعبان عليها ويريد أن يأكلها فيزفر النفس
زفرة ويقد الثعبان قطعتين أو قطعاً ولولا النفس لأكلت الثعابين سكان مصر
والنفس بمصر أنفع لأهلها من القناقد لأهل سجستان : ومن خصائصها النيل
والمقياس : حكى أنه ليس في الدنيا أكبر من نيلها نهراً ولا أحكم من مقياسها
أمراً . ومن عيوبها أن أهلها يكرهون المطر كراهية شديدة حتى يخرجون في
ذكر كراهيته إلى ما لا فائدة في ذكره لأن المطر لا يوافقهم ويهلك زرعهم
وخصت بالتماسيح التي هي أخبث حيوان في الماء وليس فيها منفعة بوجه
من الوجوه .

(اليمن) من خصائصها السيوف والبرود والقروود والزرافة التي
فيها شبه من الناقة والثور والتمر . ومن خصائصها العقيق الذي ملأ الدنيا كثرة .
(البصرة والكوفة) كان يقال الدنيا بصرة ولا مثلك يا بغداد ، وكان
جعفر بن سليمان يقول : العراق عين الدنيا والبصرة والعراق والمريد عين
البصرة وداري عين المريد ، وقال الحافظ : في المد والجزر بالبصرة ما قولكم
وظنكم يقوم يأتيهم الماء صباحاً ومساءً فإن شاموا أذنوا له وإن شاموا حجبه .
ويحكى : أن أمير المؤمنين هرون الرشيد ، قال لجعفر بن يحيى وزيره
وهما بالكوفة في آخر الليل قم بنا يا جعفر تنسم هواء الكوفة قبل أن تسكده

العامة بأنفاسها . ومن أصدق ما قيل الكوفي لا يوفى .

(بغداد) قال أحمد بن طاهر هي جنة الأرض وواسطة الدنيا وقبة الإسلام ومدينة السلام وغرة البلاد ودار الخلفاء ومعدن الطرائف واللطائف ، وبها أرباب النهايات في العلوم والدرايات والحكم والصناعات هواؤها أطف من كل هواء وماؤها أعذب من كل ماء ونسيمها أرق من كل نسيم لم تزل مواطن الأكرسة في سالف الزمان الذين أظهروا المعدلة في الرعايا ووطنوا الأقاليم والبلدان ومنازل الخلفاء الأعلام في دولة الإسلام . ومن عجائبها أنها على كونها حظيرة الخلفاء ومقرها لا يموت فيها خليفة ، قال عمارة بن عقيل فيها :

قضى ربها أن لا يموت خليفة بها وبما قد شاء في خلقه يقضى
(الأهواز) من خصائصها أن بها ثلاثة بلاد كل واحدة منها مخصوصة بشيء لا يوجد مثله في البلاد . منها عسكر مكرم الذي لا يكون أحد يقاومه . ومنها السكر الذي لا يعادله شيء في الدنيا طيبا وكثرة ولا يكون إلا بها . ومنها تستر التي بها طراز الديباج الفاخر وهو موصوف مع ديباج الروم . ومنها السوس التي بها طراز الخز النفيسة الملوكة . ومن عيوب الأهواز العقاب الجرارات القاتلة ولا يوجد بها أحد يحمر الوجه لارجل ولا امرأة ولا صبي أصلا .

(فارس) من خصائصها ماء الورد الذي لا يوجد مثله في سائر الأرض طيبا والجورى منه منسوب إلى إحدى بلادها والموميات التي تمتحن بأن تكسر رجل ديك ثم يسقى منه وزن شعيرة فإن كان خالصا انجبر الكسر حتى كأنه لم يكن .

(أصفهان) هي موصوفة بصحة الهواء وجودة التربة وعذوبة الماء وقلبا تجتمع هذه الصفات في بلدة .

ويحكى أن الحجاج ولي بعض خواصه أصفهان ، وقال له ولبتك بلدة

حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران .

(الرى) من خصائصها الثياب المسيرة والمقاريض الوثيقة .

(طبرستان) يقال أنه قد شأنها ما زان غيرها من كثرة الأشجار والخضرة

والمياه . ومن خصائصها النارنج والأترج .

(جرجان) وهى جبلية سهلية برية بحرية يمدون بها مائة نوع من أنواع الرياحين والبقول والحشائش الصفراوية والثمار والحبوب السهلية والجبلية التى هى مبدولة بها يتعيش منها الغرباء والفقراء باجتنائها وبيعها وجمعها وفيها حب الرمان وبزر قطونا والتين مباح لهم

(ومن خصائصها) العناب الذى لا يكون فى سائر البلدان مثله وتلقى حتى فى الصيف والشتاء فى أسواقها من الخيار والفجل والجزر ومن الرياحين كالخزامى والخثري والبنفسج والزرع والأترج والنارنج وهى تجمع السمك وطير الماء والدراج والحجل حتى يقال لها بغداد الصغيرة إلا أنها وبينة مختلفة الهواء كثيرة الايذاء قتالة الغرباء ويقال أن جرجان مغيرة لأهل خراسان وكان أبو تراب النيسابورى يقول : لما قسمت البلاد بين الملائكة وقعت جرجان فى قسم ملك الموت أى لكثرة الموتى بها .

(نيسابور) يقال إن كل بلدة موسومة بنيسابور فهى جبلية نفيسة كسابور من فارس وجند سبابور من الأهواز وقرى سابور من الهند ولا كنيسابور التى هى سره خراسان وغرتها ، ويقال أن كل بلدة لها اسمان فناهيك بها شرفاً وعظمة كمكة يقال لها بكه ، والمدينة يقال لها يثرب ، ومصر يقال لها القسطنطية وحلب يقال لها الشهباء وبغداد يقال لها مدينة السلام وبيت المقدس يقال لها إيلياء ، ودمشق يقال لها الشام ، والرى يقال لها المحمدية ، وأصفهان يقال لها حى واليهودية أيضاً ، وسجستان يقال لها زرنج ، وخوارزم يقال لها كاته ، ونيسابور يقال لها أبر شهر . وكان المأمون يقول عين الشام دمشق ، وعين الروم قسطنطينية ، وعين العراق بغداد ، وعين خراسان نيسابور ،

وعين ماوراء النهر سمرقند . وكان عمر بن الليث صاحب نيسابور يقول
ألا أقاتل عن بلدة حشيشها البرساس وحجرها الفيروزج وترابها طين
الأكمل الذي لا يوجد مثله في الأرض ويحمل من زورن نيسابور إلى أدنى
الأرض وأقصاها ويتحف به الملوك والسادات .

(أما الفيروزج) فلا يكون إلا بنيسابور وربما بلغ قيمة الفص المثقال
والمثقالين وفوق ذلك وقد جمع الحضرة والنضارة والخاصية وكونه لم يتغير
بالماء الحار وتبلغ القطعة المتميزة منه مائة دينار . ولما دخل إليها أحمد بن طاهر
قال : يالها من بلدة جليلة لولم يكن لها عينان وكان ينبغي أن تكون مياهها
التي في باطن الأرض على ظاهرها وأن تكون مساحتها التي على ظاهرها في
باطنها وأنشد :

ليس في الأرض مثل نيسابور بلاد طيب ورب غفور
(طوس) من خصائصها الشيع الذي لا يكون إلا بها والحجر الأبيض
الذي يتخذ منه القدور والمقالى والمجامر وقد يتخذ منه كل ما يتخذ من الزجاج
كالأقداح والكيزان وغيرها وقيل قد ألان الله لأهل طوس الحجر كما ألان
لداود عليه السلام الحديد .

(هراة) مدينة عظيمة ينشد فيها :

هراة أرض خصبها واسع ونبتها التفاح والرجس
ما أحد منها إلى غيرها يخرج إلا بعد ما يفلس
(ومن خصائصها) الكشمش وهو نوع من الزبيب الذي لا يوجد
ببلد غيرها مثله ، والطائفي أيضاً وهو نوع فاخر من الزبيب وهو الذي يقال فيه :
وطائفي من الزبيب به تنقل الشرب حين تنقل
كانه في الاناء أوعية من البحارى ماؤها عسل
(مرو) وهي مدينة جليلة بناها ذو القرنين ويقال لها أم خورسان
وينشد فيها :

بلد طيب وماء معين وثرى طيبه يفوح عيرا
وإذا المرء قدر السير منه فهو ينهائ باسمه أن يسيرا
(بلخ) وإليها ينسب جيحون ويقال له نهر بلخ ويقال العيش في الصيف
يلخ كتصحيفه ومن خصائصها النيلوفر والبفسج والبجاد .

(سبحستان) يقال ماؤها وشل واصها بطل . ويروى في أفاعيا عن
شبيب بن شبة أنه قال : صغار أفاعيا سيوف وكبارها حتوف . ومن شروط
أهلها أن لا يصيدوا شيئا من قنافتها أصلا لأنها تأكل أفاعيا وحياتها وقد
ذكرنا أفاعي سبحستان مع ثعابين مصر آنفا وجرارات الأهواز وعقارب
شهرزور كما يذكر حكام اليونان وصاغة حران وحاكة اليمن وأطباء جند
نيسابور ولصوص طوس ورماء الترك وسحرة الهند

(بست) يقال إن هواها كهواء العراق وماءها كماء الفرات وسئل
بعض الفضلاء عنها فقال : صفتها ثنيتها يعني أنها بستان .

(غزنة) هي مخصوصة بصحة الهواء وعذوبة الماء فالأعمار بها طويلة
والأمراض بها قليلة وما ظنك بأرض تنبت الذهب ، ولا تلد الحيات ولا
الحشرات المؤذية فهي أذكى أرض وأطيبها وأنظفها .

ومن خصائصها أن يخرج منها الرجال الانجاد الأجلاذ ، وكان أبو مسلم
يكتب إلى داود صاحب غزنة أن أنفذ إلى الرجال من زو الستان والخيل
من تخارستان ، ومن مناقبها أنها قليلة الثمار لأن كثرة الثمار تقترن بكثرة
الأمراض وكلما كانت الثمار أقل ببلدة كانت الأمراض بها أقل ، والهواء بها
أصح ، والتربة أخف ، والماء أهنا وأمرأ .

(بلاد الهند) ناهيك بها دياراً يأتي من بحرهما الدر ومن جبلها الياقوت
ومن شجرها العود ، ومن ورقها العطر والكافور وأنشد الثعالبي في
غلام هندي :

هذا غزال الهند في الغزلان كمثل عود الهند في العيدان

وجه بديع الحسن في الغلمان مصور من حدق الحسان
 كأنه في ناظر الانسان إنسان عين الحسن في الزمان
 ومن خصائصها : الفيل والكر كند والتبر والبيغا والطاوس والعاج
 والساج والتوتيا والقرنفل والسنبل والتنبل والتارجيل وجوز الطيب
 والسيوف والخراب والذهب والعطر وهي أكثر خصائص من كل البلدان
 على الاطلاق .

(سمرقند) لما أشرف عليها قتيبة بن مسلم قال كأنها السماء في الحضرة
 وكأن قصورها النجوم اللامعة ، وكأن أنهارها المجرة ، وكان يقول سمرقند
 جنة في الأرض ترعاها الخنازير .

ومن خصائصها الكواغدا التي أزررت بكواغدا الأرض في الطول والعرض
 والجلود الرقاق التي لا توجد في الدنيا وكان الأوائل يكتبون كتب العلوم
 والحكمة والتواريخ فيها لحسنها ولينها وإقامتها وقال الشاعر :

للناس في أخرام جنة وجنة الدنيا سمرقند

يامن يساوي أرض بلخ بها هل يستوى الخنظل والقند

(الصين) ومن خصائصها الظروف الصينية ولهم الفخار الفاخر الذي
 لا يوجد في غيرها ولهم الابداع في خراط التماثيل واتقانها وعمل التصاوير
 والنقوش المدهشة كالاشجار والوحوش والطيور والازهار والثمار وصور
 الانسان على اختلاف الحالات والاشكال والهيئات حتى لا يعجزم شيء
 إلا الروح والنطق ثم لا يرضون بذلك حتى أن مصورهم يفصل بين الشخص
 الضاحك من الغضب والضاحك من العجب ، والضاحك من السرور ،
 والضاحك من الخجل ، ولهم الحرير المشمر وبها المماطر التي لا تبل بالمطر ،
 ولهم الستائر التي يستتر بها الفارس والفرس في الحرب ولا تؤثر السهام
 فيها ولا الجروح ويكون زنة كل واحدة منها دون الرطل الشامي ولهم مناديل
 الغمر التي إذا اتسخت ألقيت في النار فتعود جديدة ولم تحترق .

(بلاد الترك) هي بلاد توازي يبلاد الهند في كثرة خصائصها كالمسك والسمور والسنباب والقماقم والفنك والثعالب السود والحذنك واليشم والحزحار الذي يتخذ من ذنبه وعرفه المطارد .

(فأما تبت) فهي أيضاً من بلاد الترك وقد خصت بجوهر شريف وعرض لطيف أما الجواهر فالذهب الذي ينبت فيها وأما العرض فن أقام بها اعتراه الفرح والسرور ولو مات له عشرة من الأولاد لا يعتريه حزن ولا م ولا يدري ما سبب ذلك وأن الغريب الذي يدخلها لا يزال مسروراً منبسطة حتى يخرج منها وهذه خصوصية عظيمة .

(خوارزم) تناسب بلاد الترك أيضاً في الخصائص ويحلب منها السمور والوبر الفاخر والسموك المملحة والبطيخ الغريب النوع والطعم والحلاوة وهي أشد بلاد الله برذاً وشتاء حتى أن جيحون يحمد مع عمقه وعظمته فتمشى على متنه الجامد القوافل والعجل والقيول وربما بقي جامداً مدة تزيد على الشهرين لكنها تصير كالارض اليابسة الجلدة انتهت خواص البلدان

وهنا نبذة تناسب هذا المكان

حكى أن أبا علي الهاشمي وأبا دلف الخزر جي كانا يوماً في مجلس أنس عند عضد الدولة بن بويه وكانا شاعرين بليغين فقال أبو علي لأبي دلف صب الله عليك الحمي الخيرية والدما مل الجزرية والقروح البليخة فقال له أبو دلف من غير ترو يا مسكين قد بلغ عظمك السكين أنتقل التمر إلى البصرة والعطر إلى اليمن . لابل صب الله عليك ثعابين مصر وأفاعي سيحستان وعقارب شهرزور وجرارات الأهواز ووباء جرجان وصب على برود اليمن ومقصب مصر وتفاصيل اسكندرية وحلل الضين وخزوز الكوفة وأكسية فارس وشربناف أصفهان وصقلاطون الروم ونصافي بغداد ومنير الري وطرز نيسابور وملحم مرو وسنباب بخير وسمور بلغار وثلالب الخزر وفنك كاشغر وحواصل هراة وقندس التفرغز وتكك أرمينية وجوارب

قزوين وأفرشن بسط شيراز وأخدمني خسيان الخطا وغلان الترك وسراري
بخاري ووصائف سمرقند وخنئي على نجائب نجد وعناق البادية وحير مصر
وبغال بردعة ورزقي تفاح الشام وموز اليمن ودبس ارجان وتين حلوان
وعناب طبرستان وإجاص بست ورمال الري وكثيري نهاوند ومشمش
طوس وسفرجل خلاط وبطيخ خوارزم وأشمي مسك تبت وعود الهند
وكافور قنصور وأترج المريد ونارنج البصرة ومنثور الصغد ونوفر السروان
وورد جور ونرجس الدشت وشاهسفرم ترمذ . فلما سمع عضد الدولة
ذلك ضحك وتعجب من استحضاره خواص البلدان في الحال وأمر له بخلفة
سنية ومال . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

يتلوه نبذة من أخبار ملوك الزمان السالفة منقول من كتاب الذهب
المسبوك في سير الملوك للإمام الحافظ العلامة أبي الفرج بن
الجوزي تغمده الله برحمته

قال: حكى بعض علماء التاريخ أن قيصر ملك الشام والروم أرسل رسولا
إلى ملك فارس أنوشروان صاحب الايوان فلما وصل ورأى عظمة الايوان
وعظمة مجلس كسرى على كرسيه والملوك في خدمته وميز الايوان فرأى
فيه اعوجاجا في بعض جوانبه فسأل الترجمان عن ذلك ؟ فقبل ذلك بيت
لامرأة عجوز كرهت بيعه عند عمارة الايوان فلم ير ملك الزمان إلا كراهها
على البيع فأبقى بيتها في جانب الايوان فذلك ما رأيت وسألت . فقال
الرومي وحق دينه إن هذا الاعوجاج أحسن من الاستقامة وحق دينه إن
هذا الذي فعله ملك الزمان لم يورخ فيما مضى لملك ولا يورخ فيما بقي لملك
فأعجب كسرى كلامه وأنعم عليه ورده مسرورا محبورا

ولما افتتح كسرى بلاد العجم وأحكم البنيان وشيد الحصون ومهد البلاد
ونشر العدل والانصاف في الحاضر والباد وجند الجنود وحشد الحشود

حار إلى نحو الجزيرة وآمد وفتح ما هناك من البلاد إلا آمد فانه عجز عنها
لتشيد بناتها وتمكين سورها فرحل إلى الفرات وافتتح حلب وأعمالها
وكثيرا من الشام وغدر بقيصر ملك الشام والروم وقتل ابن أخته بمخص
ثم سار إلى أنطاكية وقتل صاحبها وافتتحها تخاف قيصر وهادنه وحمل إليه
الجزية وكان ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذلك نزل قوله تعالى
(المّ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون)
والقضية قصة مشهورة ليس هذا موضع ذكرها قال وحمل كسرى من الشام
من أعاجيب الرخام وبدائع المرمر وأنواع البلاط المجزع والأحجار البهجة
فبنى بالعراق مدينة تسمى برومية وزخرفها بأنهى ما قدر عليه وكان أراد أن
يصنع ذلك بآمد فلم يقدر على أخذها وفتحها فجعل رومية على هيئتها وشكلها
واشتد سلطان كسرى وعظم ملكه حتى هابته ملوك الأرض وهادته وحملت
إليه الجزية ، وتزوج بشاه روزا ابنة خاقان ملك الترك ، ولم يكن في زمانها
أكمل منها محاسن ولا أبدع صورة وشكلا .

وكتب إليه ملك الصين من يقفور ملك الصين صاحب قصر الدر
والجوهر الذى يجرى في ساحة قصره نهران يسقيان العود والكافور الذى
يوجد ربح قصره في فرسخين وتخدمه بنات ألف ملك والذى في مربطه ألف
فيل أبيض إلى أخيه كسرى أنوشروان وأهدى إليه فارساهو وفرسه من
الدر المنضود وعينا فرسه من الياقوت الأحمر وأهدى إليه ثوبا من الحرير
الصينى فيه صورة الملك كسرى وهو جالس على كرسىه في إيوانه والتاج على
رأسه والملوك في خدمته والخدم بأيديهم المذاب المصورة المنسوجة بالذهب
في أرض لازوردية في صندوق مرصع بأنواع اليواقيت الفاخرة التى لا قيمة
لها وأهدى إليه جارية خطائية تغيب في شعرها الحالك إذا أسبلته يتلألا
جمالا وبهاء وغير ذلك من طرف الصين وأعاجيبه .

وكتب إليه ملك الهند : من ملك الهند وعظيم أرا كنة الشرف صاحب

قصر الذهب والزمرد والياقوت والزمرد الذى أبواب قصره من الزمرد
الذبانى إلى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس وأهدى إليه ألف من العود
الهندي الذى ينوب على النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع فتبين
فيه الكتابة وأهدى إليه جاما من الياقوت البهرمانى يفتح شبرا فى شبر سمكه
عرض أصبعين وأهدى إليه أربعين درة يقيمة كل واحدة تزيد على ثلاثة
مناقل وأهدى إليه عشرة أمان كافور كالفسق وأكبر وجارية طولها عشرة
أشبار إلى صدرها وخمسة أشبار إلى فرقها تضرب أهداب عينيها على خديها
فكان بين أجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها وسواد سوادهما مع
صفاء لونها ودقة تخاطيطها وإتقان شكلها مقرونة الحاجبين وكان كتابه فى
لحي شجر الكادى والكتابة بالذهب وهذا شجر يكون بأرض الصين والهند
وهو نوع من نبات الطيب عجيب ذولون أبيض كالفضة مصقول بالمرآة
ينطوى كالورق ولا يتكسر وريحه أعطر شيء من الطيب .

وأهدى إليه ملك تبت من عجائب بلاده مائة جوشن تبتية ومائة قطعة
تجافيف كالبرانس كل واحدة منها تستر الفارس وقرسه ومائة ترس تبتية
لا تعمل فى هذه الأتراس والجواشن والتجافيف عوامل الرماح ولا بواتر
الصفاح ولا شدائد نصول الجراح وزنة كل قطعة من هذه المذكورات
ما بين أربعين درهما إلى الستين درهما وأهدى إليه أربعة آلاف من المسك
التبتي وتسعين غزالا من غزلان المسك فى الحياة ومائة عظيمة من الذهب
الأحمر مرصعة بأنواع الدر والجوهر يدور حولها نحو ثلاثين رجلا قد كتب
على حافتها أشهى الطعام ما أكله إلا كل من حله وجاد على ذى الفاقة من
فضله ما أكلته وأنت تشبهه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشبهه فقد أكلته .
وكان لكسرى خواتم أربعة : خاتم للخراج فسه ياقوت أحمر يتقد
كالنار نقشه العدل العدل . وخاتم للضياع فسه فيروزج نقشه العمارة العمارة .
وخاتم للضرب والعقوبة فسه من زمرد نقشه التانى التانى . وخاتم للبرد

فصه درة يضاء نقشه العجل العجل ، وكان له مائدة أهداها إليه قيصر ملك
الروم من العنبر فتحها ثلاثة أذرع على ثلاث قوائم من الذهب مفصصة
بأنواع الجواهر أحد الأرجل الثلاثة ساعد أسد وكفه والآخر ساق وعل
والثالث كف عقاب ومخبله وثلاثون جاما من الجزع اليماني فتح كل منها شبر
في شبر ، وكان عنده خمسة آلاف درة زنة كل واحدة منها ثلاثة مثاقيل ،
وكان يقول : خير الكنوز معروف أودعته الأحرار وعلم توارثته الأعقاب
وأطول الناس عمرا من كثر عليه فانتفع به من بعده ، وكان لكسرى عشرة
آلاف غلام من الترك والخطا وهم في غاية الحسن والجمال واستقامة الصور
والتخطيط في آذانهم قروط الذهب الأحمر فيها الدر والياقوت معلقا ولباسهم
أقنية الديباج المدثر عشرة صنوف كل صنف منها على قد واحد وزى واحد
ولون واحد من ملابس الديباج ولا يزالون كذلك وكلها التحى واحد منهم
أومات أتى بغيره مكانه في الوقت والحال ، وكان على مربطه تسعة آلاف
فيل منها ألفان وسبعمئة فيل أشد بياضا من الثلج ومنها ما ارتفاعه أربعون
شبرا مات منها فيل فوزن أحد نايه فوجد مائتين وأربعين منا بالبغدادى .
ولما ملك الاسكندر فارس والمغرب والشام وبني الاسكندرية ودمشق
وغيرهما وأحاديثه طويلة ارتحل نحو الهند والسند والصين فوطى أرضها
وذلل ملوكها وأهديت إليه الهدايا من الترك والتبت وغيرهم إلى أنهى مطلع
الشمس من العمران ، وكان معلمه أرسطاطاليس قبله أن بأقصى الهند ملكا
عادلا من ملوكهم وهو ذو حكمة وديانة وسياسة وقد أتى عليه مئون من
السنين وهو قاهر لطبيعته ممت لشهوات نفسه يتجمل بكل خلق كريم ويظهر
بكل فعل جميل فكتب إليه الاسكندر يقول إذا أتاك كتابى هذا فلا تقعد
ولو كنت ماشيا حتى تأتبنى وإلا مزقت ملكك وألحقك بمن مضى ، فلما
ورد الكتاب على ملك الهند كتب جواب الاسكندر بأحسن خطاب
والطف جواب ولقبه بملك الملوك العادلة وأعلم الاسكندر في جوابه أنه قد

اجتمع عنده أشياء لم تجتمع عند ملك من ملوك الدنيا . من ذلك ابنة لم تطلع الشمس على أحسن صورة وهيئة منها . ومنها فيلسوف يخبرك عن مرادك من قبل أن تسأله . ومنها طبيب لا تخشى معه من الأدوية والأمراض والعوارض إلا ما جاء من قبل الموت . ومنها قدح إذا ملأته شرب منه عسكري بجمعه ولا ينقص من القدح شيء . وإني مهد جميع ذلك إلى ملك الملوك وسائر إليه ، قال فلما قرأ الاسكندر جوابه وسمع بذلك هذه الأشياء قلق إليها قلقاً عظيماً فأرسل إليه جماعة من الحكماء أن يشخصوه إليه إن كان كاذباً وأن يخبروه في المقام إن كان صادقاً ويأتوه بهذه الأربع فضى القوم إلى ملك الهند فلقاهم أحسن لقاء وأنزلهم أرحب منزل وأكرمهم أعظم إكرام مدة ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع جلس لهم مجلساً خاصاً وأقبل على الحكماء وباحثهم في أصول الحكمة والفلسفة والعلم الإلهي والمبادئ الأولى والهيئة والأرض ومساحتها والبحار وغيرها حتى ملأ صدورهم من العلم والحكمة ثم أخرج ابنته إليهم وأبرزها عليهم فلم يقع أحدهم على عضو من أعضائها فأمكنه أن يتعدى يبصره عن ذلك العضو إلى غيره وشغله تأمل ذلك العضو وحسن تخطيطه وإتقان صنعه فخافوا على عقولهم الزوال ثم رجعوا إلى نفوسهم عند سترها وقد اندهشوا وسير صحبتهم القدح والطبيب والفيلسوف وودعهم مسافة من الأرض بعد أن خيروه في المقام ، فلما ورد ذلك على الاسكندر أمر بانزال الطبيب والفيلسوف في دار الضيافة والإكرام ونظر إلى الجارية فطاش عقله عند مشاهدتها وشغف بها ، وكان الاسكندر إذ ذاك ابن خمس وعشرين سنة ، وكان من أحسن الناس خلقاً وخلقاً وأكثر الملوك إنصافاً وعدلاً وأغزر الخلق معرفة وحكمة وأعظم الملوك هيئة وصيتاً فأمر القيمة بإكرامها واحترامها وتعظيمها وتقديمها على سائر حرمه وأهله ، ثم قصت الحكماء ماجرى بينهم وبين ملك الهند من المباحث فأعجب الاسكندر وامتنع القدح بأن ملأه ماء فشرب منه جميع عسكريه ولم ينقص منه شيء وسير في

الحال إلى الفيلسوف يمتحنه فيما قيل عنه بإناه مملوء من السمن بحيث لا يمكن أن يزداد فيه شيء ، وقال للرسول سر به إلى الفيلسوف وضعه بين يديه ولا تخبره بشيء أصلا ، فلما وصل به وضعه بين يديه ووقف ولم يكلمه فأخذ الفيلسوف يده ونظره وتأمله باتقاد بصيرته فأخذ إبراصغارا كثيرة وغرزها في السمن حتى بقى وجه السمن كالقنفذ وسيرها إلى الاسكندر ، فلما رآها الاسكندر ووقف عليها حرك رأسه ، ثم أمر بفعل من الابركرة حديد وسيرها إلى الفيلسوف ، فلما وقف الفيلسوف عليها ضرب منها مرآة مصقولة ترد صورة من تأملها من الأشخاص لشدة تلالثها وصفائها وزوال درنها وأمر بردها إلى الاسكندر فجعلها الاسكندر في طست فيه ماء وسيرها إلى الفيلسوف ، فلما نظرها الفيلسوف جعلها كرة مقعرة حتى طفت على وجه الماء وسيرها إلى الاسكندر ، فلما رآها الاسكندر ثقبها وملأها ترابا ورددها إلى الفيلسوف ، فلما رآها الفيلسوف تغير لونه ودمعت عينه وسيرها إلى الاسكندر على حالها من غير أن يحدث في التراب حادثة ، قال فلما كان من الغد جلس الاسكندر جلوسا خاصا وأمر باحضار الفيلسوف ، فلما أقبل نحوه الاسكندر رآه الاسكندر شابا حسنا كأحسن الناس فتعجب من حسنه وهيته فخط الفيلسوف يده على أنفه ثم أتى بتحية الملوك فأشار الاسكندر إليه بالجلوس على كرسي وضعه له بين يديه فجلس حيث أمره ، ثم قال له الاسكندر : ما بالك لما نظرت إليك وضعت أصبعك على أنفك ؟ فقال أيها الملك المعظم دام لك الملك والنعم لما نظرت إلى استحسننت صورتي وخطر بخاطرك هل حكمة هذا الشاب على قدر صورته فوضعت أصبعي على أنفي أخبر الملك أنه ليس في الهند مثلي ، فقال صدقت قد خطر ذلك بخاطري . ثم قال له الاسكندر يا رئيس حدثني بما كان بيني وبينك من الرسائل ، فقال أيها الملك أرسلت إلى باناء مملوء من سمن لا يمكن أن يزداد فيه تخبرني أنك قد امتلأت من الحكم فلا يمكن أن يزداد على حكمتك شيء فأخبرتكم أن عندي من دقائق

الحكم ولطائفها ما ينفذ في حكمتك كما نفذت الابر في السمن ثم أرسلت إلى الابر كرة فأخبرتني أن نفسك قد علاها من وسخ الصدا بقتل الأعداء وسفك الدماء ما قد علا هذه الكرة فأخبرتني أنك عندى من الحيلة والملاطفة ما يجعل نفسك مثل صفاء هذه المرآة حتى تشرق على الموجودات ثم أعلمتني بالطست والماء أن الأيام والليالي قد قصرت عن ذلك فأخبرتني أنى سأعمل في الحيلة على إيصالك إلى العلم الكثير في العمر القصير كما شرفت الحديد الذى من طبعه الرسوب في الماء على وجه الماء فتقبت المقعر وملأته تراباً تخبرني بالموت والقبر فلم أغيره مخبراً للملك أن لا حيلة في الموت فتعجب الاسكندر وقال والله ما غادر ما خطر بخاطرى ، ثم أمر له بخلع وأموال كثيرة فأنى وقال : أنا راغب فيما يزيد في عقلى فكيف أدخل على عقلى ما ينقصه أيها الملك أحسن إلى أهل الهند وكف عن معارضتهم ، وقيل إن القدح الذى شرب منه عسكر الاسكندر وما نقص منه شئ هو قدح آدم أبى البشر عليه السلام ، معمول من ضروب الخواص والروحانية ، وشاهد من الطبيب من لطائف صنائعه ما بهر عقله . ومن عجائب علاجه وتلطفه في إزالة الآفات والأدواء .

وقيل مر يابل فأخبر عن غار هناك وبه آثار عظيمة فأتاه ووقف على بابها فإذا عليه مكتوب بالسريانى يامن نال المنى وأمن الفنا وقد وصل إلى هنا اقرأ وافكر وادخل إلى الغار واعتبر واعلم أنى قد ملكت البلاد وحكمت على العباد وما نلت من الدنيا المراد ، قال فدخل الاسكندر الغار وقد أسبل الدموع الغزار فوجد شخصاً عظيم الهامة طويل القامة على سرير من الذهب ملقى وقد ترك جميع ما ملك وألقى يده اليمنى مقبوضة والآخرى مفتوحة ومفاتيح خزائنه عند رأسه مطروحة وعلى يمينه لوح مكتوب فيه جمعنا المال وأمكنه وعلى شماله لوح مكتوب فيه ثم رحنا وتركناه وعند رأسه لوح مكتوب فيه :

لقد عمرت في زمن سعيد وكنت من الحوادث في أمان
وقاربت الثريا في علو فصرت على السرير كما ترائي
فقال الاسكندر : فسبحان الملك الذي لا عزل له ووقع في قلبه الوجع
والوله فترك كل ما كان له وتخلّى للعبادة وأصلح عمله وفرق الذخائر والخزائن
وتصدق بماله في الحصون والمدائن وأعتق العبيد والخدم وانتصب لعبادة الله
على أحسن قدم ، وقال أعزل نفسي قبل العزل وأجاسبها قبل حساب يوم
الفصل ولبس الخشن والمنسوج رغبة في ملك الأبد والثواب الممنوح وجرح
نفسه بسكين الجوى حتى أعرضت عن مهاوى الهوى لما وجد في الغار
الدوا وترك ما حاز واحتوى واعتزل اللهو وانزوى ولبساط الرغبة طوى
ولسان حاله ينشد لما تم له واستوى :

دع الهوى فأفة العقل الهوى ومنتهى الوصل صدود ونوى
وراقب الله فأتت راحل إلى الثرى ومعظم العمر انطوى
ما ينفع الانسان يوم موته ما حاز من أمواله وما احتوى
يقسمها وارثه برغمه وهو بنار إثمها قد اكتوى
تب قبل شيب الرأس فالتائب لا يتبع شيب رأسه إلا التوى
مادام في العمر اخضرار عوده سهل وصعب عوده إذا ذوى
إذا أضيع أول العمر أبت أعجازه إلا اعوجاجا والتوا
فيل ورجع الاسكندر من بابل وقد أحاطت به البلابل وظهرت به
آثار السقام حتى ثقل لسانه بالكلام ، وكان قد رأى في منامه وطيب لذيقه
أحلامه أنه سيموت فوق أرض من حديد ، وتحت سماء من حديد ثم أخذه
العطش والحمل والتلب والظما ففرشوا تحته دروع الحديد وظللوا فوقه
بالجحف الفولاذ استجلابا للتبريد فأفاق بعد زمان من العشوة واللهف فرأى
دروع الحديد تحته وفوقه الجحف فأيقن بارتحاله فكتب كتابا إلى أمه
بصورة حاله وأوصاها بأن تعمل له وليمة عجيبة الأسلوب وأن لا يحضرها
إلا من لا أصيب بخليل ولا محبوب .

فلما مات رحمه الله وضع في تابوت من ذهب ليحمل إلى أمه إلى الاسكندرية واجتمعت له هذه النعم وعمره ست وثلاثون سنة ، وكان مدة ملكه تسع سنين . فقال حكيم الحكماء ليتكلم كل منكم بكلام ليكون للخاصة معزياً وللعمامة واعظاً فقام أحدهم وقال لقد أصبح مستأسر الملوك أسيراً وقال آخر هذا الاسكندر كان يحب الذهب فصار الذهب يجبؤه وقال آخر : العجب كل العجب أن القوى قد غلب والضعفاء مغترون . وقال آخر : قد كنت لنا واعظاً ولا واعظاً أبلغ من وفاتك . وقال آخر : رب هائب لك لا يقدر أن يذكر كسراً وهو الآن لا يخافك جهراً . وقال آخر : يامن ضاقت عليه الأرض في طولها والعرض ليت شعري كيف حالك في قدر طولك . وقال آخر : يامن كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت . وقال آخر : سيلحق بك من سره موتك . وقال آخر : مالك لا تحرك عضواً من أعضائك وقد كنت تزلزل الأرض .

فلما ورد على أمه في التابوت شرعت في عمل الوليمة وهيات الماء كل والمطاعم ونادت لا يحضر الوليمة إلا من لا جف في الدنيا بمحبوب ولا خليل فلم يحضر الوليمة أحد . فقالت : ما بال الناس لا يحضرون الوليمة ؟ قالوا : أنت منعهم من الحضور . قالت كيف ذلك ؟ قيل لها قد أمرت أن لا يحضرها من فقد محبوباً ولا من فجع بخليل وليس في الناس أحد إلا وقد أصيب بذلك مراراً فلما سمعت بذلك خف ما بها من الحزن وتسلت بعض تسلية وقالت : رحم الله ولدي لقد عزاني بأحسن تعزية وسلاني بألطف تسلية .

(يا هذا) أين القرون الأولى والآخر ، أين من ملك وقهر ، أين من حشد وحشر ، أين من أمر وزجر وخرب آخرته ودينه عمر وأمن الموت المنتظر هل كان له من الموت مفر فلما جاءه المنون بالامر الامر حطه من القصور إلى الحفر وعوضه عن الحرير بالمدر وسلط عليه الدود إلى أن (١٥ - خريدة)

اضمحل وأندثرو لم يبق منه عين ولا أثر إلا ذل وقتر ووهن وخور وعنف
على ذنبه المحتقر ونبي بما قدم وأخر من العجر والبحر .

تبنى وتجمع والآثار تندرس وتأمل اللبث والأرواح تختلس
ذاللب فكر فافى الخلد من طمع لا بد أن ينتهى أمر وينعكس
أين الملوك وملاك الملوك ومن كانوا إذا الناس قاموا هية جلسوا
ومن سيوفهم فى كل معركة تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أصمهم حدث وضمهم جدث باتوا وهم جثث فى الرمس قد حبسوا
أضحوا بمهلكة فى وسط معركة صرعى وماشى الورى من فوقهم تطس
كانهم قط ما كانوا وما خلقوا ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو شاهدت عينك ما صنعت يد البلاء بهم والدود تقترس
لعاينت منظراً تشجى القلوب به وعانيت منكراً من دونه البلس
من أوجه ناظرات حار ناظرها وروى الحسن منها كيف ينظمس
وأعظم باليات ما بها رفق وليس تبقى بهذا وهى تنهس
والسن ناطقات زانها أدب ما شأنها شأنها بالآفة الخرس
تبسم السن للدهر فاغرة فاهما فاهما لهم إذ بالردى وكسوا
عروا من الوشى لما ألبسوا حللا من التراب على أجسامهم وكسوا
وعاد ترب المنايا من ملابسهم جون الثياب وقدمازانها الورس
إلام يا ذا النهى لا ترعوى أبداً ودمع عينك لا يهيم وينبجس
هذا آخر الكلام من أخبار الملوك الماضية والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل في ذكر الكلام في مسائل عبد الله بن سلام

لنينا محمد عليه الصلاة والسلام

وفيه فوائد كثيرة وعلوم غزيرة تزيد هذا الكتاب رونقا وبهجة وتفيد الناظر فيه استدلالا وحجة .

روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وأمر أن يكتب ملوك الكفار وأن يدعوهم إلى عبادة الملك الجبار كتب كتابا إلى يهود خيبر حيث كانوا أقرب الكفار إليه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ما الذى أكتبه إليهم ؟ فأمله جبريل فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى يهود خيبر . أما بعد : فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والدين الخالص لله والعاقبة للمتقوى والسلام على من اتبع الهدى وأطاع الملك الأعلى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . فأمر النبي صلى الله عليه وسلم به فكتب ثم ختمه وأرسل به إلى يهود خيبر ، فلما وصل إليهم أتوا به شيخهم وكبيرهم وحبرهم وعالمهم عبد الله بن سلام وكان اسمه قبل إسلامه أشماويل . فقالوا يا ابن سلام هذا كتاب محمد قد أتانا فقرأه علينا ، فقرأه عليهم ثم قال لهم : ماترون وقد علمتم أن فى التوراة علامات تعرفونها ، وآيات لا تنكرونها تظهر على يد محمد الذى بشر به موسى بن عمران فإن يك هذا أطعناه فقالوا إذا ينسخ كتابنا ويحرم ما هو محل لنا ؟ فقال ابن سلام يا قوم لقد آثرتم الدنيا على الآخرة والعذاب على الرحمة . ثم قال لهم إن محمدا رجل أسمى لا يقرأ ولا يكتب وأتم بين أظهركم التوراة وتكتبون وتقرءون فأنا أستخرج من التوراة ألفا وأربعمائة مسألة وأربع مسائل من غوامضها وأتوجه بها إليه فإن عرفها وأجاب عنها وكشف الالتباس فهو الذى بشر به موسى بن عمران فتؤمن به حقيقة الإيمان وإن تلكا وعجز عن حلها فلا ترجع عن ديننا

ولا تتبعه لحظة من زمان فأجابه اليهود إلى ما قاله واستخرجوا من التوراة ما قدروا عليه من غوامض لا تصل إليها أفهامهم وجهزوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

قال فلما وصل المدينة ودخل من باب المسجد ورأى أنوار النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من حوله حن قلبه إلى الاسلام فقال : السلام عليك يا محمد أنا اشياويل بن سلام والسلام على أصحابك الاعلام . فقالوا : وعلى من اتبع الهدى السلام ورحمة الله وبركاته على الدوام . ثم أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالجلوس فجلس ، فقال له ما تريد يا ابن سلام ؟ فقال يا محمد أنا من علماء بني إسرائيل ومن قرأ التوراة وفهمها وعلمها وأنا رسول اليهود إليك وقد أرسلوا معي رسائل لانفهمها عن يقين وقد سألوكم أن تبينها لهم وأنتم من المحسنين ، فقال عليه الصلاة والسلام قل ما بدالك من المسائل يا ابن سلام فقد أخبرني بها جبريل عن الملك العلام وإن شئت أخبرتك بها قبل أن نفوه بالكلام . فقال يا محمد أعلنني بها لكي أزداد يقينا . فقال يا ابن سلام لقد جئني بألف مسألة وأربعمائة مسألة وأربع مسائل استخرجتموها من التوراة ونسختها بخطك . قال فنكس عبد الله بن سلام رأسه وبكى وقال : صدقت يا محمد وأنت الصادق الأمين يا محمد أنت نبي أم رسول ؟ فقال : إن الله جل وعلا بعثني نبياً ورسولاً وخاتم النبيين أما قرأت في التوراة ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ قال صدقت يا محمد : أمكم أم موحى إليك ؟ قال يا ابن سلام : إن هو إلا وحي يوحى ينزل به جبريل الأمين عن رب العالمين ، قال صدقت يا محمد ، كم خلق الله من نبي ؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً . قال صدقت يا محمد ، فكم من مرسل فيهم ؟ قال ثلثمائة وثلاثة عشر قال صدقت يا محمد ، فمن كان أول الأنبياء ؟ قال آدم عليه السلام قال فمن كان أول المرسلين قال آدم أيضاً كان نبياً مرسلًا قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن رسل العرب كم كانوا؟ قال سبعة: ابراهيم واسماعيل وهود ولوط وصالح وشعيب ومحمد. قال صدقت يا محمد:

فأخبرني كم كان بين موسى وعيسى من نبي؟ قال ألف نبي. قال صدقت يا محمد. فعلى أي دين كانوا؟ فقال: على دين الله الخالص ودين ملائكته ودين الاسلام قال صدقت يا محمد، ما الاسلام وما الايمان؟ قال: الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان والحج إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً، والايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره. قال صدقت يا محمد.

فأخبرني كم دين الله تعالى؟ قال يا ابن سلام دين واحد وهو الاسلام قال صدقت يا محمد، كم كانت الشرائع؟ قال: كانت مختلفة في الأمم الماضية، قال صدقت يا محمد، فأهل الجنة يدخلون الجنة بالاسلام أم بالايمان أم بأعمالهم؟ قال يا ابن سلام: استوجبوا الجنة بالايمان ويدخلونها برحمة الله ويقتسمونها بأعمالهم قال صدقت يا محمد.

فأخبرني كم كتاب أنزل الله تعالى؟ قال يا ابن سلام: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب، قال صدقت يا محمد، فعلى من أنزلت هذه الكتب؟ قال: أنزل الله عز وجل على شيث بن آدم خمسين صحيفة، وأنزل على إدريس ثلاثين صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل الزبور على داود، والتوراة على موسى، والانجيل على عيسى، والفرقان على محمد قال صدقت يا محمد. لم سمى الفرقان فرقانا؟ قال: لأن آياته وسوره مفرقة لا كالصحف والتوراة والانجيل، قال صدقت. فهل في القرآن شيء من الصحف؟ قال نعم: قال وما هو يا محمد؟ فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرن الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى﴾ صحف ابراهيم وموسى قال صدقت يا محمد

فأخبرني ما ابتداء القرآن وما ختمه ؟ قال : ابتداءه بسم الله الرحمن الرحيم وختمه صدق الله العظيم قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن خمسة خلقها الله بيده ؟ قال : جنة عدن خلقها الله بيده وشجرة طوبى غرسها الله بيده ، وصور آدم بيده ، وبني السماء بيده ، وكتب الألواح لموسى بيده قال صدقت يا محمد .

فأخبرني من أخبرك بما أخبرت ؟ قال : أخبرني جبريل ، قال صدقت يا محمد ، عن ؟ قال عن ميكائيل ، قال عن ؟ قال عن إسرافيل ، قال عن ؟ قال عن اللوح المحفوظ ، قال عن ؟ قال : عن القلم . قال عن ؟ قال : عن رب العالمين . قال وكيف ذلك ؟ قال : يأمر الله القلم فيكتب عن اللوح وينزل اللوح على إسرافيل ويبلغ إسرافيل ميكائيل ويبلغ ميكائيل جبريل قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن جبريل في زى الذكران هو أم في زى الاناث ؟ قال : في زى الذكران قال صدقت يا محمد .

فأخبرني ما طعامه وشرابه ؟ قال يابن سلام : طعامه التسبيح وشرابه التهليل قال صدقت يا محمد .

فأخبرني ما طوله وما عرضه وما صفته وما لباسه ؟ قال يا ابن سلام : الملائكة لا توصف بالطول والعرض لأنهم أرواح نورانية لا أجسام جثمانية ضوءه كضوء النهار في ظلمة الليل له أربعة وعشرون جناحاً خضراء مشبكة بالدر والياقوت مختومة بالدر واللؤلؤ والمرجان عليه وشاح بطافته من إستبرق وهي تأخذ بالبصر وظهرته الوقار . إزاره الكرامة ووجهه كالزعفران لا يأكل ولا يشرب ولا يسهو ولا يمل ولا ينسى وهو قائم بأمر وحى الله تعالى إلى يوم القيامة قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن بدء خلق الدنيا وأخبرني عن بدء خلق آدم ؟ قال نعم : إن الله سبحانه وتعالى تقدست أسموه وجل ثناؤه ولا إله غيره خلق آدم

من طين يده وخلق الطين من الزبد وخلق الزبد من الموج وخلق الموج من الماء قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن آدم لم سمي آدم ؟ قال : لأنه خلق من طين الأرض وأديمها قال صدقت يا محمد ، فأدم خلق من طينة واحدة أم من الطين كله ؟ قال يا ابن سلام : بل خلق من الطين كله ولو خلق من طينة واحدة لما عرف الناس بعضهم بعضا ولكانوا على صورة واحدة قال صدقت يا محمد ، فهل لذلك مثل في الدنيا ؟ قال نعم : أما تنظر إلى الدنيا محشوة من تراب أبيض وأحمر وأصفر وأشقر وأغبر وأسود وأزرق وفيه عذب وملح ولين وخشن ومتغير ومتن وكذلك بنو آدم قال صدقت يا محمد .

فأخبرني لما خلق الله آدم من أين دخلت فيه الروح ؟ قال : دخلت من فيه قال صدقت يا محمد ، أدخلت فيه رضا أو كرها ؟ قال : بل أدخلها الله كرها وأخرجها كرها قال صدقت يا محمد .

فأخبرني ما قال الله لآدم ؟ قال يا ابن سلام ، قال الله لآدم ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ قال صدقت يا محمد .

فأخبرني كم أكل حبة من الشجرة ؟ قال : حبتين قال وكم أكلت حواء قال حبتين قال صدقت يا محمد .

فأخبرني ما صفة الشجرة وكم غصن كان لها وكم كان طول السنبلة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان للشجرة ثلاثة أغصان وكان طول كل سنبلة ثلاثة أشبار قال وكم حبة كان في السنبلة ؟ قال : خمس حبات قال صدقت يا محمد ، وكم فرك سنبلة ؟ قال : فرك سنبلة واحدة ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن صفة الحبة كيف كانت ؟ قال يا ابن سلام : كانت بمنزلة البيض الكبار قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن الحبة التي بقيت مع آدم ما صنع بها ؟ قال : نزلت مع آدم

من الجنة فزرعها في الأرض فتناسل منها الحب في الأرض وبورك فيها قال صدقت يا محمد .

قال فأخبرني عن آدم أين أهبط من الأرض ؟ قال : أهبط بأرض الهند قال صدقت يا محمد ، قال فأين أهبطت حواء ؟ قال بجدة ، قال صدقت يا محمد ، فأين أهبطت الحية ؟ قال بأصهبان ، قال صدقت يا محمد ، فأين أهبط إبليس ؟ قال : ببيسان قال صدقت يا محمد ما أغزر عليك وما أصدق لسانك .

فأخبرني ما كان لباس آدم لما أهبط من الجنة ؟ قال : ثلاث ورقات من ورق الجنة وكان متشحاً بالواحدة منزراً بالأخرى معتماً بالثالثة قال صدقت يا محمد . فأخبرني في أي مكان اجتمعوا ؟ قال : بعرفات قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن أول بيت وضع للناس ؟ قال : بيت الله الحرام قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن آدم خلق من حواء أم حواء خلقت من آدم ؟ قال يا ابن سلام : بل حواء خلقت من آدم ولو خلق آدم من حواء لكان الطلاق بأيدي النساء ولم يكن بأيدي الرجال ، قال صدقت يا محمد ، قال ابن سلام : فمن كله خلقت أم من بعضه ؟ قال عليه الصلاة والسلام : خلقت من بعضه ولو خلقت من كله لكان القضاء في النساء ولم يكن في الرجال ، قال صدقت يا محمد فمن باطنه خلقت أم من ظاهره ؟ قال : من باطنه ولو خلقت من ظاهره لكشفت النساء عن وجوههن كالرجال وما استترن ، قال صدقت يا محمد ، فمن يمينه خلقت أم من شماله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : من شماله ولو خلقت من يمينه لكان حظ الأنثى مثل حظ الذكر وشهادتها كشهادته ، قال صدقت يا محمد . فأخبرني من أي موضع خلقت منه ؟ قال : من ضلعه الأيسر قال صدقت يا محمد .

فأخبرني من كان يسكن الأرض قبل آدم ؟ قال : الجن قال فبعد الجن ؟ قال الملائكة ، قال فبعد الملائكة ؟ قال آدم وذريته ، قال صدقت يا محمد ، كم بين الجن والملائكة ؟ قال : سبعة آلاف سنة ، قال صدقت يا محمد ،

كم بين الملائكة وآدم؟ قال : سبعة آلاف سنة ، قال صدقت يا محمد ، هل حج آدم بيت الله الحرام؟ قال نعم ، قال يا محمد من كور رأس آدم؟ قاله جبريل كوره ، قال صدقت يا محمد هل اختن آدم ، قال نعم ختن نفسه بيده ، قال فأخبرني يا محمد لم سميت الدنيا دنيا؟ قال : لأنها خلقت دون الآخرة ولو خلقت مع الآخرة لم تكن كما لا تنفى الآخرة ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن القيامة لم سميت قيامة؟ قال : لأن فيها قيام الخلائق للحساب ، قال صدقت يا محمد ، فالآخرة لم سميت آخرة؟ قال : لأنها متأخرة بعد الدنيا لا توصف سنينها ولا تحصى أيامها ولا ينقضى أمدها ، قال صدقت يا محمد . فأخبرني عن أول يوم بدأ الله فيه خلق الدنيا؟ قال : يوم الأحد قال لم سمي أحدا؟ قال : لأنه خلق الواحد الأحد وأول الأيام ، قال صدقت يا محمد ، فالأثنين لم سمي اثنين؟ قال : لأنه ثاني يوم من أيام الدنيا وكذلك الثلاثة والأربعاء والخميس ، قال صدقت يا محمد ، فلم سميت الجمعة جمعة ، قال : لأنه يوم مجموع فيه الخلق وهو سادس يوم من أيام الدنيا ، قال صدقت يا محمد ، فالسبت لم سمي سبعا؟ قال : هو يوم وكل فيه مع كل من المخلوقين ملكان عن يمينه وشماله يكتبان الحسنات والسيئات فالذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي على شماله يكتب السيئات ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرني أين مقعد الملكين من العبد وما قلبهما وما دواتهما وما لوجهما وما مدادهما؟ قال صلى الله عليه وسلم يا ابن سلام : مقعدهما بين كتفيه وقلبهما لسانه ودواتهما ريقه ولوجهما فؤاده يكتبان أعماله إلى مماته ، قال صدقت يا محمد .

أخبرني كم طول القلم وكم عرضه وكم أسنانه وما مداده وما أثر مجراه؟ قال : طول القلم خمسمائة عام له ثمانون سنا يخرج المداد من بين أسنانه ويمجرى في اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى يوم القيامة بأمر الله عز وجل قال صدقت يا محمد .

قال فأخبرني كم لله من نظرة في خلقه في كل يوم وليلة ؟ قال : ثلثمائة وستون نظرة في كل نظرة يحى ويميت ويمضى ويقضى ويرفع ويضع ويسعد ويشقى ويذل ويقهر ويفنى ويفقر قال صدقت يا محمد .

فأخبرني ما خلق الله بعد ذلك ؟ قال : خلق السماء السابعة مما يلي العرش وأمرها أن ترتفع إلى مكانها فارتفعت ثم خلق السادسة ثم الخامسة ثم الرابعة ثم الثالثة ثم الثانية ثم سماء الدنيا كذلك وأمر كلا منها فاستقرت بمكانها دون الأخرى قال صدقت يا محمد فما بال لون سماء الدنيا أخضر ؟ قال : اخضرت من لون جبل قـ قال صدقت يا محمد ، فهم خلقت سماء الدنيا ؟ قال : خلقت من موج مكفوف ، قال يا محمد وما الموج المكفوف ؟ قال يا ابن سلام : ماء قائم لا اضطراب له ، قال صدقت يا محمد فلم سميت سماء ؟ قال : لأنها خلقت من دخان ، قال صدقت يا محمد .

أخبرني عن السموات ألها أبواب ؟ قال نعم : وهي مقفلة ولها مفاتيح وهي مخزونة قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن أبواب السماء ماهي ؟ قال من ذهب ، قال فما أقفالها ؟ قال : من نور ، قال فما مفاتيحها ؟ قال اسم الله الأعظم قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن طول كل سماء وعرضها وسمكها وارتفاعها ومساكنها ؟ قال : طول كل سماء خمسمائة عام وعرضها كذلك وسمكها كذلك وبين كل سماء إلى سماء كذلك وسكان كل سماء جند وصنوف من الملائكة لا يعلم عددها إلا الله تعالى . قال صدقت يا محمد .

قال فأخبرني عن السماء الثانية التي فوق سماء الدنيا مم خلقت ؟ قال : من النعمام ، قال فالثالثة مم خلقت ؟ قال : من زبرجدة خضراء ، قال فالرابعة ؟ قال : من ذهب أحمر ، قال فالخامسة ؟ قال : من ياقوتة حمراء ، قال فالسادسة ؟ قال : من فضة بيضاء ، قال فالسابعة ؟ قال : من نور ساطع ، قال صدقت يا محمد ، فما فوق السماء السابعة ؟ قال : بحر الحيوان ، قال فما فوقه ؟ قال :

بحر الظلمة ، قال فما فوقه ؟ قال : بحر النور ، قال فما فوقه يا محمد ؟ قال صلى الله عليه وسلم : فوقه الحجب ، قال فما فوق الحجب ؟ قال : سدرة المنتهى ، قال فما فوق سدرة المنتهى ؟ قال : جنة المأوى ، قال صدقت يا محمد ، فما فوق جنة المأوى ؟ قال : حجاب المجد ، قال فما فوق حجاب المجد ؟ قال : حجاب الجبروت ، قال فما فوق حجاب الجبروت ؟ قال : حجاب العزة ، قال فما فوق حجاب العزة ؟ قال : حجاب العظمة ، قال فما فوق حجاب العظمة ؟ قال : حجاب الكبرياء ، قال فما فوق حجاب الكبرياء ؟ قال : الكرسي قال صدقت يا محمد ، لقد أوتيت علوم الأولين والآخرين وإنك لتتطق بالحق المبين .

فأخبرني ما فوق الكرسي ؟ قال : العرش العظيم . قال ما فوق العرش ؟ قال تعالى الله علوا كبيرا أمره فوق العرش وعليه تحت العرش . قال صدقت يا محمد ، هل يستوي مخلوق على العرش ؟ قال : معاذ الله يا ابن سلام الأدب الأدب . قال صدقت وأضبت .

أخبرني عن الشمس والقمر أحما مؤمنان أم كافران ، قال صلى الله عليه وسلم : هما مؤمنان طابعتان مسخران تحت قهر المشيئة ، قال صدقت يا محمد قال فما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور ؟ قال : لأن الله تعالى بحا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة نعمة من الله وفضلا ولولا ذلك لما عرف الليل من النهار قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن الليل لم سمي ليلا ؟ قال : لأنه منال الرجال من النساء جعله الله ألفة وسكنا ولباسا ، قال صدقت يا محمد . ولم سمي النهار نهارا ؟ قال : لأنه محل طلب الخلق لمعايشهم ووقت سعيهم واكتسابهم قال : صدقت يا محمد .

فأخبرني عن النجوم كم جزء هي ؟ قال : ثلاثة أجزاء : جزء منها بأركان العرش يصل ضوءها إلى السماء السابعة ، وجزء منها في السماء الدنيا

كالقناديل المعلقة تضيء لسكانها وترى الشياطين بشرها إذا استرقوا السمع والجزء الثالث منها معلق في الهواء وهي تضيء على البحار وعلى ما فيها . قال صدقت يا محمد . ما بال النجوم تبين صفاراً وكباراً ؟ قال يا ابن سلام : لأن بينها وبين السماء بحاراً تضرب الريح أمواجها فيضطرب فتبين صفاراً وكباراً ومقادير النجوم كلها واحدة . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني كم بين السماء والأرض من ريح ؟ قال يا ابن سلام : ثلاث الريح العقيم التي أرسلت على قوم عاد وهي ريح سوداء مظلمة يعذب الله بها من يشاء من أهل النار ، وريح أخرى يعذب الله بها الكفار يوم القيامة وريح أهل الأرض تغزو في جوانبها ولولا تلك الريح لاحتقرت الأرض والجبال من حر الشمس قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن حملة العرش كم هم صفا ؟ قال ثمانون صفا كل صف منها طوله ألف ألف فرسخ وعرضه خمسمائة عام رءوسهم تحت العرش وأقدامهم تحت الأرض السابعة ولو كان طائر يطير من أذن أحدهم إلى اليسرى ألف سنة من سنى الدنيا لم يبلغ مدى ذلك ولهم ثياب من در وياقوت شعورهم كالزعفران وطعامهم التيسيح وشرابهم التهليل ومنها صف نصفه من نأج ونصفه من نار ومنها صف نصفه رعد ونصفه برق ومنها صف نصفه من ماء ونصفه من مدر ومنها صف نصفه من ماء ونصفه من ريح . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن طائر ليس له في السماء ملجأ ولا في الأرض مأوى ما هو ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك حيات بيض أعرافها كأعراف الخيل تبيض في الجو على أذنابها وتفرخ في الهواء إلى يوم القيامة . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن مولود أشد من أيه ؟ قال يا ابن سلام : ذلك الحديد ولد من الحجر وهو أشد من الحجر . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن بقعة أصابتها الشمس مرة واحدة فلا تعود إلى يوم القيامة إليها، قال : ذلك الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون حين انقلب البحر وانطبق عليه قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن بيت له اثنا عشر بابا خرج منه اثنا عشرة عينا لاثني عشر قوما ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم إن أخى موسى عليه السلام لما جاوز بني إسرائيل البحر ودخل بهم إلى البرية شكوا إليه العطش فرمى بحجر مربع فأوحى الله عز وجل إليه أن اضرب بعصاك الحجر فضربه موسى فانفجرت منه اثنا عشرة عينا لاثني عشر سبطا من بني إسرائيل قال صدقت يا محمد .
فأخبرني عن شيء لا من الجن ولا من الانس ولا من الطير ولا من الوحش أنذر قومه ؟ قال يا ابن سلام : النملة أنذرت قومها حين قالت : (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن أوحى الله إليه من الأرض ؟ قال : أوحى الله إلى طور سيناء أن يرفع موسى نحو السماء ليأخذ الألواح المنزلة عليه قال صدقت يا محمد .
فأخبرني عن مخلوق أوله عود وآخره روح ؟ قال : ذلك عصا موسى ابن عمران عليه السلام أمره الله أن يلقها في بيت المقدس فألقاها فاذا هي حية تسعى قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن ثلاث ذكور لم يولدوا من فحل ؟ قال : هم آدم عليه السلام وعيسى بن مريم عليهما السلام ، وكبش اسماعيل عليه السلام . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن وسط الدنيا أى موضع هو ؟ قال : بيت المقدس . قال كيف ذلك ؟ قال لأن فيه الحشر والصراط والميزان قال صدقت يا محمد .
فأخبرني عن الفلك المشحون ؟ قال صلى الله عليه وسلم السفن المبينة أما قرأت في التوراة (وحملناه على ذات ألواح ودسر) . قال ما الألواح ؟

قال : الأشجار التي شقت طولاً هي الألواح والدمر المسامير والعوارض من الحديد قال صدقت يا محمد .

فأخبرني كم كان طول سفينة نوح عليه السلام وكم كان عرضها وارتفاعها قال يا ابن سلام : كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها مائة وخمسون ذراعاً ، وارتفاعها مائتا ذراع . قال صدقت يا محمد فمن أين ركبها نوح عليه السلام قال : من العراق . قال وأين بلغت ؟ قال : طافت بالبيت العتيق أسبوعاً وبالبيت المقدس أسبوعاً ، واستوت على الجودي . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن البيت المعمور أين كان لما أغرق الله الدنيا ؟ قال : لما أغرق الله الدنيا رفع البيت الحرام من الأرض إلى السماء السابعة ، ومن ثم سمي البيت المعمور قال صدقت يا محمد .

فأخبرني أين كانت الصخرة وبيت المقدس وقت الطوفان ؟ قال : أودعهما الله عز وجل في بطن جبل أبي قبيس . قال صدقت يا محمد . قال أخبرني يا محمد عن المولود الذي لم يشبه أباه وربما أشبه خاله أو عمه ؟ قال : إذا جامع الرجل امرأته فإن غلبت شهوة الرجل شهوة المرأة خرج الولد بأبيه أشبه وإن غلبت شهوة المرأة شهوة الرجل خرج الولد بأمه أشبه ، وإن استويا خرج شبيهاً بهما ، وإن سبقت شهوة الرجل خرج الولد بعمه أشبه ، وإن سبقت شهوة المرأة كان الولد بخاله أشبه . قال صدقت يا محمد ، هل يعذب الله خلقه بلا حجة ؟ قال : معاذ الله إن الله تبارك وتعالى ملك عادل لا جور في قضائه قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن أطفال المشركين أين يكونون أفي الجنة هم أم في النار ؟ قال يا ابن سلام : الله أولى بهم إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلق لفصل القضاء أمر الله تعالى بأطفال المشركين فيؤتى بهم فيقول لهم عز وجل عبادي وأبناء عبادي وإماني من ربكم وما دينكم وما عملكم ؟ فيقولون اللهم أنت ربنا وأنت خالقنا ولم نك شيئاً وأمتنا ولم نجعل لنا ألسنة نتكلم بها ، ولا عقولاً

نعقل بها ولا قوة في الاعضاء تعبد بها ولا علم لنا إلا ما علمتنا فيقول الله عز وجل فالآن لكم السنة وعقول وقوة للحركة في الاعضاء فان أمرتكم يا عبادى بأمر تفعلونه ؟ فيقولون إلهنا تباركت وتعاليت لك السمع والطاعة مرنا بما شئت فيأمر الله ملكا فيزجر جهنم حتى تفور ويأمر بأطفال المشركين أن يلقوا فيها فمن كان منهم قد سبق في علم الله له السعادة ألقى بنفسه في الحال بلا إمهال فتكون النار عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام ومن سبق في علم الله له الشقاوة وامتنع من إلقاء نفسه في النار فأولئك يتبعون آباءهم . والفرقة الأخرى يخرجون إلى الجنة مع المؤمنين . قال صدقت وبررت وينت وأزلت الشك يا محمد فزدنى يقيناً .

فأخبرنى عن الأرض لم سميت أرضاً ؟ قال : لأنها أرض يداس عليها قال صدقت يا محمد . فم خلقت ؟ قال : من الزبد . فالزبد مم خلق ؟ قال : من الموج . قال فالموج مم خلق ؟ قال : من البحر قال صدقت يا محمد . فكيف كان ذلك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل لما خلق البحر أمر الريح أن يضرب الأمواج بعضها في بعض فاضطربت الأمواج حتى ظهر الزبد فأمره أن يجتمع فاجتمع ثم أمره أن يلين فلان ثم أمره أن يعتدل فاعتدل ثم أمره أن يمتد فامتد فسطحها أرضاً ومهدا . قال صدقت يا محمد .

قال فأخبرنى بم أمسكها ؟ قال : بجبل قاف المحيط بالعالم وهو أصل أوتاد الأرض التي نحن عليها . قال صدقت يا محمد .

قال فأخبرنى ما تحت هذه الأرض ؟ قال : تحتها ثور والثور على صخرة . قال وما صفة ذلك الثور ؟ قال : له أربع قوائم وأربعون قرناً وأربعون سناماً ، رأسه بالشرق ، وذنبه بالمغرب ، ومسيرة ما بين قرن وقرن من قرونه خمسون ألف سنة قال صدقت يا محمد .

فأخبرنى ما تحت الصخرة التي عليها الثور ؟ قال : تحتها جبل يقال له

صعود . قال ولمن أعد ذلك الجبل يوم القيامة ؟ قال : لأهل النار يصعدون
المشركون في النار في مدة خمسين ألف سنة حتى إذا بلغوا أعلاه نقضهم
الجبل فيساقطون إلى أسفله ويسحبون على وجوههم قال صدقت يا محمد .
فأخبرني ما تحت ذلك الجبل ؟ قال : أرض . قال وما اسمها ؟ قال : هاوية .
قال وما تحتها ؟ قال : بحر . قال وما اسمه ؟ قال : السهيل ، قال صدقت يا محمد .
فما تحت ذلك البحر ؟ قال : أرض . قال وما اسمها ؟ قال ناعمة . قال وما تحتها ؟
قال : بحر . قال وما اسمه ؟ قال الزاخر ، قال وما تحته ؟ قال أرض ، قال
وما اسمها ؟ قال فسيحة ، قال فصف لي يا محمد تلك الأرض ؟ فقال صلى الله
عليه وسلم يا ابن سلام : هي أرض بيضاء كالشمس وريحها كالملك وضوؤها
كالقمر ونباتها كالزعفران يحشر عليها المتقون يوم القيامة قال صدقت يا محمد
فأخبرني أين تكون هذه الأرض التي نحن عليها اليوم ؟ قال صلى الله
عليه وسلم تبدل بأرض غيرها قال صدقت يا محمد .

فأخبرني ما تحت الأرض ؟ قال : بحر . وما اسمه ؟ قال القمقام ، قال
وما فيه ؟ قال النون ، قال وما النون يا محمد ؟ قال الحوت ، قال وما اسمه ؟
قال بهموت ، قال صدقت يا محمد فصف لي الحوت ؟ قال يا ابن سلام رأسه
بالمشرق وذنبه بالمغرب . قال فما على ظهره ؟ قال الأراضى والبحار والظلمات
والجبال . قال فما بين عينيه ؟ قال بين عينيه سبعة أبحر في كل بحر سبعون ألف
مدينة في كل مدينة سبعون ألف ملك قال فما يقولون ؟ قال يقولون لا إله
إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير قال
صدقت يا محمد .

فأخبرني ما تحت الحوت ؟ قال : ريح تحمل الحوت بأذن الله تعالى
قال صدقت يا محمد .

فأخبرني ما تحت الريح ؟ قال : الظلة قال فما تحت الظلة ؟ قال الثرى : قال
وما تحت الثرى ؟ قال لا يعلم ذلك إلا الله تبارك وتعالى قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن ثلاث رياض في الدنيا هن من رياض الجنة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولها مكة وثانيها بيت المقدس وثالثها يثرب هذه . قال صدقت يا محمد . ثم قال عبد الله بن سلام يا محمد أخبرني عن أربع مدن من مدائن الجنة في الدنيا ؟ قال : أولها إرم ذات العماد . الثانية المنصورة من بلاد الهند . الثالثة قيسارية بساحل بحر الشام . الرابعة البلقاء من أرض أرمينية . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن أربع منابر من منابر الجنة في الدنيا ؟ قال : أولها القيروان وهي أفريقية بالمغرب . الثانية باب الأبواب من أرمينية . الثالثة عبادان بأرض العراق . الرابعة خراسان خلف نهر جيحون . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن أربع مدن من مدائن جهنم في الدنيا ؟ قال : أولها مدينة فرعون في أرض مصر . الثانية انطاكية بأرض الشام . الثالثة بأرض سيحان من أرمينية . الرابعة المدائن من العراق . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن أربعة أنهار في الدنيا من أنهار الجنة ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : أولها الفرات وهو في حدود الشام . الثاني بأرض مصر وهو النيل . الثالث نهر سيحان وهو نهر الهند . الرابع جيحان وهو بأرض بلخ . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن شيء لا شيء وعن شيء بعض شيء وعن شيء لا يقنى منه شيء ؟ قال يا ابن سلام : أما شيء لا شيء فهي الدنيا يذهب نعيمها ويموت أهلها ويخمد ضوءها ، وأما شيء بعض شيء فوقوف الخلائق في صعيد واحد للحساب وأما شيء لا يقنى منه شيء فهي الجنة لا يقنى نعيمها والنار لا ينقضى عذابها . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن جبل قاف وما خلفه وما دونه ؟ قال صلى الله عليه وسلم خلفه أرض من ذهب وسبعون أرضاً من فضة وسبعة أراض من مسك . (١٦ - خريدة)

قال فما سكان هذه الاراضي ؟ قال الملائكة . قال كم طول كل أرض ، وكم عرضها ؟ قال : طول كل أرض عشرة آلاف عام وعرضها كذلك . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني ما وراء ذلك ؟ قال : حجاب من الريح . قال فما وراء ذلك ؟ قال : كنف محيط بالدنيا كلها . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن أهل الجنة يأكلون ويشربون فكيف لا يبولون ولا يتغوطون وما مثل ذلك في الدنيا ؟ قال : مثله في الدنيا الجنين الذي في بطن أمه يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب ولا يبول ولا يتغوط ، ولو بال أوراث لانشق بطن أمه ولماتت أمه من تصاعد بخار ذلك إليها . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن أنهار الجنة ما هي ؟ قال يا ابن سلام : من لبن لم يتغير طعمه وخمر وما وعسل مصفى . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني أجادة هي أم حارية ؟ قال بل جارية بين أشجار وثمار ورياض فقال هل تنقص تلك الأنهار أم تزيد ؟ قال لا تنقص ولا تزيد . قال فهل لذلك مثل في الدنيا ؟ قال نعم : أما تنظر إلى البحار وما ينزل فيها من الأمطار وما يمدّها من الأنهار من منذ خلقت إلى الآن ولا يؤثر فيها زيادة ولا نقصاناً . قال صدقت يا محمد .

قال فأخبرني بأسماء أنهار الجنة وصفاتها ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : في الجنة نهر يقال له الكوثر رانحته أطيب من المسك الأذفر والعنبر حصباؤه الدر والجوهر والياقوت الأحمر عليه خيام من اللؤلؤ الأبيض وهو منزل أولياء الله تعالى . قال صدقت يا محمد . فصف لي أشجار الجنة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن سلام : في الجنة شجرة يقال لها طوبى أصلها در وأغصانها من زبرجد وثمرها من جوهر ، ليس في الجنة غرفة ولا حجرة ولا قصر ولا خيمة إلا وهي مظلة عليها . قال صدقت يا محمد ، فهل في الدنيا

لها من مثيل ؟ قال نعم : الشمس المشرقة تشرق على بقاع الدنيا ولا يخلو من شعاعها مكان . قال صدقت يا محمد ، فهل في الجنة ريح قال يا ابن سلام : ريح واحدة خلقت من نور مكتوب عليها الحياة واللذة لأهل الجنة ويقال لها البهاء فاذا اشتاق أهل الجنة أن يزوروا ربهم في الجنة هبت تلك الريح عليهم تنفخ في وجوههم النور والنضرة والسرور وتطيب قلوبهم ويزدادون نوراً على نورهم وتضرب أبواب الجنان وحلق المصاريع وتسبح الأنهار بخيرها ، والأطيار بتغريدها ، والأغصان بتصفيقها فلو أن من في السموات والأرض قيام يستمعون لتلك اللذة لما اتوا جميعاً من طيها وشوقاً إلى مشاهدتها والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار دار الثواب . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن أرض الجنة ماهي ؟ قال يا ابن سلام أرضها ذهب وترابها مسك وعنبر ، ورياضها الدر والياقوت والزعفران ، وسقفها عرش الرحمن قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن طعام أهل الجنة إذا دخلوها ؟ قال : يأكلون من كبد الحوت الذي يحمل الدنيا والأراضي والجيال واسمه بهموت . قال صدقت يا محمد . فأخبرني عن أهل الجنة كيف ينصرف ما يأكلون من ثمارها وأطيارها من أجوافهم ؟ قال يا ابن سلام ليس يخرج شيء من أجوافهم بل يعرقون عرقاً طيباً أطيب من المسك وأعبق من العنبر ولو أن عرق رجل من أهل الجنة مزج به البحار لعطر ما بين السماء والأرض من طيب ريحه . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن لواء الحمد ما صفته وكم طوله وارتفاعه ؟ قال يا ابن سلام : طوله ألف سنة أمانته من ياقوته حمراء وياقوته خضراء قوائمه من فضة يضاء له ذوائب من نور ذؤابة بالشرق ، وذؤابة بالمغرب ، والثالثة بوسط الدنيا . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن الأسطر المكتوبة عليه وكم عدة ذلك ؟ قال : ثلاثة أسطر الأول بسم الله الرحمن الرحيم . الثاني الحمد لله رب العالمين . الثالث لا إله إلا الله محمد رسول الله . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن الجنة والنار وأيهما خلق قبل ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجنة خلقت قبل النار ولو خلقت النار قبل الجنة لسبق العذاب الرحمة قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن الجنة أين هي ؟ قال : في السماء السابعة والنار في تخوم الأرض السفلى . قال صدقت يا محمد .

فأخبرني كم للجنة من باب وكم للنار من باب ؟ قال : للجنة ثمانية أبواب والنار سبعة أبواب . قال وكم بين الباب والباب من الجنة ؟ قال ألف سنة . قال وكم ارتفاعها ؟ قال خمسمائة عام ، وعلى شرفاتها سرادق من ذهب بطاقتها من الزمرد ، وعلى كل باب جند من الملائكة لا يحصى عندهم إلا الله تبارك وتعالى . قال فما تقول تلك الملائكة ؟ قال . يقولون طوبى لأهل الجنة وما يلقون من النعيم وكرامة الله تعالى . قال في أي الأعمار وأي الصفات يدخل أهل الجنة الجنة ؟ قال يدخلونها أبناء ثلاث وثلاثين في حسن يوسف عليه السلام ، وطول آدم ، وخلق محمد صلى الله عليه وسلم . قال فصف لي بعض نعيم أهل الجنة ؟ قال : إن أدنى ما في الجنة وليس في الجنة ذنء لو نزل به جميع من في الأرض من العوالم لوسعهم طعاما وشرابا وفاكهة وقرى ولم ينقص مما لديه شيء ، ولو أن رجلا من أهل الجنة بصق في البحار المالحة لعذبت ، ولو أدلى ذؤابة من ذوائبه من السماء إلى الأرض لغلب ضوؤها ضوء الشمس ونور القمر . قال صدقت يا محمد . فصف لي الحور العين ؟ قال يا ابن سلام : الحور العين بيض كاللؤلؤ مشربات بحمرة الياقوت الأحمر قال صدقت يا محمد . صف لي النار ؟ قال يا ابن سلام : إن النار أوقد عليها ألف سنة حتى احترت ، وألف سنة حتى ابيضت ، وألف سنة حتى اسودت

فهي سوداء مظلمة بمزوجة بنضب الله لا يهدأ لها ، ولا يخمد جمرها . يا ابن سلام لو أن جمره من جمرها ألقيت في دار الدنيا لألهمت ما بين المشرق والمغرب من حرارة جمرها وعظم خلقها ، وعى سبع طباق : الطبقة الأولى للمنافقين ، والثانية للمجوس ، والثالثة للنصارى ، والرابعة لليهود ، والخامسة سقر ، والسادسة السعير . وأمسك النبي صلى الله عليه وسلم عن ذكر السابعة وبكى حتى جرت دموعه على لحيته الكريمة ثم قال : وأما السابعة وهي أهونها لأهل الكباثر من أمتي . قال صدقت وبررت يا محمد .

فأخبرني عن يوم القيامة وكيف تقوم الخلائق ؟ قال يا ابن سلام : إذا كان يوم القيامة كورت الشمس واسودت وطمست النجوم ونحلت وانتثرت وسيرت الجبال وعطلت العشار وبدلت الأرض غير الأرض ، قال صدقت يا محمد . كيف تقوم الخلائق ؟ قال رسول صلى الله عليه وسلم : يقيم الله الخلائق لفصل القضاء ، يمد الصراط وينصب الميزان وينشر الدواوين ويبرز الرب للحكم بين الخلائق ، قال صدقت يا محمد . فكيف يميز الخلائق إذا قامت الساعة ؟ قال يأمر ملك الموت فيقف على صخرة بيت المقدس ويضع يمينه على السموات ويده اليسرى تحت الثرى ويصيح بهم صيحة عظيمة وينفخ صاحب الصور في صورته فلا يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا إنس ولا جان وطيور ولا وحش إلا خرم ميتا ميتة رجل واحد فتبقى السموات خالية من سكانها والأرض عاطلة من فطانها والعشار معطلة والبحار جامدة والجبال مدكدكة والشمس منكسفة والنجوم منطمسة ، قال صدقت يا محمد . فأخبرني عن ملك الموت هل يذوق الموت أم لا ؟ قال يا ابن سلام : إذا أمات الله الخلائق ولم يبق شيء له روح يقول الله للملك الموت من بقي من خلقي وهو أعلم بمن بقي فيقول يا رب أنت أعلم لم يبق إلا عبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله يا ملك الموت قد أذقت رسل وأنبيائي وأوليائي وعبادي الموت وقد سبق في على القديم وأنا علام الغيوب أن كل شيء هالك إلا وجهي وهذه نوبتك فيقول

ألمى أرحم عبدك ملك الموت فانه ضعيف وأنت ألطف به فيقول سبحانه
 ضع يمينك تحت خدك الأيمن واضطجع بين الجنة والنار ومت ، قال عبد الله
 ابن سلام بأبي أنت وأمي يا محمد وكم بين الجنة والنار ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :
 مسيرة ثلاثة آلاف سنة من سنى الدنيا فيضطجع ملك الموت بين الجنة والنار
 على يمينه ويضع يده اليمنى تحت خده واليسرى على وجهه ويصرخ صرخة فلو
 أن أهل السموات والأرض أحياء لما تروا من شدة صرخته ، قال صدقت يا محمد .
 فما يصنع الله بالسموات إذا مات سكانها ؟ قال يطويها يمينه كطى السجل
 للكتب ثم يقول جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره ولا معبود
 سواه : أين الملوك الجبابرة أين مدعى الملك والقوة فلا يجيبه أحد ثم يقول
 (لمر الملك اليوم) فلا يجيبه أحد فيرد سبحانه على ذاته المقدسة (الله الواحد
 القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب)
 قال صدقت يا محمد .

فأخبرني كيف يحشر الله الخلائق بعد موتهم ؟ قال النبي صلى الله عليه
 وسلم يا ابن سلام : يحيى الله إسرأفيل وهو أول من يحيا من المقربين وهو
 صاحب الصور فيأمره أن ينفخ في الصور نفخة البعث ، قال ابن سلام :
 فما يقول إسرأفيل في الصور ؟ قال صلى الله عليه وسلم : يقول أيتها العظام
 البالية النخرة والأوصال المتفرقة المنفصلة هلموا للعرض على الله هلموا إلى
 جبار السموات والأرض ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ، قال
 فكم طول كل نفخة ؟ قال : مدة أربعين سنة ، قال فكم كلمة يتكلم إسرأفيل
 في الصور وقت النفخ ؟ قال : ست كلمات الكلمة الأولى يكون الناس طينا
 الثانية يكونون صوراً الثالثة تستوى الأبدان الرابعة تجرى الدماء في العروق
 الخامسة تنبت الشعور السادسة قوموا فاذا هم قيام ينظرون ، قال صدقت
 يا محمد : فكيف تقوم الخلائق يوم القيامة ؟ قال صلى الله عليه وسلم
 يا ابن سلام : يقومون حفاة عراة وأستهم جافة وبطونهم مظلة وأبصارهم

وجلة قال الرجال ينظرون إلى النساء والنساء ينظرون إلى الرجال قال هيات يا ابن سلام (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) من شدة هول يوم القيامة قال صدقت يا محمد . ثم أمسك ابن سلام عن الكلام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم سل عما شئت ولا تهب . فقال الحمد لله الذي منّ على بالنظر إلى وجهك يا محمد وأهلني لحطابك .

فأخبرني إذا كان يوم القيامة أين يحشر الله الخلائق ؟ قال : يحشرون إلى بيت المقدس ، قال وكيف ذلك ؟ قال : يأمر الله عز وجل نارا فتحيط بالدنيا وتضرب وجوه الخلائق فيهربون ويمرون على وجوههم فيجتمعون إلى بيت المقدس ، قال صدقت يا محمد . فما يصنع الله بالطفل الصغير والشيخ الكبير ؟ قال : من كان مؤمنا سارت به الملائكة وانتفضت النار عن وجهه ومن كان كافرا تلفح وجهه النار حتى يوثق به إلى بيت المقدس ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرني كم تكون يومئذ صفوف الخلائق ؟ قال يا ابن سلام : مائة وعشرين صفًا ، قال كم طول كل صف وكم عرضه ؟ قال طوله مسيرة أربعين ألف سنة وعرضه عشرون ألف سنة ، قال صدقت يا محمد . كم صف من المؤمنين وكم صف من الكافرين ؟ قال : المؤمنون ثلاثة صفوف ، ومائة وسبعة عشر صفًا للكافرين ، قال صدقت يا محمد . فاصفة المؤمنين وما صفة الكافرين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما المؤمنون فغرة محجلون من أثر الوضوء والسجود وأما الكافرون فسود الوجوه يأتون الصراط قال وكم طول الصراط ؟ قال : مسيرة ثلاثين ألف سنة ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرني كيف تمر الخلائق على الصراط ؟ فقال : يكسو الله الخلائق نورا فأما نور المسلمين والمؤمنين والموحدين فمن نور العرش ونور الملائكة من نور الكرسي فلا يطفأ لهم نور أبداً وأما الكافرون فمن نور الأرض ونور الجبال ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرني عن أول فئة تجوز على الصراط من هم ؟ قال : المؤمنون ،

قال صدقت يا محمد . فصف لي ذلك ، قال يا ابن سلام : من المؤمنين من يجوز في عشرين عاما على الصراط فاذا بلغ أولهم الجنة تدلت الكفار على الصراط حتى إذا توسطوا أطفا الله نورهم فيقون بلا نور فينادون بالمؤمنين ﴿ انظرونا نقبس من نوركم ﴾ أليس فيكم الآباء والأصحاب والأخوان ﴿ ألم نكن معكم ﴾ في دار الدنيا ﴿ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ما وإكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴾ ويقال لهم ﴿ ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور ﴾ ويأمر الله جهنم فتصبح بهم من تحتهم صيحة فيسقطون على وجوههم وروءسهم في النار حيارى نادمين وتنجو عصاة المؤمنين ببركة الله ولطفه بهم ، قال صدقت يا محمد .

فأخبرني ما يصنع الله بالموت حينئذ ؟ قال فاذا صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار أتى بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال لأهل الجنة يا أولياء الله هذا الموت هل تعرفونه فيقولون نعرفه يا ملائكة ربنا اذبجوه حتى لا يكون موت أبدا ويقولون لأهل النار يا أعداء الله هذا الموت هل تعرفونه فيقولون نعرفه فتقول الملائكة نذبجه فيقولون يا ملائكة ربنا لا تذبجوه ودعوه لعل الله يقضى علينا بموت فنستريح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذبج الموت بين الجنة والنار فيأثر أهل النار من الخروج منها وتطمئن أهل الجنة بالخلود فيها فعند ذلك قال ابن سلام صدقت يا رسول الله .

ونفض قائما على قدميه وقال : امدد يدك الكريمة لتشملني بركتها فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك محمد رسول الله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الحساب حق وأن الثواب حق وأن ما أخبرت به حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، فكبرت الصحابة رضي الله عنهم عند ذلك وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سلام وصار من

أكابر الصحابة رضى الله عنهم ونعمة على اليهود .
تمت المسائل بحمد الله وعونه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .

وهذه نبذة منقولة من كتاب البدء لابن زيد البلخي رحمه الله تعالى
فصل فيما ذكر في المدة قبل خلق الخلق

روى حماد بن زيد عن طاوس عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ،
قال : قالت بنو إسرائيل لموسى بن عمران عليه السلام : هل ربك منذ كم خلق
الدنيا ؟ فقال موسى : يا رب أما تسمع ما يقول عبادك ؟ فأوحى الله سبحانه
وتعالى إليه ، يا موسى إني خلقت أربعة عشر ألف مدينة من فضة وملأتها
خردلا وخلقت لها طيرا وجعلت رزقه كل يوم حبة من ذلك الخردل فأكل
الخردل حتى فنى ما فى الخزائن ومات الطير بعد استيفاء رزقه ثم خلقت الدنيا
فقبل لابن عباس فأين كان عرشه ؟ قال على الماء ، فقبل فأين كان الماء ؟ قال
على متن الريح .

وروى مثل هذا عن طاوس مرفوعا عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ،
فقال هذا شئ غامض صعب موكل إلى علم الله تعالى إذ ليس يدرك ما الذى
كان قبل هذا الخلق أمثل هذا الخلق أم على خلافهم وهل يعيد الدنيا بعد فناء
هذه الدنيا أم لا ، والأخبار واردة بأشياء عجبية والقدرة سالحة لأضعاف
أضعاف ذلك .

وزعم بعض الناس أنه عد قبل آدم هذا الذى تنسب إليه ألف آدم
ومائتى آدم والله أعلم وكله جائز لكونه تحت الامكان ودخل فى حد الایجاد ،
فأما الذى لا يسوغ القول إلا به ولا يلزم إلا اعتقاده انفراد الله سبحانه
جل جلاله عن خلقه سابقا من غير شريك ولا جوهر قديم وإبداعه الأشياء
لا من شئ سبحانه لا إله إلا هو .

ذكر مدة الدنيا واختلاف الناس فيها

قال الله تعالى : ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴾ فزعم قوم أن مدة الدنيا ستة آلاف سنة مكان كل يوم ألف سنة . روى عن كعب الأحبار رضى الله عنه : إن الله وضع الدنيا على سبعة أيام مكان كل يوم ألف سنة . وروى أبو المقوم الانصارى ، عن ابن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة . وروى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأبان عن عكرمة في قوله تعالى : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هي الدنيا من أولها إلى آخرها ، وجاء في خبر آخر : أنه مائة ألف سنة وخمسون ألف سنة .

قال البلخي رحمه الله : أخبرني هريذ المجوس وهو أعلم من الموبذان بفارس أن في كتاب لهم أن مدة الدنيا أربعة أرباع ، فأولها ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة وعدد أيام السنة وقد مضت ، والربع الثاني ثلاثون ألف سنة وعدد أيام الشهر وقد مضت أيضا . والربع الثالث اثناعشر ألف سنة وعدد شهور السنة وقد مضت أيضا . والربع الرابع سبعة آلاف سنة وعدد أيام الأسبوع ونحن فيها .

قال البلخي رحمه الله : وجدت في كتاب رواية عن وهب عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم : سئل منذ كم خلقت الدنيا ، فقال : أخبرني ربي أنه خلقها منذ سبعمائة ألف سنة إلى اليوم الذي بعثني فيه رسولا إلى الناس ، وزعم أيضا أن عما يدل على ذلك ما جاء في الخبر ، أن إبليس عبد الله قبل أن يخلق آدم خمسة وثمانين ألف سنة وخلق بعد ما خلق السموات والأرض من المدد ما شاء الله والله سبحانه وتعالى بغيه أعلم .

ذكر ما وصف من الخلق قبل آدم عليه السلام

روى في الحديث وإن كل شيء خلقه الله من الخلق كان قبل آدم وإن آدم وجد بعد إيجاد الخلق لأنه خلق آدم آخر الأيام التي خلق فيها الخلق ، وروى

بقية بن الوليد ، عن محمد بن نافع ، عن محمد بن عبد الله بن عامر المكي أنه قال :
خلق الله خلقه من أربعة أشياء الملائكة من نور والجان من نار والبهائم من
ماء وآدم من طين وذريته كذلك بالتبعية فجعل سبحانه الطاعة في الملائكة
والبهائم لأنهما من النور والماء وجعل المعصية في الجن والانس لأنهما من
الطين والنار .

وروى عن شهر بن حوشب أنه قيل : خلق الله في الأرض خلقا وأسكنهم
فيها ، ثم قال لهم : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ فإتم صانعون ؟ قالوا
نعمه فلا نطيعه ، فأرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم ، ثم خلق الجن فأمرهم
بعمارة الأرض فكانوا يعبدون الله حق عبادته حتى طال عليهم الأمد فعمصوا
وقتلوا نيا لهم يقال له يوسف وسفكوا الدماء ، فبعث الله عليهم من الملائكة
جندا وجعل عليهم إبليس رئيسا ، وكان اسمه عزازيل فأجلوهم عن الأرض
والحقوهم بجزائر البحور وسكن إبليس ومن معه من الملائكة الأرض فهانت
عليهم العبادة وأحبوا المكث فيها ، فقال الله عز وجل لهم : ﴿إني جاعل
في الأرض خليفة﴾ فصعب عليهم العزل ومفارقة المألوف و﴿قالوا أتجعل فيها﴾
على طريق الاستفهام من الله سبحانه ﴿من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن الله تعالى لما خلق الجان من نار
السموم جعل منهم المؤمنين والكافر ، ثم بعث إليهم رسولا من الملائكة
وذلك قوله تعالى : ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ قال فقاتل
الملك المرسل بمقرنى الجن كفارهم فهزمهم وأسروا إبليس وهر غلام وضى
اسمه الحرث أبو مرة فصعدت الملائكة به إلى السماء . ونشأ بين الملائكة في
الطاعة والعبادة وخلق الله خلقا في الأرض فعصوه فبعث الله إليهم إبليس في
جند من الملائكة فنقوم عن الأرض ، ثم خلق الله آدم فأشقى إبليس وذريته به
وزعم بعضهم أنه كان قبل آدم في الأرض خلق لهم لحم ودم واستدلوا
بقوله : ﴿أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ فلم يزلوا ذلك إلا عن

معاينة ، واحتجوا أيضا بقول جوبير لانهم كانوا خلقا فبعث إليهم نبي اسمه يوسف فقتلوه والذين سكنوا الارض قبل آدم ثلاث أمم الذين إبليس من فسلمهم والذين قتلوا نبيهم يوسف والذين أجلاهم إبليس من الارض مع ما قيل إنه كان قبل آدم ألف آدم ومائتا آدم ونوح آخر الأدميين ، وروى أن آدم لما خلق قالت له الارض يا آدم جئتني بعد ما ذهبت جدتي وشبابي وقد خلقت ، قال عدى بن زيد مفردا :

قضى لسته أيام خلأقه وكان آخر شيء صور الرجل

ذكر عدد العوالم كم هي

منقول من المشارع للرقى في عدد العالمين ثمانية أقوال :

الاول : أنهم مائة وثمانية وعشرون عالما ، قال الضحاك : ثمانية وستون عالما حفاة عراة لا يدرون من خلقهم ، وستون عالما يلبسون الثياب .

الثاني : ألف عالم ، عن سعيد بن المسيب ، قال لله تعالى ألف عالم ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر .

الثالث : ثمانية عشر ألف عالم ، قال وهب : لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمارة في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء يعني أن المعمور من الارض بالحيوان هو القليل كالخيمة المضروبة في الفلاة .

الرابع : أربعون ألفا عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ، قال : إن لله أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد .

الخامس : سبعون ألفا عن ابن عباس رضى الله عنهما ، في قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين) قال الذي فيه الروح ، قال والجن والانس عالم والملائكة والكرويون عالم وسبعون ألف عالم سوى ذلك لا يعلمهم إلا الله سبحانه وتعالى .

السادس : ثمانون ألفا قال مقاتل بن حبان العاؤون ثمانون ألف عالم أربعون

الف عالم في البر وأربعون ألف عالم في البحر .

السابع : أن الرؤساء المتبوعين ثمانية عشر ألفا والاتباع لا يحصون .
عن أبي بن كعب رضى الله عنه ، قال : العالمون ثمانية عشر ألف ملك منهم
أربعة آلاف وخمسمائة بالمشرق وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمغرب وأربعة
آلاف وخمسمائة ملك بالكنف الثالث من الدنيا وأربعة آلاف بالكنف
الرابع من الدنيا مع كل ملك من الأعوان ما لا يعلم عدده إلا الله ومن
ورائهم أرض بيضاء كالفضة عرضها مسيرة الشمس أربعين يوما ولا يعلم
طولها إلا الله مملوءة ملائكة يقال لهم الروحانيون لهم زجل بالتسبيح
والتهليل لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من هول صوته
فهم العالمون منتهاهم العرش .

الثامن : أن عددهم لا يحصى ، قال كعب لا يحصى عدد العالمين إلا الله
تعالى . قال الله تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ وقال مقاتل بن سليمان
لوفسرت العالمين لا تحتج إلى ألف مجلد كل مجلد ألف ورقة والله تعالى أعلم .

ذكر التواريخ من لدن آدم عليه السلام

روى عبد الله بن أبي قتيبة في كتاب المعارف أن آدم عاش ألف سنة ،
وكان بين موته والطوفان ألفا سنة ومائتا سنة ، واثنان وأربعون سنة ، وبين
الطوفان وموت نوح ثلثمائة وخمسون سنة وبين نوح وإبراهيم عليهما السلام
ألف سنة وأربعون سنة ، وبين إبراهيم وموسى تسعمائة سنة ، وبين موسى وداود
خمسمائة سنة ، وبين داود وعيسى ألف سنة ومائتا سنة ، وبين عيسى ومحمد
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ستمائة سنة وعشرون سنة فيكون من عهد
آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة آلاف سنة وثمانمائة سنة ، ومن مولد
النبي صلى الله عليه وسلم إلى عامنا هذا ثمانمائة وثلاث وستون سنة فيكون
جملة التاريخ من عهد آدم إلى يومنا هذا وهو عام ثمانمائة واثنين وعشرين
سنة من الهجرة ثمانية آلاف سنة وستمائة سنة وثلاثا وستين سنة .

ذكر ملأه في أشراف الساعة

روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، والحديث طويل في آخره وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي منها شيء ، فقال صلى الله عليه وسلم لم يبق من الدنيا إلا كما بقي من يومكم هذا .

وروى عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : إنما مثلي ومثلكم كقوم خافوا عدوا فبعثوا رعية لهم فلما فارقهم إذا هو بنواصي الخيل يخشى أن يسبقه العدو إلى أصحابه فابعث بثوبه وقال يا صباحاه وإن الساعة كادت أن تسبقني إليكم .

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه ، قال : أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نذكر الساعة ، فقال أما إنها لا تقوم حتى تكون قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان والدجال وبأجوج ومأجوج ونزول عيسى وطلوع الشمس من مغربها وثلاث خسوفات خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر فيقال غدث النار فاغدوا وراحت النار فروحوا وتغدو وتروح ولها ماسقط .

وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذ عملت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء إذا اتخذوا المقام دولاً والأمانة مقبلاً والزكاة مغرماً وتعلم العلم لغير الدين وأطاع الرجل أمره وأذى صديقه وأقصى أباه وأمه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر ولبس الحرير ولعن آخر الأمة أولها فتوقعوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسحاً وقذاً .

وفي حديث ابن عمر رضى الله عنهما «أن جبريل عليه السلام ، لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن أمر الدين ، فقال متى الساعة ؟ قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال ما أمارتها ؟ قال أن تلد الأمة ربثها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . وعن عمر رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن الله رفع إلى الدنيا وأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كما أنظر إلى كفى هذا ، ومنه خبر الهاشمي والسفياني والقحطاني والترك والحبشة والدجال ويأجوج ومأجوج وخروج الدابة والدخان ونفخة الصور وعيسى وطلوع الشمس من مغربها .

ذكر الفتن والكوائن في آخر الزمان

عن أبي إدريس الخولاني عن حذيفة بن اليمان قال : أنا أعلم الناس بكل فتنة كائنة إلى يوم القيامة وما بي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر لي في ذلك شيئا لم يحدث به غيري ولكنه حدث بجلسا أنا فيه عن الكوائن والفتن التي يكون منها صفار وكبار فذهب أرنك الرهط غيري وعن عوف بن مالك الأشجعي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعدد ستا بين يدي الساعة أولهن موتى ، فاستبكت حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكتني . ثم قال : قل إحدى فقلت إحدى ، والثانية فتح بيت المقدس قل اثنتان ، فقلت . قال والثالثة موتان يكون في أمتي كعقاص الغنم قل ثلاثة . والرابعة فتنة عظيمة تكون في أمتي لا تبقى بيتا في العرب إلا دخلته قل أربعة ، والخامسة هدة بين العرب وبين بني الأصفر ثم يسرون إليكم فيقاتلونكم قل خمس والسادسة يفيض المال فيكم حتى يعطى أحدكم المائة من الدنانير فيسخطها قل ست ،

وعن أبي إدريس عن جده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول الناس هلاكا فارس ثم العرب على أترهم ، وفي رواية معاوية بن صالح عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن

ابن عباس رضى الله عنهما قال : النجوم أمان لأهل السماء ، فإذا طمست النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأنا يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابي فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمان لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ، والجبال أمان لأهل الأرض فإذا انشقت الجبال أتى أهلها ما يوعدون .

وقد روى عطاء عن ابن عباس وسلمة بن الأكوع رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق يتسافدون على ظهر الطريق تسافد البهائم .

وفى رواية أبي العالية : لا تقوم الساعة حتى يمشى إبليس في الطرق والأسواق يقول حدثني فلان عن رسول الله بكذا وكذا افتراء وكذباً ، وقال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى (جمعق) إن الحاء حرب فى آخر الزمان والميم ملك بنى أمية والعين عباسية والسين سفيانية والقاف القيامة فمن ذلك ماضى ومنه ما هو منتظر .

ذكر خروج الترك

روى أبو صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمين الترك قوم وجوههم كالبحان المطرقة صفراء العين خنس الأنوف يلبسون الشعر ، وقيل إن هلاك سلطان بنى هاشم على أيدي الأتراك الإسلامية وهلاك الأتراك الإسلامية على أيدي كفر الترك وقيل هم أهل الصين يستولون على الأقاليم والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر الهدية فى رمضان وهى من أشرط الساعة

حكى العيرونى عن الأوزاعى عن عبد الله بن لبابة عن فيروز الديلى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تكون هدية فى رمضان توقظ النائم

وتفزع اليقظان، وفي رواية الأوزاعي «يكون صوت في نصف شهر رمضان يصعق له سبعون ألفاً ويخرس له سبعون ألفاً وتفتق له سبعون ألف بكر قال ثم يتبعه صوت آخر فالأول صوت جبريل ، والثاني صوت إبليس . وقيل الصوت في رمضان والمعصية في شوال ، وتميز القبائل في ذى القعدة ويغار على الحاج في ذى الحجة ، والمحرم أوله بلاء وآخره فرج قالوا يا رسول الله من يسلم منه ؟ قال من يلزم بيته ويتعوذ بالسجود .»

وفي رواية قتادة : تكون هدة في رمضان ثم تظهر عصاة في شوال ثم تكون معصية في ذى القعدة ثم يسلم الحاج في ذى الحجة ثم تنتهك المحارم في المحرم ثم يكون صوت في صفر ثم يتنازع القبائل في شهر ربيع الأول ثم العجب كل العجب بين جمادى ورجب ثم فقه مضية خير من دسكرة مائة ألف (١) .

ذكر الهاشمي الذي يخرج من خراسان مع الرايات السود

روى عن أبي قلابة عن أبي أسامة الرحبي عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا رأيتم الرايات السود من قبل خراسان فاستقبلوها مشياً على أقدامكم لأن فيها خليفة الله المهدي ، وفي هذا أخبار كثيرة هذا أحسنها وأولها ، وروى فيه عن عباس بن عبد المطلب أنه قال : إذا أقبلت الرايات السود من المشرق يوطئ أصحابها للمهدي سلطانه .

وقال قوم قد نجزت هذه بخروج أبي مسلم وهو أول من عقد الرايات السود وسود ثيابه وخرج من خراسان فوطأ لبني هاشم سلطانهم .

وقال آخرون بل هذه تأتي بعد ، وإن أول الكوائن ملك يخرج من الصين من ناحية يقال لها حن بها طائفة من ولد فاطمة من ظهر الحسين بن علي

(١) قوله ثم فقه الخ كذا بالأصل وليحرر لفظ الحديث ومعناه اهـ .

رضي الله عنهم ويكون على مقدمته رجل كوسج من تميم يقال له شعيب بن صالح مولده بالطالقان مع حكايات كثيرة وأخبار عجيبة من القتل والامر والله أعلم.

ذكر خروج السفيناني

روى عن مكحول عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يزال هذا الامر قائما بالقسط حتى يثله رجل من بني أمية».

وفي رواية أبي قلابة عن أسماء عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه ذكر ولد العباس فقال : يكون هلاكهم على يد رجل من أهل بيت هذه وأوماً إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان».

وبما أخبر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، في ذكر الفتن بالشام ، قال «فاذا كان ذلك فانتظروا خروج المهدي ، ثم ذكر السفيناني وأنه من ولد يزيد بن معاوية بوجه آثار الجدرى وبعينه نقطة من يياض يخرج من ناحية دمشق ويبعث خيله وسراياه في البر والبحر فيقبرون بطون الحبالى وينشرون الناس بالمنشير ويحرقون ويطبخون الناس في القدور ويبعث جيشاه إلى المدينة فيقتلون ويأسرون ويحرقون ثم ينشون عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر فاطمة رضي الله عنها ، ثم يقتلون كل من كان اسمه محمداً وفاطمة ويصلبونهم على باب المسجد فعند ذلك يشتد عليهم غضب الجبار فيخسف بهم الأرض وذلك قوله تعالى ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ أى من تحت أقدامهم . وفي خبر آخر أنهم يخربون المدينة حتى لا يبقى بها رايح ولا سارح .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لتركن المدينة كاحسن ما كانت حتى يحى الكلب فيشفر على سارية المسجد ، قالوا فإين تكون النمل يومئذ يا رسول الله ؟ قال لعوا في السباع والطير ، قال ثم تسير سرية

السفينة تريد مكة حتى تنتهي إلى موضع يقال له يدهاء فينادى مناد من السماء يا يدهاء يدهى بهم فيخسف بهم فلا ينجو منهم إلا رجلان من كلب تقلب وجوههما في أفقيتهما يمشيان القهقري على أعقابهما حتى يأتيا السفينة فيخبرانه ويأتى للمهدي وهو بمكة فيخرج معه اثنا عشر ألفا فيهم الأبدال والأعلام حتى يأتى المياه فيأمر السفينة ويغير على كلب لأنهم أتباعه ويسبى نساهم قالوا فالحائب يومئذ من غاب عن غنائم كلب ، كذا الرواية مع كلام كثير والله أعلم .

ذكر خروج المهدي

قد روى فيه روايات مختلفة وأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم وأحسن ما جاء في هذا الباب خبر أبي بكر بن عياش عن عاصم بن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا تذهب الدنيا حتى يأتى على أمتي رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ليس فيه (١) تواطؤ اسمه اسمي » .

والشبهة فيه أشعار كثيرة وأسطار بعيدة ، منها قول عامر بن عامر البصري :
 طغى الجور والعدوان فاض فهل لكم
 لبنى قبل الفرق منها سفينة
 فتنجو بها من هلك أمواج فتنة
 أخى فهذا الوقت وقت لفطنة
 فمن علينا يا إمام بأوبة
 بمحقق يا قطب الوجود بزورة
 وقوم يعدل منك ظهرا قد انحنى
 فأنت لهذا الأمر قدما معين
 ومن حلية المهدي : أنه أسمر اللون كبث اللحية أكل العينين براق الشايبا

(١) قوله ليس فيه الخ كذا بالأصل والرواية المعروفة يواطىء اسمه اسمي ، ولعل ما هنا رواية أيضا اهـ

في خده خال يرفع الجور عن الأرض ويفيض المدة على الخلق ويسوى بين الضعيف والقوى في الحق ويبلغ الاسلام مشارق الأرض ومغاربها ويفتح القسطنطينية ولا يبقى أحد في الأرض إلا دخل في الاسلام أو أدى الجزية وعند ذلك يتم وعد الله لظهوره على الدين كله . واختلفوا في مدة عمره فقيل يعيش سبع سنين وقيل تسعا وقيل عشرين وقيل أربعين وقيل سبعين والله أعلم .

ذكر خروج القحطاني

روى عن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : « لا تقوم الساعة حتى تقفل القوافل من رومية ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس رجل من قحطان ، واختلفوا فيه من هو قروي عن ابن سيرين أنه قال : القحطاني رجل صالح وهو الذي يصلي خلفه عيسى وهو المهدي ، وروى عن كعب أنه قال : يموت المهدي ويأبى الناس بعده القحطاني ، وروى عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه قال رجل يخرج من ولد العباس .

ذكر فتح القسطنطينية

روى عن السدي في قوله عز وجل : ﴿ لهم في الدنيا خرى ولهم فيها الآخرة عذاب عظيم ﴾ قال فتح القسطنطينية وخروج الدجال وبعض المفسرين ذهب في تفسير ﴿ الم غلبت الروم ﴾ أنه كائن وعي به فتح قسطنطينية وذكر أنه تباع الفرس بدرهم ويقتسمون الدنانير بالحيف ، قالوا وبين فتح القسطنطينية وخروج الدجال سبع سنين فينماهم كذلك إذ جاءهم الصريح أن الدجال قد خلفكم في داركم ، قال فيرفضون ما في أيديهم من ذلك وينفرون إليه وهي كذابة (١) .

(١) قوله كذابة ، كذا بالأصل ولينظر المراد به اهـ

ذكر خروج الدجال

الآخبار الصحيحة متواترة بخروجه بلا شك ولا ريب وإنما الاختلاف في صفته وهيئته ، قال قوم هو صائغ بن صائد اليهودي ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أحياناً يربو في مهده وينتفخ في يده حتى يملأ يده فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأناه في نفر من أصحابه فلما نظر إليه عرفه فدعا الله سبحانه وتعالى فرفعه إلى جزيرة من جزائر البحر إلى وقت خروجه .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وهو يلعب مع الصبيان ، فقال ابن صياد أشهد أني رسول الله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أشهد أني رسول الله ، فقال له ابن صياد أشهد أني رسول الله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قد خبأت لك شيئاً قال ما هو (١) قال الدخ يعني الدخان ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أخساً فلن تعدو طورك ، قال همر رضى الله عنه ، اتذن لي فأضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن يكن فلا تسلط عليه وإن لا يكن فلا خير لك في قتله ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاخطف ، وجاء في الحديث أنه أغم جفال الشعر مكتوب بين عينيه ك ف ر . يقرؤه كل أحد كاتب وغير كاتب ، واختلفوا في موضع مخرجه ، فقال قوم يخرج من المشرق من أرض خراسان ، وقالت طائفة يخرج من يهود أصفهان ، وقال قوم يخرج من أرض الكوفة ، واختلفوا في أتباعه قالوا النساء والأعراب والمومسات وأولادهن . واختلفوا في العجائب التي تظهر على يديه . فقال قوم يسير حيث سار معه جنة ونار لخته نار وناره جنة ويدعى أنه رب الخلائق فيأمر السماء فتطر ويأمر الأرض فتنبث ويبيث الشياطين في صور الموتى ويقتل رجلاً ثم يحييه فيفتن الناس ويؤمنون به ويأيعونه قالوا (١) قوله قال ما هو الخ رواية البخاري قال هو الدخ من غير زيادة لفظ قال ما هو ، وهي الصواب اه .

ولا يتبعه من الدواب إلا الحمار . واختلفوا في هيئة حماره فقالوا ما بين أذني حماره اثنا عشر شبرا وقيل أربعون ذراعا تظل إحدى أذنيه سبعين رجلا وخطوته مدى البصر ثلاثة أيام يبلغ كل منهل إلا أربعة مساجد مسجد الله الحرام ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ومسجد الأقصى ومسجد الطور ويمكث أربعين صباحا ويقصد بيت المقدس وقد اجتمع الناس لقتاله فقتلهم ضيابة من غمام ثم تنكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى ابن مريم عليه السلام قد نزل على المنارة البيضاء في جامع بني أمية فيقتل الدجال .

ذكر نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام

المسلمون لا يختلفون في نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام آخر الزمان وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ وإنه لعم للساعة فلا تمترن بها ﴾ أنه نزول عيسى ، وجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن عيسى نازل فيكم وهو خليفتي عليكم فن أدركه فليقرنه سلامي فانه يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويحج في سبعين ألفا فيهم أصحاب الكهف فانهم يحجون ويتزوج امرأة من الأزدي ويذهب البغضاء والشحناء والتحامد وتعود الأرض إلى هيئتها وبركانها على عهد آدم عليه السلام حتى تترك الفلاص فلا يسعى إليها أحد وترعى الغنم مع الذئب وتلعب الصبيان مع الحيات فلا تضرهم ويلقى الله العدل في الأرض في زمانه حتى لا تقرض فأرة جرابا وحتى يدعى الرجل إلى المال فلا يقبله وتشبع الرمانة السكن ، قالوا وينزل عيسى عليه السلام وفي يده مشقة فيقتل به الدجال وقيل إذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص واتبهم المسلمون يقتلونهم فيقول الحجر والشجر هذا يهودي خلني إلا الفرقد من شجر اليهود قالوا ويمكث عيسى عليه السلام أربعين سنة ويقال ثلاثا وثلاثين سنة ويصلي خلف المهدي ، ثم يخرج يأجوج ومأجوج .

بقية من خبر الدجال ، عن فاطمة بنت قيس قالت : خرج علينا رسول الله

صلى الله عليه وسلم في نحر الظهيرة فخطبنا ، فقال : إني لم أجمعكم لرغبة ولا لرغبة ولكن لحديث حدثني تميم الداري منغى سرور القائلة حدثني أن نفرا من قومه ركبوا في البحر فأصابهم ريح عاصف ألجأتهم إلى جزيرة فاذا هم بدابة قالوا لها ما أنت ؟ قالت أنا الجساسة ، قلنا أخبرينا الخبر ، قالت إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير فإن فيه رجلا بالاشواق إليكم فأتيناه فأخبرناه ، فقال ما فعلت بحيرة طبرية قلنا تدفق الماء من جانبها قال ما فعل نخل عمان ويسان قلنا يمنها أهلها قال فما فعلت عين زغر قلنا يشرب أهلها منها قال فلو يبست هذه نفدت من وثاقي ثم وطئت بقدمي كل مهل إلا مكة والمدينة .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ، فقال : ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال ، وقال : إنه لم يكن نبي إلا أنذر قومه فتنة الدجال ووصفه وأنه قد بين لي ما لم يبين لأحد إنه أعور كيت وكيت فإن خرج وأنا فيكم فأنا حجتكم وإن لم يخرج إلا بعدى قاله خليفتي عليكم فما اشتبه عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور .

والدجال تسميه اليهود مواطيح كواثيل ويزعمون أنه من نسل داود وأنه يملك الأرض ويردها إلى بني إسرائيل فيتهود أهل الأرض كلهم .

بقية من خبر عيسى عليه السلام

قال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ إنه عند نزول عيسى ، وقال عز وجل : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ ثم قال ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ ثم اختلف المتأولون له فقال أكثرهم وأحقهم بالتصديق هو عيسى عليه السلام بعينه يرد إلى الدنيا ، وقالت فرقة نزول عيسى خروج رجل يشبه عيسى في الفضل والشرف كما يقال للرجل الخير ملك وللشرير شيطان تشبها بهما ولا يراد الأعيان . وقال قوم ترد روحه في رجل اسمه عيسى والآخرون ليسا بشيء والله أعلم .

ذكر طلوع الشمس من مغربها

قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ قيل هو طلوع الشمس من مغربها ، وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال ثلاث إذا خرجت لا ينفع نفسا إيمانها طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال ، وقالوا في صفة طلوعها من مغربها إنه إذا كانت الليلة التي تطلع الشمس في صبيحتها من مغربها حبست فتكون تلك الليلة قدر ثلاث ليال قالوا فيقرأ الرجل جزءه ثم ينام ويستيقظ والنجوم راكدة والليلة كما هي فيقول بعضهم لبعض هل رأيتم مثل هذه الليلة قط ثم تطلع من مغربها كأنها علم أسود حتى تتوسط السماء ثم تعود بعد ذلك فتجري في مجراها الذي كانت تجري فيه وقد أغلق باب التوبة إلى يوم القيامة .

وروى عن علي أنه قال تطلع بعد ذلك من مشرقها مائة وعشرين سنة لكنها سنون قصار السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كالיום واليوم كالساعة ، وكان كثير من الصحابة يترصّدون طلوع الشمس من مغربها منهم حذيفة بن اليمان وبلال وعائشة رضي الله عنهم .

ذكر خروج الدابة

قال الله عز وجل : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ قال كثير من أهل العلم بالأخبار إنها ذات وبر وريش وزغب فيها من كل لون ولها أربع قوائم رأسها رأس ثور وآذانها آذان فيل وقرونها قرون إبل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد وقوائمها قوائم بعير ومعها عصا موسى وخاتم سليمان وترفع الأسماء فلا يعرف أحد باسمه وهي تتجلى وجه المؤمن بالعصا فيبيض وتختتم على أنف الكافر فيفسد السواد فيه فيقال يا مؤمن يا كافر .

وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : هي الدابة التي أخبر
نبي الدار عن النبي وعن الحسن أنه قال : سألت موسى ربه أن يريه الدابة فخرجت
ثلاثة أيام ولم يدر أي طرفها خرج ، فقال موسى يارب رد هذا المتاع النفيس
إلى مكانه لا حاجة لنا فيه . ويقال إنها تخرج بأجنادين عقب الحاج تسير بالنهار
وتقف بالليل يراها كل قائم وقاعد ، وإنها لتدخل المسجد وقد عاذ به المنافقون
فتقول أترون المسجد ينجيكم مني هلا كان هذا بالأمس والله أعلم .

ذكر الدخان

قال الله عز وجل : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ ،
وروى عن الحسن رضى الله عنه ، أنه قال : يجيء دخان فيملا ما بين السماء
والأرض حتى لا يدرى شرق ولا غرب ويأخذ الكفار فيخرج من مسامعهم
ويكون على أنوفهم كهيئة الزكاة ثم يكشفه الله عز وجل بعد ثلاثة أيام
وذلك بين يدي الساعة وأكثر أهل التأويل على أنه هو الجوع الذي أصابهم
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

ذكر خروج يأجوج ومأجوج

قال الله عز وجل : ﴿ فإذا جاء وعد ربى جعله دكا ﴾ يعني الصد وجاء
في الأخبار من صفاتهم وعددهم ما الله به عليم ولا يختلفون في أنهم بين
مشارك الأرض وشمالها .

وروى عن مكحول أنه قال : المسكون من الأرض مسيرة مائة عام
ثمانون منها ليأجوج ومأجوج وعشرة للسودان وعشرة لبقية الأمم
ويأجوج ومأجوج أمتان كل أمة أربع مائة ألف لا تشبه أمة أخرى ،
وعن الزهري أنهما ثلاث أمة منك وتاريل وتدريس فصنف منهم كأمثال
الشجر الطوال من الأرض وصنف منهم عرض أحدهم وطوله بالسواد
وصنف منهم يفرش أرضي أذنيه ويلتحف بالآخرى .

وروى أن طول أحدهم شبر وأكبر ، ويكون خروجهم بعد قتل عيسى
الذجال وإذا جاء الوقت جعل الله السد دكا كما ذكره عز وجل في كتابه
فيخرجون وينتشرون في الأرض ، وورى أنهم يكون أول مقدمتهم بالشام
وساقهم يبلخ قال ويأتى أولهم البحيرة فيشربون ماءها ويأتى أوسطهم فيلحسون
ما فيها من النداة ويأتى آخرهم فيقولون لقد كان هنا مرة ماء ويكون مكثهم
في الأرض سبع سنين ثم يقولون قد قهرنا أهل الأرض فلهوا نقاتل سكان
السماء فيرمون بنشابهم نحو السماء فيردها الله عليهم ملطخة بدم فيقولون قد
فرغنا من أهل السماء فيرسل الله عليهم النصف في رقابهم فيصبحون موتى ثم
يرسل الله عليهم السماء فتجر فتهم إلى البحر .

وفي رواية كعب أنهم ينقرون السد بمناقيرهم كل يوم فيعودون
من القد وقد عاد لما كان حتى إذا بلغ الاجل المعلوم ألقى الله على لسان أحدهم
إن شاء الله فيخرجون حينئذ ، وورى أنهم يلحسون السد وقيل إن فيهم طائفة
لكل منهم أربعة أعين عيان في رأسه وعينان في صدره ومنهم من له رجل
واحدة يقفز بها قفزا ومنهم من هو ملبس شعرا كالبهائم ومن طوائفهم
طائفة لاتأكل إلا لحوم الناس ولا تشرب إلا الدماء ولا يموت الواحد منهم
حتى يرى لصلبه ألف عين تطرف ، وفي التوراة مكتوب إن يأجوج ومأجوج
يخرجون في أيام المسيح ويقولون إن بنى إسرائيل أصحاب أموال وأولاد كثيرة
فيقصدون أوريسلم ويتهبون نصفها ويسلم النصف الآخر ويرسل الله
عليهم صيحة فيموتون عن آخرهم وتصيب بنو إسرائيل من أدوات عسكرهم
ما يستغنون به سبع سنين عن الخطب وهذا المقدار من حديثهم في كتاب
زكريا عليه السلام قيل ويتكث الناس بعد هلاك يأجوج ومأجوج عشرين
سنة يحجون ويعتمرون والله أعلم .

ذكر خروج الحبشة

قال أصحاب هذا العلم : ويمكث الناس بعد هلاك يأجوج ومأجوج في الخصب والدعة ماشاء الله تعالى ، ثم تخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة ثم لا تعمربداً وهم الذين يستخرجون كنوز فرعون وقارون ، قال فتجتمع المسلمون ويقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشي بعباءة ثم يبعث الله ريحاً فيقبض روح كل مسلم والله تعالى أعلم .

ذكر فقدان مكة المشرقة

روى عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : حجوا قبل أن لا تحجوا فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدري أحدكم أين كان مكانه بالأمس . وقال : كأني أنظر إلى أسود أحش الساقين قد علاها ينقضها طوبة طوبة .

ذكر الريح التي تقبض أرواح أهل الإيمان

روى : أن الله عز وجل يبعث ريحاً يمانية ألين من الحرير وأطيب نفحة من المسك فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا قبضته ويبقى الناس بعد مائة عام لا يعرفون ديناً ولا ديانة وهم شرار خلق الله وعليهم تقوم الساعة وهم في أسواقهم يتبايعون . وفي رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تقوم الساعة حتى لا يعبد الله في الأرض مائة سنة ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : يؤمر صاحب الصور أن يتفخ في صورته فيسمع رجلاً يقول لا إله إلا الله فيؤخر مائة عام .

ذكر ارتفاع القرآن

روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : القرآن أشد تفصيلاً

على قلوب الرجال من النعم في عقلها قيل يا أبا عبد الرحمن كيف وقد أثبتناه في صدورنا ومصاحفنا؟ قال يسرى عليه ليلا فلا يذكر ولا يقرأ .

ذكر النار التي تخرج من قعر عدن فتسوق الناس إلى المحشر

روى حذيفة بن أسيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : عشر آيات بين يدي الساعة هذه إحداها . . وفي رواية أخرى : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل بمصرى . . وفي رواية أخرى : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من حضرموت ، مع اختلاف كثير في الروايات .

ذكر نفخات الصور

وهي ثلاث مرات ثنتان منها في آخر الدنيا ، وواحدة في أول الآخرة قال الله عز وجل (ما ينظرون إلا صبحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون) .

وروى عن الحسن عن شيان عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ثميج الساعة والرجلان يتبايعان قد نشرا أثوابهما فلا يطويانها والرجل يلوط حوضه فلا يستقي منه والرجل قد انصرف بلبن نعبته فلا يطعمه والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يأكلها ثم تلا تأخذهم وهم يخصمون لا تأتيتهم إلا بغتة .

ذكر النفخة الأولى

صاحب الصور هو السيد إسرافيل عليه السلام وهو أقرب الخلق إلى الله عز وجل وله جناح بالشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله وإن قدمه قدمه مرتين من الأرض السفلى حتى بعدتا عنها مسيرة مائة عام على مارواه وهب

ومثل هذا مما يزيد في يقين العايم ويبلغ في تفويذه وتعظيمه لامر الله تعالى وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كيف أتم وصاحب الصور قد التقمه ينتظر متى يؤمر له فينفخ، .

ذكر ما جاء في الصور وهيئته

روى أنه كهيئة قرن فيه بعدد كل روح ثقب وله ثلاث شعب شعبة تحت الثرى تخرج منها الأرواح وترجع إلى أجسادها وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الأرواح إلى الموقر وشعبة في فم الملك ينفخ فيها فإذا مضت الآيات والعلامات التي ذكرناها أمر صاحب الصور أن ينفخ نفخة الفزع ويدعها ويطولها فلا يبرح كذا عاما وهي المذكورة في قوله تعالى ﴿ ما ينظرون إلا صبغة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ﴾ وكذلك في قوله تعالى ﴿ ما ينظرون إلا صبغة واحدة ما لها من فراق ﴾ وفي قوله تعالى ﴿ ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ وإذا بدت الصبغة فزعت الخلائق وتحييت وتاهت والصبغة تزداد كل يوم مضاعفة وشدة وشناعة فيجاز أهل البوادي والقبائل إلى القرى والمدن ثم تزداد الصبغة وتشتد حتى تتجاوز إلى أمهات الأمصار وتعطل الرعاة السوائم وتفارقها وتأتى الوحوش والسياع وهي مذعورة من هول الصبغة فتختلط بالناس وتستأنس بهم وذلك قوله تعالى ﴿ وإذا المشار عطلت وإذا الوحوش حشرت ﴾ ثم تزداد الصبغة هولا وشدة حتى تسير الجبال على وجه الأرض وتسير سرايا جاريا وذلك قوله تعالى ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ وقوله تعالى ﴿ وتكون الجبال كالهن المنفوش ﴾ وزلزلت الأرض وارتجفت وانتفضت وذلك قوله تعالى ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ وقوله تعالى ﴿ يوم ترجف الأرض والجبال ﴾ ثم تكور الشمس وتنكسر النجوم وتسير البعابر والناس حيارى كالواهبين ينظرون إليها وعند ذلك تذهل المواضع عما أرضعت وتضع كل

ذات حمل حملها ويشيب الولدان وترى الناس سكارى وما هم بسكارى من
الفرع ولكن عذاب الله شديد .

حكى أبو جعفر الرازى عن ربيع عن أبي العالية عن أبي كعب قال
بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب الشمس ، وبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم
وبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض ، وبينما هم كذلك إذ
تحركت الأرض فاضطربت لأن الله تعالى جعل الجبال أوتادها ففرغت
الجن إلى الانس والانس إلى الجن واضطربت الدواب والطيور والوحوش
فاج بعضهم في بعض فقالت الجن نحن نأتيكم بالخبر اليقين فانطلقوا فإذا هي
نار تأجج فينماهم كذلك إذ جاءتهم ريح فأهلكتهم وهذه من نص القرآن
ظاهرة لا يسع لأحد مؤمن ردها والتكذيب بها وفي هذه الصيحة تكون
السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميا وفيها تنشق السماء
فتصير أبوابا وفيها يحيط سرادق من نار بحافات الأرض فتطير الشياطين
هاربة من الفرع حتى تأتي أقطار السماء والأرض فتلتقاهم الملائكة يضربون
وجوههم حتى يرجعوا وذلك قوله تعالى ﴿ يامعشر الجن والانس إن استطعتم
أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾
والموتى في القبور لا يشعرون بهذه

ذكر النفخة الثانية في الصور

وذلك قوله تعالى ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن
في الأرض إلا من شاء الله ﴾ فيموتون في هذه النفخة إلا من تناوله
الاستثناء في قوله ﴿ إلا من شاء الله ﴾

ذكر ما بين النفختين من المدة

يقال إن ما بين النفختين أربعون سنة تبقى الأرض على حالها مستريحة
بعد ما مر بها من الأهوال العظام والزلازل وتمطر سماءها وتجرى مياهها
وتطعم أشجارها ولا حي على ظهرها من سائر المخلوقات

ذكر ما ورد في قوله تعالى ﴿ هو الأول والآخر ﴾

قال الله عز وجل ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ وقال سبحانه ﴿ كل من عليها فان ﴾ وقال عز من قائل ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ وقال جل وعلا ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ فدلّت هذه الآيات على هلاك كل شيء دونه قال جل وعز ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ دل على أن الصعقة لا تعم جميع الخلائق فالتسنا التوفيق بين الآيات بعد أن أمكن أن تكون آية الاستثناء مفسرة لتلك الآية فقلنا الاستثناء عند نفخة الصعق وعموم الفناء بين النفختين كما جاء في الخبر لئلا يظن ظان أن القرآن متناقض .

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ قال كل شيء وجب عليه الفناء إلا الجنة والنار والعرش والكرسي والحدود العينية والأعمال الصالحة ، وقيل في قوله تعالى ﴿ إلا من شاء الله ﴾ الشهداء حول العرش سيوفهم بأعناقهم ، وقيل الحدود العينية ، وقيل موسى عليه السلام لأنه صعق مرة ، وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين وقيل وملك الموت عليه السلام ، وقيل وحمة العرش عليهم السلام قالوا فيأمر الله تعالى ملك الموت فيقبض أرواحهم ثم يقول له مت فيموت فلا يبقى في الملك حي إلا الله فعند ذلك يقول ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ فلا يجيبه أحد فيقول ﴿ لله الواحد القهار ﴾ هكذا روى في الأخبار والله أعلم .

ذكر المطرة التي تنبت الأجساد

قالوا فإذا مضى من النفختين أربعون عاما أمطر الله سبحانه من تحت العرش ماء خائرا كالطلاء وكالمنى من الرجال يقال له ماء الحيوان فنبت أجسامهم كما ينبت البقل . قال كعب : وبأمر الله الأرض والبحار والطير والنبات برد ما أكلت من أجساد بني آدم حتى الشجرة الواحدة فتكامل

أجسامهم . قاتلوا وتاكل الارض ابن آدم إلا يحب الذنب فانه يبق مثل عين
الجرادة لا يدرك الطرف فينشأ الخلق من ذلك العجب وتركب عليه أجزاءه
كالبناء في شمع الشمس فإذا تم وتكامل نفخ فيه الروح ثم انشق عنه القبر
ثم قام خلقا سويا .

ذكر النفخة الثالثة وهي نفخة القيامة

وذلك قوله تعالى (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) وقوله :
(إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون) وجمع الله أرواح
الخالقين في الصور ثم يأمر الله الملك أن ينفخ فيهم قائلا : أيتها العظام البالية
والأوصال المنقطعة والأعضاء المتفرقة والشعور المنتثرة إن الله المصور
الخالق يأمر كن أن تجتمع لفصل القضاء فيجتمع ثم ينادى قوموا للعرض
على الجبار فيقومون وذلك قوله تعالى : (يخرجون من الأجداث سراعا)
وقوله تعالى (يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع)
وقوله عز من قائل (يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير)
فإذا خرجوا من قبورهم تلقى المؤمنون بمراكب من رحمة الله كما وعد سبحانه
وتعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) والفاستقون يمشون على أقدامهم
صوتا وهو قوله تعالى (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) .

ذكر الموقف وأين يكون

روى المسلمون أن الناس يحشرون إلى بيت المقدس . وروى أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال هو المحشر والمنشر ووافقت اليهود على ذلك .
وروى عن كعب أن الله نظر إلى الأرض وقال إني واطي على بهضك
فأتسفت الجبال وأرنجت الصخرة وتضمضت وأرتعدت فشكر الله لها ذلك
فقال هذا مقامى ومحشر خلقى هذه جنتى وهذه نارى وهذا موضع ميزانى
وأنا ديان يوم الدين وقيل يصير الله الصخرة من مرجانة طباق الأرض
ويحاسب عليها الخلق والله أعلم .

ذكر يوم القيامة والحشر والنشر وتبديل الأرض غير الأرض وطى السماء وأحوال ذلك اليوم

قال الله عز وجل : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ فأول من يحيه الله جل جلاله يوم القيامة إسرأفيل لينفخ النفخة الثالثة لقيام الخلق كما تقدم ثم يحيى رؤساء الملائكة ثم أهل السماء ويأمر جبريل وميكائيل وإسرأفيل أن انطلقوا إلى رضوان خازن الجنان وقولوا له إن رب العزة والجبروت والكبرياء مالك يوم الدين يأمرك أن تزين البراق وترفع لواء الحمد وتاج الكرامة وسبعين حلة من حلل الجنة الفاخرة واهبطوا بها إلى قبر البشير النذير حبيبى محمد صلاتى وتسليمى عليه فنبهوه من رقدته وأيقظوه من نومه وقولوا له هلم إلى استكمال كرامتك واستيفاء منزلتك وارتفاعك على الأولين والآخرين وشفاعتك فى المذنبين ، قال فينطلقون إلى باب الجنة فيقرعونه فيقول رضوان من يباب الجنة فيقول جبريل وميكائيل وإسرأفيل وأتباعهم ويبلغ جبريل الرسالة فيقول وأين القيامة فيقول جبريل هذا يوم القيامة قال فيقبل رضوان بالبراق ولواء الحمد وتاج الكرامة والحلل وتستبشر الحور والولدان ويرتفعن إلى أعلى القصور ويمجدن الملك الغفور ويفرحن بلقاء الأحباب ويشكرن رب الأرباب ثم يأتى النداء من قبل الله عز وجل يا رضوان زخرف الجنان ومر الحور العين أن يتزين بأكمل زينة ويتهيأن لقدوم سيد الأنبياء والمرسلين وقدوم أزواجهن من المؤمنين فما بقى غير الوصال والاجتماع والاتصال ثم يقبل إسرأفيل وميكائيل وجبريل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف إسرأفيل عند رأسه وميكائيل عند وسطه وجبريل عند رجله فيقول إسرأفيل لجبريل نبه يا جبريل فأنت صاحبه ومؤنسه فى دار الدنيا فيقول له جبريل صح به يا إسرأفيل فأنت صاحب النفخة والصور ، قال : فيقول له إسرأفيل أيتها النفس المطمئنة البهية

الطاهرة الزكية عودى إلى الجسد الطيب يا محمد قم باذن الله وأمره فيقوم
صلى الله عليه وسلم وهو ينفض التراب عن رأسه ووجهه ثم يلتفت عن
يمينه وإذا بالبراق ولواء الحمد وتاج الكرامة وحل المجد فتسلم الملائكة عليه
ويقول له جبريل يا محمد هذه هدية إليك وكرامة من رب العالمين فيقول
النبي صلى الله عليه وسلم بشرني فيقول جبريل إن الجنان قد زخرفت
والحور العين قد تزينت وهم في انتظار قدومك أيها المختار فنهلم إلى لقاء الملك
الجبار فيقول سمعا وطاعة لرب العالمين أخبرني أين تركت أمتي المساكين ؟
فيقول يا محمد وعزة من اصطفاك على العالم ما انشقت الأرض عن أحد
سواك من بنى آدم ، قال فيسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلبس تلك
الحلل ويتقدم فيركب البراق وتضع الملائكة على رأسه تاج الكرامة ويسلمونه
لواء الحمد فيأخذه يده ويسير في موكب الكرامة والعز فرحا مسرورا مبجلا
معظما محبورا حتى يقف بين يدي الله عز وجل ثم يرسل الله الأرواح
ويأمرها أن تلج في الأجساد بنفخة إسرافيل فاذا الخلائق قيام من قبورهم
عراة ينفضون التراب عن وجوههم وروءوسهم وقد عقدوا أيديهم في أعناقهم
وشخصوا بأبصارهم (مهطعين إلى الداع ، سكارى وما هم بسكارى) متحيرين
والهين حيارى لا يعرفون شرقا ولا غربا الرجال والنساء في صعيد واحد
لا يعرف الرجل من إلى جانبه أرجل أم امرأة ولا تعرف المرأة من إلى
جانبها امرأة أم رجل قد شغل كل منهم بنفسه ثم يوكل الله عز وجل بكل
نفس ملكا يسوقها إلى الموقف وشاهدا من نفسه فالسائق هو الملك الموكل
والشاهد جملة أعضائه وجسده قال ثم يؤتى بهم إلى أرض المحشر والموقف
وهي أرض بيضاء من فضة أو كالفضة لم يسفك عليها دم حرام ولم يعبد عليها
وئن يظهرها الله سبحانه بأرض بيت المقدس وقد نصبت عليها منابر للأنبياء
وكراسى للأولياء والصالحين والشهداء ويصف الخلائق على تلك الأرض
صفوفا من المشرق إلى المغرب ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنه قال: أهل الجنة يومئذ مائة وعشرون صفا ثمانون من أمتي وأربعون من سائر الأمم ثم تقرب الشمس من روس الخلائق ويزاد في حرها سبعون ضعفا وتبرز جهنم وذلك قوله تعالى: ﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾ فتفلى آدمقتهم في رموسهم ويرشح العرق من أبدانهم فيسبوا في الأرض (١) ثم يأخذهم العرق على قدر ذنوبهم فمنهم من يأخذه إلى كعبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبته ومنهم من يأخذه إلى إبطيه ومنهم من يأخذه إلى عنقه ومنهم من يعوم فيه عوما ثم يقومون كذلك ما شاء الله حتى يطول الوقوف ويشتد بهم الكرب فيقول بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى آدم فنسأله أن يشفع فينا إلى ربنا فمن كان من أهل الجنة فيؤمر به إلى الجنة ومن كان من أهل النار فيؤمر به إلى النار فيأتون آدم فيقولون يا آدم قد طال الوقوف واشتد الكرب فاشفع لنا إلى ربنا فمن كان من أهل الجنة يؤمر به إليها ومن كان من أهل النار يؤمر به إليها فيقول آدم مالي وللشفاعة ويذكر ذنبه انطلقوا إلى غيري فيأتون نوحا فيقولون مقامهم فيقول كيف لي بالشفاعة وقد أهلك الله بدعوتي من في الأرض وأغرقتهم ولكن انطلقوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ويذكرون له الحال ويسألونه في الشفاعة فيقول مالي وللشفاعة ولكن انطلقوا إلى موسى بن عمران الذي كلبه الرحمن قال فيأتونه فيقول كيف لي بالشفاعة وقد قتلت نفسي وألقيت الألواح فتكسرت ولكن انطلقوا إلى عيسى بن البتول فينطلقون إليه ويقولون مقامهم فيقول مالي وللشفاعة وقد اتخذني النصارى إلهاً من دون الله وإني لعبد الله ولكن أدلكم على صاحب الشفاعة الكبرى انطلقوا إلى أبي القاسم محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وسيد المرسلين قال فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ووجهه يضيء على أهل الموقف فينادونه من دون منبره العالي: يا حبيب رب العالمين وسيد الأنبياء والمرسلين قد عظم الأمر وجل الخطب وطال

(١) قوله فيسبوا في الأرض، كذا بالأصل ولعل المناسب فيسيل في الأرض وحرراها.

الوقوف واشتد الكرب فاشفع لنا إلى ربنا في فصل الأمر فن كان من
 أهل الجنة يؤمر به إليها ومن كان من أهل النار يؤمر به إليها الغوث الغوث
 يا محمد فأت صاحب الجاه والمبعوث رحمة للعالمين قال فيسكني النبي صلى الله
 عليه وسلم ثم يأتي أمام العرش فيخر ساجدا فينادي يا محمد ليس هذا يوم
 سجود فارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول يارب مر بالعباد
 إلى الحساب فقد اشتد الكرب وعظم الخطب فيجيب إلى ذلك ويأمر الله
 عز وجل بالعرض للحساب ثم تفر جهنم زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي
 مرسل إلا أخذه الرعب والجزع وكل ينادى نفسي يارب فأدم يقول يارب
 لا أسألك حواء ولا هابيل ولا أسالك إلا نفسي ونوح ينادى لا أسالك
 ساما ولا حام بل أسالك نفسي والخليل ينادى لا أسالك إسماعيل ولا إسحق
 ولكن أسالك نفسي يارب وموسى ينادى لا أسالك هرون أخي بل أسالك
 نفسي يارب وعيسى ينادى يارب لا أسالك مريم أمي وأسالك يارب نفسي
 وذلك قوله عز وجل : ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه
 لكل امرئ منه يومئذ شأن يغنيه ﴾ قال ونينا محمد صلى الله عليه وسلم
 ينادى يارب لا أسألك فاطمة ابنتي ولا بعلا ولا ولديها ولا أسالك اليوم إلا
 أمي ولا أسالك غيرها فينادى المنادي من قبل الله عز وجل يا رضوان
 زخرف الجنان يا مالك سعر التيران يا كسرون مد الصراط على متن جهنم
 وهو أدق من الشعر وأحد من السيف وهي ألف عام صعود وألف عام
 استواء وألف عام هبوط وقيل أكثر من ذلك وهو سبع قناطر فيستل
 العبد عند القنطرة الأولى عن الايمان وهي أصعب القناطر وأهواها قرارا
 فان أتى بالايمان نجاة وإن لم يأت به تردى إلى أسفل سافلين ويستل عند
 القنطرة الثانية عن الصلاة فان أتى بها نجاة وإن لم يأت بها تردى في النار
 ويستل عند القنطرة الثالثة عن الزكاة فان أتى بها نجاة وإن لم يأت بها تردى
 في النار ويستل عند القنطرة الرابعة عن صيام شهر رمضان فان أتى به نجاة
 وإن لم يأت به تردى في النار ويستل عند القنطرة الخامسة عن الحج فان أتى

به نجا وإن لم يأت به تردى في النار ويسئل عند القنطرة السادسة عن الأمر
 بالمعروف فإن أتى به نجا وإن لم يأت به تردى في النار ويسئل عند القنطرة
 السابعة عن النهي عن المنكر فإن أتى به نجا وإن لم يأت به تردى في النار قال
 ثم تحمل الخلائق على الصراط فمنهم من يجوزه كالبرق الخاطف ومنهم من
 يجوزه كالريح العاصف ومنهم من يجوزه كالفرس الجواد ومنهم كالرجل
 الساعي ومنهم من يجوزه وهو يحضن الصراط ب صدره ومنهم من تأخذه النار
 وإذا وقف الخلائق بين يدي الله عز وجل تطايرت الصحف بالآيمان والشمالك
 ﴿فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله
 مسرورا. وأما من أوتى كتابه بشماله فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا﴾
 وسئل بعض العلماء كيف يؤتى بشماله من وراء ظهره؟ قال تدخل يده
 الشمال في صدره وتخرج من وراء ظهره فيدفع إليه كتابه بشماله من وراء
 ظهره فيدعو بالويل والثبور ويصلى سعيرا فيقال ﴿لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا
 وادعوا ثبورا كثيرا﴾ ثم يأتي النداء من قبل الله عز وجل وعزتي وجلالي
 لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم ولا جور جائر ولا قتل قاتل من الشاة القرناء إذا
 نطحت الشاة الجنا والاسنان العود لم خدش العود ولا يدخلن أحد من أهل
 الجنة الجنة ولا من أهل النار النار وفي قلبه مظلمة فيقتص حينئذ للظالمين
 من الظالمين ويؤخذ من حسنات الظالم فتوضع في صحيفة المظلوم فإذا استوعبت
 حسناته وبقي عليه مظلوم بعد أخذ من سيئات المظلوم فتوضع في سيئات الظالم
 ثم يلقى في النار وكذلك أمثاله. قال أبي بن كعب: يحىء الرب جل جلاله
 يوم القيامة في ملائكة السماء السابعة وتعالى عن الرحلة والمقام فيؤتى بالجنة
 مفتحة أبوابها وهي تزف بين الملائكة يراها كل بر وفاجر وقد احتفت بها
 ملائكة الرحمة فتوضع عن يمين العرش وإن ربحها ليوجد من مسيرة خمسمائة
 سنة ويؤتى بالنار تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام يقبض عليه سبعون ألف
 ملك مصفدة أبوابها عليها ملائكة سود غلاظ شداد معهم السلاسل الطوال

وأطواق الأغلال والآنكال الثقال وسرايل القطران ومقطعات النيران لا عينهم
لهمان كالبرق لوجوههم لهيب كنار الحريق وقد شخصت أبصارهم نحو العرش
ينتظرون أمر رب العزة فتوضع حيث شاء الله فإذا بدت النار للخلائق
ودنت وبينها وبينهم مسيرة خمسمائة عام زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب
ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه وأخذته الرعدة وصار قلبه معلقا إلى
حنجرته لا يخرج ولا يرجع إلى مكانه وذلك قوله تعالى : ﴿ إذ القلوب لدى
الحناجر كاظمين ﴾ وقيل توضع النار على يسار العرش ثم يؤتى بالميزان
فيوضع بين يدي الجبار ثم تدعى الخلائق للعرض والحساب . قال كعب الأحبار :
لو أن رجلا كان له مثل عمل سبعين نبيا لحشي في ذلك اليوم أن لا ينجو من
شر ذلك اليوم . قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : وددت أن حسناى
فضلت سياقى بمثقال ذرة ثم أترك بين الجنة والنار ثم يقال لى تمن فأقول
تمنيت أن أكون ترابا وفى هذا القدر كفاية .

ذكر أسماء يوم القيامة

هو يوم تعددت أساميه لكثرة معانيه : يوم القيامة يوم الحسرة والتندامة
يوم المسابقة يوم المناقشة يوم المنافسة يوم المحاسبة يوم المسألة يوم الزلزلة
يوم التندامة يوم الدمدمة يوم الآزقة يوم الراجفة يوم الرادفة يوم الصاعقة
يوم الواقعة يوم الداهية يوم الحاقة يوم الطامة يوم الصاخة يوم الغاشية
يوم القارعة يوم النفخة يوم الصيحة يوم الرجفة يوم الرجة يوم الزجرة
يوم السكرة يوم البقاء يوم اللقاء يوم البكاء يوم القضاء يوم الجزاء يوم المآب
يوم المتاب يوم الثواب يوم الحساب يوم العذاب يوم العقاب ، يوم المرصاد
يوم الميعاد يوم التناد يوم الانكدار يوم الانقطاع يوم الانتشار يوم
الانفجار يوم الافتقار يوم الاعتبار يوم الحشر يوم النشر يوم الجزع
يوم الفرع يوم السباق يوم التلاق يوم الفراق يوم الانشقاق يوم التلق

يوم الفرق يوم الغرق يوم العرق يوم اليقين يوم الدين ﴿يوم يقوم الناس
 لرب العالمين﴾ فكيف بالبن آدم المغرور إذا نفخ في الصور وبعث ما في القبور
 وحصل ما في الصدور وكورت الشمس وكسف القمر وانتثرت النجوم
 وعطلت البحار وحشرت الوحوش وزوجت النفوس وسيرت الجبال
 وعظمت الأحوال وحشروا حفاة ووقفوا عراة ومدت لهم الأرض وجمعوا
 فيها للعرض من الهول حيارى ومن الشدة سكارى قد أظلمهم الكرب
 وأجهدهم العطش واشتد بهم الحر وعم الخوف وجل العناء وكثر البكاء
 وفيت الدموع ولازموا الخضوع وعهم القلق وعهم العرق وطاشت
 العقول وشمل الذهول وتبلبت الصدور وعظمت الأمور وتحيرت الأبواب
 وتقطعت الأسباب ورأوا العذاب وركبهم الذل وخضعت رقاب الكل
 وزلزلت الأقدام وتبدلت الأنفهام وطال القيام وانقطع الكلام ولا شمس تضيء
 ولا قر يسرى ولا كوكب درى ولا فلك يجرى ولا أرض تقل ولا سماء
 تظل ولا ليل ولا نهار ولا بحار ولا كفار ياله من يوم تفاقم أمره وتعظم
 ضره وعظم خطره يوم تشخص فيه الأبصار بين يدى الملك الجبار ﴿يوم
 لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ قد خشعت لهوله
 الأصوات وقل فيه الالتفات وبرزت الخفيات وظهرت الخطيات وأحاطت
 البليات وسبق العباد ومعهم الأشهاد وتقلعت الشفاه وتقطعت الأبدان
 وشاب الصغير وسكر الكبير ووضعت الموازين ونشرت الدواوين وتقطعت
 الجوارح وارتعدت الجوانح وانضحت الفضائح وأزلفت الجنان وسمرت
 النيران ويومر بعد الخطب الجسم والهول العظيم للمقعد المقيم إما بدار النعيم
 والرضوان وإما بدار الجحيم والنيران.

وهذه قصيدة جامعة لغالب ما تقدم من أحوال يوم القيامة
واسمها قلادة الدر المشور في ذكر البعث والنشور

الله أعظم مما جال في الفكر
مولي عظيم حكيم واحد صمد
يارب يا سامع الأصوات صل على
محمد المصطفى الهادي البشير هدى
وآله والصحاب الكائنين به
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها
وفرط ميل إلى الدنيا وقد حسرت
ياربنا جسد بتوفيق ومغفرة
قد أصبح الخلق في خوف وفي ذعر
وللقيامه أشراط وقد ظهرت
قل الوفاء فلا عهد ولا ذمم
باعوا لأديانهم بالبخس من سحت
وجاهروا بالمعاصي واتقوا بدعا
وطالب الحق بين الناس مستتر
والوزن بالويل والاهواء معتبر
وقد بدا النقص في الإسلام مشتهراً
وسوف يخرج دجال الضلالة في
ويدعي أنه رب العباد وهل
فاره جنة طوبى لداخلها
شهر وعشر ليال طول مدته
فيبعث الله عيسى ناصراً حكام

وحكمه في البرايا حكم مقتدر
حي قديم مرید فاطر الفطر
رسولك المجتبي من أظهر البشر
كل الخلائق بالآيات والسور
كأنجم حول من يسمو على القمر
فتور عزمي وما فرطت في عمري
عن ساعد الغدر في الآصال والبكر
وحسن عاقبة في الورد والصدر
وزور لحووهم في أعظم الخطر
بعض العلامات والباقي على الأثر
واستحكم الجهل في البادين والحضر
وأظهروا الفسق بالعدوان والأشر
عمت فصاحبها يمشى بلا حذر
وصاحب الأفك فيهم غير مستتر
والوزن بالحق فيهم غير معتبر
وبدلت صفوة الخيرات بالكدر
هرج وقطط كما قد جاء في الخبر
تنحى صفات كذوب ظاهر العور
وزور جنته نار من السعر
لكنها عجب في الطول والقصر
عدلا ويعضده بالنصر والظفر

فيتبع الكاذب الباغي ويقتله
 وقام عيسى يقيم الحق متبعاً
 في أربعين من الاعوام مخصبة
 وجيش بأجوج مع أجوج قد خرجوا
 حتى إذا أنفذ الله القضاء دعا
 وعاد للناس عيد الخير مكتملاً
 والشمس حين ترى في الغرب طالعة
 فعند ذلك لا إيمان يقبل من
 ودابة في وجوه المؤمنين لها
 والخلف هل فتنة الدجال قبلها
 وكم خراب وكم خسف وزلزلة
 ونفخة تذهب الارواح شدتها
 وأربعون من الاعوام قد حسبت
 قاموا حفاة عراة مثل ما خلقوا
 قوم مشاة وركبان على نجب
 ويسحب الظالمون الكافرون على
 والشمس قد أدنيت والناس في عرق
 والارض قد بدلت يضاء ليس لها
 طال الوقوف فجاءوا آدماء ورجوا
 فرد ذلك إلى نوح فردهم
 إلى المكليم إلى عيسى فردهم
 فيسأل المصطفى فصل القضاء لهم
 تطوى السموات والاملاك هابطة
 ويمحق الله أهل البغي والضرر
 شريعة المصطفى المختار من مضر
 فيكسب المال فيها كل مفتقر
 والبنى عم بسيل غير منهمر
 عيسى فأفناهم المولى على قدر
 حتى يتم لعيسى آخر العمر
 طلوعها آية من أعظم الكبر
 أهل الجحود ولا عذر لمعتذر
 وسم من النور والكفار بالقتل
 أو بعد قد ورد القولان في الخبر
 وفيح نار وآيات من النذر
 إلا الذين عنوا في سورة الزمر
 نفخاتيب به الارواح في الصور
 من هول ما عاينوا سكرى بلا منكر
 عليهمو حلل أبهى من الزهر
 وجوهم وتحيط النار بالشرر
 وفي زحام وفي كرب وفي حصر
 خفض ولا ملجأ يبدو لمستر
 شفاعة من أيهم أول البشر
 إلى الخليل فأبدى وصف مقصر
 إلى الحبيب فلباها بلا حصر
 ليستريحوا من الأهوال والخطر
 حول العباد لهول معضل مضر

والشمس قد كورت والكتب قد نشرت
وقد تجلى إله العرش مقتدراً
فياخذ الحق للمظلوم متصفاً
والوزن بالقسط والأعمال قد ظهرت
وكل من عبد الأوثان يتبعها
والمسلمون إلى الميزان قد قسموا
فسابق رجحت ميزان طاعته
ومذنب كثرت آثامه فله
وواحد قد تساوت حالته له
ويكرم الله مثواه بجنته
وفي الطريق صراط مد فوق لظى
والناس في ورده شتى فستبق
ساع وماش ومخدوش ومعتلق
للمؤمنين ورود بعده صدر
فيشفع المصطفى والأنبياء ومن
في كل عاص له نفس مقصرة
فأول الشفعا حقاً وآخرهم
مقامه ذروة الكرسي ثم له
والخوض يشرب منه المؤمنون غداً
ويخلق الله أقواماً قد احترقوا
والنار مثوى لأهل الكفر كلهم
جهنم ولظى والحطيم بينهما
وتحت ذلك جحيم ثم هاوية
في كل باب عقوبات مضاعفة

والأنجم انكدرت ناهيك من كدر
سبحانه جل عن كيف وعن فكر
من ظالم جار في العدوان والبطر
ووزنها عبرة تبدو لمعتبر
بإذن ربي وصار الكل في سقر
ثلاثة فأسمعوا تقسيم مختصر
له الخلود بلا خوف ولا ذعر
شفع بأوزاره أو عفو مفتقر
أعراف حبس وبين البشر والحصر
بجود فضل عليم غير منحصر
كحد سيف سطا في دقة الشعر
كالبرق والظير أو كالخيل في النظر
ناج وكم ساقط في النار مئثر
والكافرون لهم ورد بلا صدر
يختاره الملك الرحمن في زمر
وقلبه عن سوى الرب العظيم يرى
محمد ذو البهاء الطيب العطر
عقد اللواء يمز غير منحصر
كالأري يجرى على الياقوت والدر
كانوا أولى العزة الشنماء والنجر
طباقها سبعة مسودة الحفر
ثم السعير كما الإهوال في سقر
يهوى بها أبدأ سعياً لختقر
وكل واحدة تسطر على النفر

فيها غلاظ شداد من ملائكة
 لهم مقامع للتعذيب مرصدة
 سوداء مظلمة شعناء موحشة
 فيها الجحيم مذيب للوجوه مع السامعاء من شدة الاحراق والشرر
 فيها الغساق الشديد البرد يقطعهم
 فيها السلاسل والأغلال تجمعهم
 فيها العقارب والحيات قد جعلت
 والجوع والعطش المضنى ولا تنفس
 لها إذا ما غلت فور بقلهم
 جمع النواصي مع الأقدام صيرهم
 لهم طعام من الزقوم يعلق في
 ياويلهم عصت النيران أعظمهم
 خبزوا وصاحوا زمانا ليس ينفعهم
 وكل يوم لهم في طول مدتهم
 كم بين دار هوان لا انقضاء لها
 دار الذين اتقوا مولاهم وسعوا
 وآمنوا واستقاموا مثل ما أمروا
 وجاهدوا واتقوا عما يباعدهم
 جنات عدن لهم ما يشتهون بها
 بناؤها فضة قد زانها ذهب
 أوراقها ذهب منها الفصوص دنت
 أوراقها حلل شفاقة خلقت
 دار النعيم وجنات الخلود لهم
 وجنة الخلد والمأوى وكل جمعت
 طباتها درجات عددا مائة

قلوبهم شدة أقوى من الحجر
 وكل كسر لديهم غير منجبر
 دهماء محرقة لواحة البشر
 السامعاء من شدة الاحراق والشرر
 إذا استغاثوا بجر ثم مستعر
 مع الشياطين قسرا جمع منقهر
 جلودهم كالبالغال الدم والحمر
 فيها ولا جلد فيها لمصطبر
 ما بين مرتفع منها ومنحدر
 كالقوس بحية من شدة الوتر
 حلوقهم شوكه كالصاب والصبر
 بالموت شهوتهم من شدة الضجر
 دعاء داع ولا تسليم مصطبر
 نوع شديد من التعذيب والسعر
 ودار أمن وخلد دائم الدهر
 قصدا لنيل رضاه سعى مؤتمر
 واستغرقوا وقتهم في الصوم والسير
 عن بابه وامتلأوا كل ذى وعمر
 في مقعد الصدق بين الروض والزهر
 وعينها المسك والحصبا من الدرر
 بكل نوع من الريحان والتمر
 واللؤلؤ الرطب والمرجان في الشجر
 دار السلام لهم مأمونة الغير
 جنات عدن لهم من موقن النظر
 كل اثنين كبعد الارض والقمر

أعلى منازلها الفردوس عليها
 أنهارها عسل ما فيه شائبة
 وأطيب الخمر والماء الذي سلت
 والكل تحت جبال المسك منبعها
 فيها نواهد أبكار مزينة
 نسأوها المؤمنات الصابرات على
 كأنهن بدور في غصون نقا
 كل امرئ منهم يعطى قوى مائة
 طعامهم رشح مسك كلما عرقوا
 لا جوع لا برد لا هم ولا نصب
 فيها الوصائف والغلمان تخدمهم
 فيها غناء الجوارى الغانيات لهم
 لباسهم سندس حلاتهم ذهب
 والله كر كالنفس الجارى بلاتعب
 وأكلها دائم لا شيء منقطع
 فيها من الخير ما لم يجر في خلقه
 فيها رضا الملك المولى بلا غضب
 لهم من الله شيء لا نظير له
 بغير كيف ولا حد ولا مثل
 وهي الزيادة والحسن التي وردت
 لله قوم أطاعوه وما قصدوا
 وكابدوا الشوق والانكاد قوتهم
 يا مالك الملك جدلى بالرضا كرما

عرش الاله فصل واطمع ولا تنذر
 وخالص اللبن الجارى بلا كدر
 من الصداق ونطق اللهو والسكر
 يجرؤنه كيف شاءوا غير محتجج
 يبرزون من حلل في الحسن والخضر
 حفظ اليهود مع الاملاق والضرر
 على كتيب بدت في ظلمة السحر
 في الاكل والشرب والافضا بلا خور
 عادت بطونهم في هضم منضم
 بل عيشهم عن جميع الثنابات عرى
 كلؤلؤ في كمال الحسن متثر
 بأحسن الذكر للمولى مع السمر
 ولؤلؤ ونعيم غير منحصر
 ونزهوا عن كلام اللغو والهنر
 كرر أحاديثها ياطيب الخبر
 ولم يكن مدركا للسمع والبصر
 سبحانه ولهم نفع بلا غير
 سماع تسليمه والفوز بالنظر
 حقا كما جاء في القرآن والخبر
 وأعظم الموعد المذكور في الزبر
 سواء إذ نظروا الا كوان بالعبر
 ولازموا الجدوا الا ذكرا في البكر
 فأنفت لى محسن فى سائر العمر

يارب صل على الهادي البشير لنا وآله واتصر ياخير متصر
ماهب نشر صبا واهتز نبت ربا وفاح طيب شذا في نسمة السحر
أياتها تسع عشر بعدها مائة كلامها وعظه أبهى من الدرر

بحمد الله تعالى وتوفيقه تم طبع كتاب [خريدة العجائب وفريدة
الفرائب] تأليف « سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي »
مصححاً بمعرفة
رئيس التصحيح

أحمد سعد علي
من علماء الأزهر الشريف

[القاهرة في يوم الاثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ هـ / ٣ يولييه سنة ١٩٣٩ م]

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

(فهرست خريدة المعجائب وفريدة الغرائب)

صحيفة	صحيفة
٥٨ أرض النوبة	٢ خطبة الكتاب
٥٩ د الحبشة	٥ ذكر البحار
٦٢ د الحجاز	٦ الخلدجان الآخذة من المحيط
٦٦ د اليمن	٧ فصل في ذكر المسافات
٦٨ الإحقاف	١١ فصل في صفة الأرض وتقسيمها الخ
٧٤ النجاة	١٧ فصل في ذكر البلدان والأقطار
٧٦ السند	١٧ أرض المغرب
٧٧ أرض الهند	٢٠ الغرب الأوسط وهو شرقي بلاد البربر
٧٩ أرض الروم	٢٧ ذكر الغرب الأدنى
٨١ أصحاب أهل الكهف	٣١ أرض مصر
٨٥ أرض الروس	٣٣ القاهرة المعزية
٨٥ د التركش	٣٧ أرض الشام
٨٦ د البنغار	٤٣ بلاد الآرمين
٩٠ الأرض الخراب	٤٥ أرض عراق العرب
٩٣ فصل في المحيط ومعجائبه	٤٧ أرض الفرس
٩٧ فصل في بحر الظلمة وهو البحر المحيط الغربي	٤٩ أرض خوارزم
١٠٠ بحر الصين وجزائره وما به من المعجائب والغرائب	٥١ أرض التبت
١١١ بحر الهند	٥٢ أرض الصين
	٥٦ أرض الكركر

صحيفة

صحيفة

١١٥ فصل في بحر فارس وما فيه من

١٩٥ فصل في البقول الصغار

الجزائر والمعجائب

١٩٦ فصل في حشائش مختلفة

١١٩ فصل في بحر عمان وجزائره

١٩٦ فصل في البزور

ومعجائبه

١٩٧ فصل في خواص الحيوانات

١٢٣ فصل في بحر القلزم وجزائره

١٩٩ فصل في حيوانات النعم

وما به من المعجائب

٢٠٦ فصل في خواص أجزاء سبع

الطيور

١٢٥ فصل في بحر الزنج الخ

٢٠٩ فصل في خصائص البلدان

١٢٨ فصل في بحر المغرب ومعجائبه

٢١٧ نبذة من أخبار ملوك الزمان

وغرائب

السائلة الخ

١٣٢ فصل في بحر الخزر

٢٢٧ فصل في ذكر الكلام في مسائل

١٣٤ فصل في ذكر المشاهير من

عبد الله بن سلام لدينا محمد

الأنهار ومعجائبها

عليه الصلاة والسلام

١٤٥ فصل في عجائب العيون والآبار

٢٤٩ فصل فيما ذكر في المدة قبل

١٤٩ فصل في الآبار ومعجائبها

خلق الخلق

١٥٣ فصل في عجائب الجبال وما بها

٢٥٠ ذكر مدة الدنيا واختلاف الناس

من الآثار

فيها

١٦٥ فصل في ذكر الاحجار وخواصها

٢٥٠ ذكر ما وصف من الخلق قبل

ومعرفة منافعها

آدم عليه السلام

١٦٩ الاحجار الصلبة ذوات الجواهر

٢٥٢ ذكر عدد العوالم كم هي

١٧٤ فصل في النباتات والقواكه

٢٥٣ ذكر التواريخ من لدن آدم عليه

وخواصها

السلام

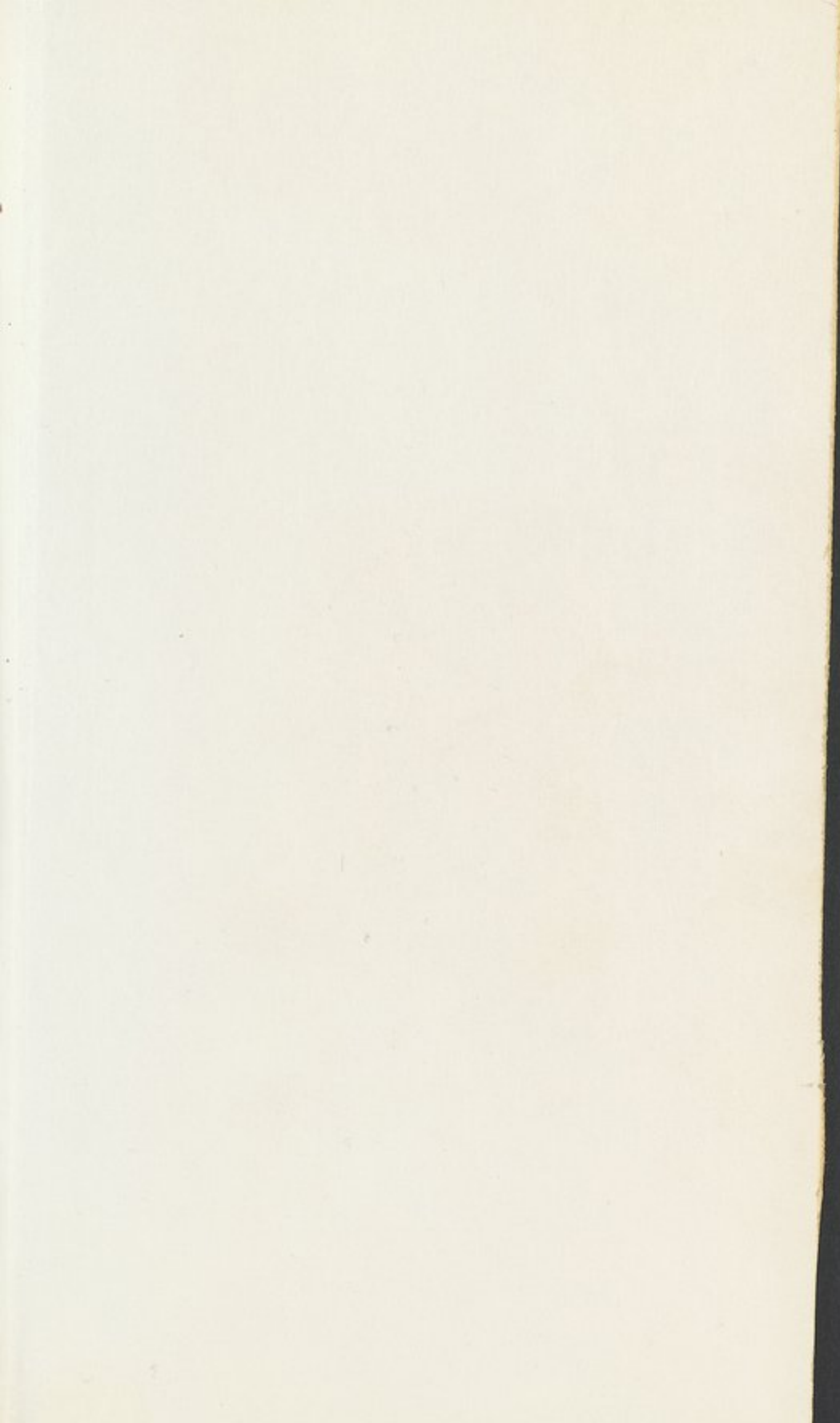
١٩٤ فصل في البقول الكبار

صحيفة

صحيفة

- ٢٥٤ ذكر ما جاء في أشراف الساعة
 ٢٥٥ ذكر الفتن والكوائن في آخر الزمان
 ٢٥٦ ذكر خروج الترك
 ٢٥٦ ذكر الهدية في رمضان وهي من
 أشراف الساعة
 ٢٥٧ ذكر الهاشمي الذي يخرج من
 خراسان مع الرايات السود
 ٢٥٨ ذكر خروج السفيناني
 ٢٥٩ ذكر خروج المهدي
 ٢٦٠ ذكر خروج القحطاني
 ٢٦٠ ذكر فتح القسطنطينية
 ٢٦١ ذكر خروج الدجال
 ٢٦٢ ذكر نزول عيسى ابن مريم
 عليهما السلام
 ٢٦٣ بقية من خبر عيسى عليه السلام
 ٢٦٤ ذكر طلوع الشمس من مغربها
 ٢٦٤ ذكر خروج الدابة
 ٢٦٥ ذكر الدخان
 ٢٦٥ ذكر خروج يأجوج ومأجوج
 ٢٦٧ ذكر خروج الحبشة
 ٢٦٧ ذكر فقدان مكة المشرفة
 ٢٦٧ ذكر الريح التي تقبض أرواح
 أهل الايمان
 ٢٦٧ ذكر ارتفاع القرآن
 ٢٦٨ ذكر النار التي تخرج من قعر عدن
 فتسوق الناس إلى المحشر
 ٢٦٨ ذكر نفخات الصور
 ٢٦٨ ذكر النفخة الأولى
 ٢٦٩ ذكر ما جاء في صورة الصور وهيئة
 ٢٧٠ ذكر النفخة الثانية في الصور
 ٢٧٠ ما بين النفختين من المدة
 ٢٧١ ما ورد في قوله تعالى هو
 الاول والاخر
 ٢٧١ ذكر المطرة التي تنبت الاجساد
 ٢٧٢ ذكر النفخة الثالثة وهي نفخة
 القيامة
 ٢٧٢ ذكر الموقف وأين يكون
 ٢٧٣ ذكر يوم القيامة والحشر والنشر
 وتبديل الارض وطى السماء
 وأحوال ذلك اليوم
 ٢٧٨ ذكر أسماء يوم القيامة
 ٢٨٠ قصيدة جامعة لغالب أحوال يوم
 القيامة سماها مؤلف الكتاب
 رحمه الله قلادة الدر المنثور في
 ذكر البعث والنشور

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY





*Restored through
a grant from*

The Cartwright Foundation



